كتاب
تبرئة الشيخين الإمامين
من تزوير أهل الكذب والمين

الشيخان هما

الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي (١٢٠٦)

والإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢)

تأليف

الشيخ العلامة سليمان بن سحمان النجدي

المتوفى سنة ١٣٤٩هـ

تحقيق

أبي الحسن بن علي بن أحمد بن حسن الرازحي

دار الإمام أحمد

كتاب
تبرئة الشيخين الإمامين
من تزوير أهل الكذب والمين

الطبعة الأولى لـ

دار الإمام أحمد

للنشر والتوزيع والصوتيات

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٩/٢٤٦٩٣

دار الإمام أحمد

٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير
جسر السويس - القاهرة
هاتف: ٠٠٢٠٢/٢٢٤١٤٢٤٨
تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٢٦٣٦٥٦٣٨
جوال: ٠٠٢/٠١٠٦٠١٤٩٧٨

١١ أ درب الأتراك
خلف الجامع الأزهر
هاتف: ٠٠٢٠٢/٢٥١٠٢٣٩٧
جوال: ٠٠٢/٠١٠٥٢٦٤٠٢٠

E-Mail: Dar_Alemam_Ahmad@yahoo.com
www.DarAlemamAhmed.com

كتاب

تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين

الشيخان هما:

الإمام: محمد بن عبد الوهاب النجدي

المتوفى (١٢٠٦هـ)

والإمام: محمد بن إسماعيل الصنعاني

المتوفى (١١٨٢هـ)

تأليف الشيخ العلامة

سليمان بن سحمان النجدي

المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ

تحقيق

أبي الحسن علي بن أحمد بن حسن الرازحي

وفقه الله وعفا عنه

دار الإمام أحمد

المُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن من فضل الله على طالب علم الكتاب والسنة، المتلقي له من المصادر الصَّافية، والمناهل العذبة، هو ارتياده لرياض السنة، وانتفاعه بجهود علمائها، وإحياؤه لما اندثر، أو اندرس من ذلك.

ألا وإن من تلك الجهود المباركة، ما قام به فضيلة الشيخ العلامة: سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ، من ردود مباركة ونافعة، ومن أجودها وأنفسها، ما قام به من دفاع عن الإمامين الشهيرين: محمد بن عبدالوهاب النَّجْدِي، ومحمد بن إسماعيل الصَّنْعَاني، في كتابه الذي سماه: «تَبْرِئَةُ الشَّيْخَيْنِ الإِمَامَيْنِ مِنْ تَزْوِيرِ أَهْلِ الكَذِبِ وَالمَيْنِ».

وهذا الكتاب النافع الذي بين يديك، يعد في هذه الآونة في حكم «المخطوط»؛ لندرته، بل قال بعض الدكاترة: إنه لم يجده بعد البحث، في بحث له عن الإِمَامِ الصَّنْعَاني.

هذا مع ما تضمنه الكتاب من فوائد نفيسه، ومناقشة في أمور عقديَّة مُفيدة، فَارْتَأَيْتُ القيام بالاعتناء به، بضبط نصه، وتخريج أحاديثه، والترجمة للمذكورين فيه، وأمور أخرى... يأتي ذكرها، ومن ثَّمَ تقديمه للمسلمين في حلة قشيبة.

لعل الله أن ينفع بذلك مؤلفه، ومحققه، وطابعه، وقارئه، فإنه سبحانه ذو الفضل العظيم.

وكان الاعتناء به على «طبعة المنار» التي طبعته سنة (١٣٤٣). وذلك في حياة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا أعلم له طبعة غيرها.

وتم الاعتناء به بالأمور التالية:

١- ضبط نصه بوضع علامات الترقيم، وشبهها من تقسيم الفقرات، ونحو ذلك.

٢- الترجمة للأعلام المذكورين فيه.

٣- التخريج للأحاديث والآثار التي ذكرها المؤلف.

٤- عناوين تبين محتواه ومباحثه جعلتها بين معقوفين.

٥- وضع مقدمة تتضمن:

* ترجمة المؤلف.

* ترجمة الإمام الصنعاني.

* ترجمة الإمام محمد بن عبدالوهاب.

* ذكر قصيدة الصنعاني، ثم قصيدة التراجع، ثم قصيدة المؤلف.

* الفهرس لمسائله وفوائده، حتى يتيسر الانتفاع به.

فما كان من صواب فمن فضل الله ومنته ونعمائه، ولله الحمد دائمًا وأبدًا، وما كان من خطإٍ فمني، واللهُ حسبي وهو نعم الوكيل، نعم المولى، ونعم النَّصير. وله الحمد والمنة دائمًا وأبدًا.

كتبه:
أبو الحسن علي بن أحمد الرازحي
مكتبة دار الحديث بدماج
قبل أذان مغرب يوم الأربعاء
٢٧ /جمادى الأولى/ من سنة ١٤٢٨
ولله الحمد والمنة

ترجمة المؤلف مختصرة[(١)]

اسمه ونسبه: هو الشَّيخ العلامة سُلَيْمَانُ بْنُ سَحْمَانَ بْنِ مُصْلِحِ ابْنِ حَمْدَانَ الخَثْعَمِيُّ التَّبَالِيُّ العَسِيْرِيُّ النَّجْدِيُّ.

أصله: أصله رَحِمَهُ اللهُ من (تَبَالَة) قرية من أعمال (بِيْشَهْ) معروفةٌ بالخصب والرَّخاءِ.

نزوح والده ومولده: نزح والد الشيخ من البلد المذكورة، إلى مدينة (أَبْهَا) عاصمة عَسِيْر فوُلِدَ بها في قرية (السَّقَا) سنة (١٢٦٦).

نشأته: نشأ في أحضان والده، وكان والده من مرتادي العلم، حيث كان من حفظةِ القرآن فَأَقْرَأَ ابنه القرآن حتى خَتَمَهُ، ثم لقَّنه مبادئَ العلوم.

مشايخه: انتقل والده إلى الرياض في سنة (١٢٨٠) فتلقى الولد بها عن:

١- الشيخ عبدالرحمن بن حسن صاحب «فتح المجيد».

وقد نقل عنه في كتابه هذا.

٢- الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

وانتقل مع والده إلى بلد (الأَفْلَاجِ) بنَجْدٍ فتلقى فيها على:

٣- الشيخ حمد بن عتيق، ولازمه (١٧) عامًا.

وعاد إلى الرياض وتلقى من:

٤- الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ.

من كتبه:

مؤلفات الشيخ زادت على (٢٥) كتابًا معظمها في الردود، وأكثرها مطبوع.

منَ المطبوع:

«الأسنة الحداد في الرَّد على عَلَوِي الحداد».

«الصواعق المرسلة الشهابية في الرَّد على الشُّبَهِ الشَّامية».

---

(١) انظر «مشاهير علماء نجد وغيرهم» للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ و«معجم المؤلفين» (٤/ ٢٦٤)، و«الأعلام للزركلي» (٣/ ١٨٧-١٨٨).

«الضياءُ الشارقُ في ردِّ شبهات الماذق المارق».

«تنبيه ذوي الألباب السَّليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخِيْمَة».

«منهاجُ أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع».

«تَبْرِئَةُ الشَّيْخَيْنِ» وهو كتابنا هذا.

من تلامذته:

١- ابنه صالح.

٢- ابنه عبدالعزيز.

٣- الشيخ عبدالعزيز بن صالح المرشد.

٤- الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن حسين.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بمدينة الرياض، في عاشر شهر صفر من سنة (١٣٤٩)، وصُلِّيَ عليه بمسجد الرياض الكَبِيْر، ودُفِنَ بمقبرة العود.

اسم الكتاب:

«تَبْرِئَةُ الشَّيْخَيْنِ الإِمَامَيْنِ مِنْ تَزْوِيرِ أَهْلِ الكَذِبِ وَالمَيْنِ»[(١)].

وطبع هذا الكتاب بهذا الاسم في مطبعة «المنار» بمصر، في حياة مؤلفه سنة (١٣٤٣) مع كتابه «تنبيه ذوي الألباب السليمة...».

وذلك قبل وفاة مؤلفه بست سنين.

موضوع الكتاب:

هو أن الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني بلغته أخبار الإمام محمد بن عبدالوهاب، من دعوته للتوحيد، ونصرته للسنة، فقال فيه قصيدتَهُ العَصْمَاءَ التي مَطْلَعُهَا:

سَلَامٌ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدِ ... وَإِنْ كَانَ تَسْلِيْمِي عَلَى البُعْدِ لَا يُجْدِي

وذلك في سنة (١١٦٣)هـ.

---

(١) قال في «اللسان» (١٣/ ٢٢٦). مادة: (مين): المين: الكذب قال عدي بن زيد:

فَقَدَّدَتِ الأَدِيْمَ لِرَاهِشِيْهِ ... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنًا

اهـ.

وفيها يقول:

وَقَــدْ جَــاءَتِ الأَخْبَــارُ عَنْــهُ بِأَنَّــهُ ... يُعِيْدُ لَنَا الـشَّرْعَ الـشَّرِيْفَ بِمَــا يُبْـدِيْ

وَيَنْشُرُ جَهْـرًا مَـا طَـوَى كُـلُّ جَاهِـلٍ ... وَمُبْتَــدِعٍ مِنْــهُ فَوَافَــقَ مَــا عِنْــدِيْ

وانتشر خبر هذه القصيدة وذاع، وملأ الطروس والأسماع، وحاول إيقافها وردَّها أهل الأهوى والابتداع.

فظهرت قصيدة على ذلك الدوي[١]، مع شرح لـها، منسوبةٌ للأمير الـصنعاني نفـسه، نفى فيها ما قرره في سابقتها، فاستظهر أهل العلم بطلانها، فردوا عليها نظمًا ونثرًا.

فممن ردها وأبان بطلانها: المصَنِّفُ في كتابه هذا، وقـد أفـاد بـرده وأجـاد؛ حيـث ناقش تلك القصيدة نظمًا ونثرًا، مع بيان مخالفتها لمـا يقرره الأميـر في كتابـه «تطهيـر الاعتقاد» وسأذكر القصيدة تامَّةً، ثم أذكر التراجع المزعوم، وأعقبه برد المؤلف كلـه نظمًا ثم نص الكتاب.

* * *

(٢) وفيها ركة مما يعلم الناظر الفاهم أنها مكذوبة على الصنعاني.

ترجمة: محمد بن إسماعيل الصنعاني

من «البدر الطالع» للإمام الشوكاني (٢/ ١٣٣-١٣٩):

نسبه:

السَّيِّدُ مُحَمَّدِ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ صَلَاحِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حِفْظِ الدِّيْنِ بْنِ شَرَفِ الدِّيْنِ بْنِ صَلَاحِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ المَهْدِيْ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيْسَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ الحَسَنِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ يَحْيَى ابْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ القَاسِمِ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ بْنَ الحَسَنِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ ﷺ، الكَحْلَانِيُّ ثُمَّ الصَّنْعَانِيُّ، المَعْرُوْفُ بِالأَمِيْرِ الإِمَامُ الكَبِيْرُ المُجْتَهِدُ المُطْلَقُ صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ.

مولده:

ولد ليلة الجمعة نصف جمادى الآخرة سنة (١٠٩٩) تسع وتسعين وألف بكَحْلَانَ.

أخذه للعلم:

ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء، سنة (١١٠٧)، وأخذ عن علمائها:

١ - كالسيد العلامة زيد بن محمد بن الحسن.

٢- والسيد العلامة صلاح بن الحسين الأخفش.

٣- والسيد العلامة عبدالله بن علي الوزير.

٤- والقاضي العلامة علي بن محمد العنسى.

ورحل إلى مكة، وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة.

وبرع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظاهر بالاجتهاد، وعمل بالأدلة، ونفَّر عن التقليد، وزيف ما لا دليل عليه، من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن، منها:

* في أيام المتوكل على الله القاسم بن الحسين.

* ثم في أيام ولده الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم.

* ثم في أيام ولده الإمام المهدي العباس بن الحسين، وتجمع العوام لقتله مرة بعد أخرى، وحفظه الله من كيدهم ومكرهم، وكفاه شرَّهم.

توليته للخطابة بجامع صنعاء:

وولاه الإمام المنصور بالله الخطابة بجامع صنعاء، فاستمر كذلك إلى أيام ولده الإمام المهدى، واتفق في بعض الجمع، أنه لم يذكر الأئمة الذين جرت العادة بذكرهم في الخطبة الأخرى، فثار عليه جماعة من آل الإمام، الذين لا أنسة لهم بالعلم، وعضدهم جماعة من العوام، وتواعدوا فيما بينهم على قتله في المنبر يوم الجمعة المقبلة، وكان من أعظم المحشدين لذلك: السيد يوسف العجمى الإمامي القادم في أيام الإمام المنصور بالله، والمدرس بحضرته، فبلغ الإمام المهدى ما قد وقع التواطؤ عليه، فأرسل لجماعة من أكابر آل الإمام وسجنهم، وأرسل لصاحب الترجمة أيضًا وسجنه، وأمر مَنْ يطرد السيد يوسف المذكور، حتى يخرجه من الديار اليمنية، فسكنت عند ذلك الفتنة، وبقي صاحب الترجمة نحو شهرين، ثم خرج من السجن، وَوُلِّيَ الخِطَابَةَ غيره.

ومن معاناته في الصدع بالحق:

واستمر ناشرًا للعلم: تدريسًا، وإفتاءً، وتصنيفًا، وما زال في محن من أهل عصره، وكانت العامة ترميه بالنصب؛ مستدلين على ذلك بكونه عاكفًا على الأمهات، وسائر كتب الحديث، عاملًا بما فيها، ومن صنع هذا الصَّنع رمته العامة بذلك، لاسيما إذا تَظَّهر بفعل شيء من سنن الصلاة: كرفع اليدين وضمهما، ونحو ذلك، فإنهم ينفرون عنه، ويعادونه، ولا يقيمون له وزنًا.

مع أنهم في جميع هذه الديار منتسبون إلى الإمام زيد بن علي، وهو من القائلين بمشروعية الرفع والضم، وكذلك ما زال الأئمة من الزيدية يقرءون كتب الحديث الأمهات وغيرها، منذ خرجت إلى اليمن، ونقلوها في مصنفاتهم، الأول فالأول، لا ينكره إلا جاهل، أو متجاهل، وليس الذنب في معاداة من كان كذلك للعامة الذين لا تعلق لهم بشيء من المعارف العلمية؛ فإنهم أتباع كل ناعق؛ إذا قال لهم من له هيئة أهل العلم: أن هذا الأمر حق. قالوا: حق. وإن قال: باطل. قالوا: باطل.

إنما الذنب لجماعة قرءوا شيئًا من كتب الفقه، ولم يمعنوا فيها، ولا عرفوا غيرها، فظنوا لقصورهم: أن المخالفة لشيء منها مخالفة للشريعة، بل القطعي من قطعياتها، مع أنهم يقرءون في تلك الكتب مخالفة أكابر الأئمة وأصاغرهم، لما هو مختار لمصنفها، ولكن لا يعقلون حقيقة، ولا يهتدون إلى طريقة، بل إذا بلغ بعض معاصريهم إلى رتبة الاجتهاد، وخالف شيئًا باجتهاده، جعلوه خارجًا عن الدين، والغالب عليهم أن ذلك ليس لمقاصد دينية، بل لمنافع دنيوية، تظهر لمن تأملها، وهي أن يَشِيْعَ في الناس أنَّ من أنكر على أكابر العلماء ما خالف المذهب من اجتهاداتهم، كان من خُلَّصِ الشيعة الذابين عن مذهب الآلِ، وتكون تلك الشهرة مفيدة في الغالب لشيء من منافع الدنيا وفوائدها، فلا يزالون قائمين وثائرين في تخطئة أكابر العلماء، ورميهم بالنَّصْبِ، ومخالفة أهل البيت، فتسمع ذلك العامة، فتظنُّه حقًّا وتعظم ذلك المنكر؛ لأنه قد نفق على عقولها صدق قوله، وظنوه من المحامين عن مذهب الأئمة، ولو كشفوا عن الحقيقة، لوجدوا ذلك المنكر هو المخالف لمذهب الأئمة من أهل البيت، بل الخارج عن إجماعهم؛ لأنهم جميعًا حرَّموا التقليد على من بلغ رتبة الاجتهاد، وأوجبوا عليه أن يجتهد رأي نفسه، ولم يخصوا ذلك بمسألة دون مسألة، ولكن المتعصب أعمى، والمقصر لا يهتدى إلى صواب، ولا يخرج عن معتقده، إلَّا إذا كان من ذوي الألباب، مع أن مسألة تحريم التقليد على المجتهد هي محررةٌ في الكتب التي هي مدارس صغار الطلبة، فضلًا عن كبارهم، بل هي في أول بحث من مباحثها، يتلقنها الصبيان، وهم في المكتب.

ومن جملة ما اتفق لصاحب الترجمة من الامتحانات:

أنه لما شاع في العامة ما شاع عنه، بلغ ذلك أهل جبل بَرَطٍ، من ذوي محمد وذوي حسين، وهم إذ ذاك جمرة اليمن، الذين لا يقوم لهم قائم، فاجتمع أكابرهم ومن أعظم رؤسائهم: حسن بن محمد العنسي البرطي، وخرجوا على الإمام المهدي في جيوش عظيمة، ووصلت منهم الكتب، أنهم خارجون لنصرة المذهب، وأن صاحب الترجمة قد كاد يهدمه، وأنَّ الإمام مساعد له على ذلك، فترسل عليهم العلماء الذين لهم خبرة بالحق وأهله ورتبة في العلم، فما أفاد ذلك، وآخر الأمر جعل لهم الإمام

زيادة في مقرراتهم، قيل: أنها نحو عشرين ألف قرش في كل عام، فعادوا إلى ديارهم، وتركوا الخروج؛ لأنه لا مطمع لهم في غير الدنيا، ولا يعرفون من الدِّين إلا رسومًا، بل يخالفون ما هو من القطعيات، كقطع ميراث النساء، والتحاكم إلى الطاغوت، واستحلال الدماء والأموال، وليسوا من الدين في وِرْدٍ ولا صَدْرٍ.

ومن محن الدنيا، أن هؤلاء الأشرار يدخلون صنعاء لمقررات لهم في كل سنة، ويجتمع منهم ألوف مؤلفة، فإذا رأوا من يعمل باجتهاده في الصلاة، كأن يرفع يديه أو يضمها إلى صدره أو يتورك، أنكروا ذلك عليه، وقد تَحْدُثُ بسبب ذلك فتنة، ويتجمعون، ويذهبون إلى المساجد، التي تقرأ فيها كتب الحديث على عالم من العلماء، فيثيرون الفتن، وكل ذلك بسبب شياطين الفقهاء، الذين قدمنا ذكرهم، وأما هؤلاء الأعراب الجفاة، فأكثرهم لا يصلي ولا يصوم، ولا يقوم من فروض الإسلام سوى الشهادتين، على ما في لفظه بهما من عوج.

واتفق في الشهر الذي حررت فيه الترجمة، أنه دخل جماعة منهم، وفيهم عُجْبٌ وَتَيْهٌ واستخفافٌ بأهل صنعاء على عادتهم، وقد كانوا نهبوا في الطرقات، فوصلوا إلى باب مولانا الإمام حفظه الله، فرأى رجل بقرة له معهم، فرام أخذها، فسلَّ من هي مَعَهُ من أهل بَكِيْلٍ السِّلاح، على ذلك الذى رام أخذ بقرته، فثار عليهم أهل صنعاء الذين كانوا مجتمعين في باب الخليفة، وهم جماعة قليلون من العوام، وهؤلاء نحو أربعمائة، فوقع الرجم لهؤلاء من العامة، ثم بعد ذلك أخذوا ما معهم من الجمال التى يملكونها، وكذلك سائر دوابهم، فضلًا عن الدواب التي نهبوها على المسلمين، وأكثر بنادقهم، وسائر سلاحهم، وقتلوا منهم نِحو أربعة أنفار أو زيادة، وجَنُوا على جماعة منهم،وما وسعهم إلا الفرار إلى المساجد، وإلى محلات قضاء الحاجة، ولولا أن الخليفة بادر بزجر العامة عند ثوران الفتنة، لما تركوا منهم أحدًا، فصاروا الآن في ذِلَّةٍ عظيمة، زادهم الله ذلةً وقلل عددهم، وقد كان كثر أتباع صاحب الترجمة من الخاصة والعامة، وعملوا باجتهاده وتظاهروا بذلك، وقرأوا عليه كتب الحديث، وفيهم جماعة من الأجناد، بل كان الإمام المهدى يعجبه التظهر بذلك، وكذلك وزيره الكبير الفقيه أحمد بن علي النِّهْمِيُّ، وأميره الكبير الماس المهدي.

وما زال ناشرًا لذلك في الخاصة والعامة، غير مبالٍ بما يتوعده به المخالفون له، ووقعت في أثناء ذلك فتن كبار، وقاه الله شرها.

مصنفاته:

وله مصنفات جليلة حافلة منها:

«سبل السلام» اختصره من «البدر التمام» للمغربي.

ومنها: «منحة الغفار» جعلها حاشية على «ضوء النهار» للجلال.

ومنها: «العدة» جعلها حاشية على «شرح العمدة» لابن دقيق العيد.

ومنها: «شرح الجامع الصغير» للأسيوطي في أربعة مجلدات، شرحه قبل أن يقف على «شرح المناوي».

ومنها: «شرح التنقيح في علوم الحديث» للسيد الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وسماه «التوضيح».

ومنها: «منظومة الكافل» لابن مهران في الأصول، وشرحها شرحًا مفيدًا.

وله مصنفات غير هذه، وقد أفرد كثيرًا من المسائل بالتَّصْنِيْفِ، بما يكون جميعه في مجلدات، وله شعر فصيح مُنْسَجِم، جمعه ولده العلامة عبدالله بن محمد، في مجلد، وغالبه في المباحث العلمية، والتوجع من أبناء عصره، والردود عليهم.

وبالجملة فهو من الأئمة المجددين لمعالم الدِّين، وقد رأيته في المنام في سنة (١٢٠٦) وهو يمشي راجلًا وأنا راكب، في جماعة معي، فلما رأيته نزلت وسلمت عليه، فدار بيني وبينه كلام، حفظت منه أنه قال: دقق الإسناد، وتأنق في تفسير كلام رسول الله.

فخطر ببالي عند ذلك، أنه يشير إلى ما أصنعه في قراءة البخاري في الجامع، وكان يحضر تلك القراءة جماعة من العلماء، ويجتمع من العوام عالم لا يحصون، فكنت في بعض الأوقات أفسر الألفاظ الحديثية بما يفهم أولئك العوام الحاضرون، فأردت أن أقول له إنه يحضر جماعة لا يفهمون بعض الألفاظ العربية، فبادر وقال: قبل أن أتكلم قد علمت أنه يقرأ عليك جماعة وفيهم عامة، ولكن دقق الإسناد، وتأنق في تفسير كلام رسول الله. ثم سألته عند ذلك عن أهل الحديث، ما حالهم في الآخرة؟ فقال: بلغوا

بحديثهم الجنة، أو بلغوا بحديثهم بين يدي الرحمن. الشك مني، ثم بكى بكاءً عاليًا وضمني إليه، وفارقني.

فقصصت ذلك على بعض من له يد في التعبير، وسألته عن تأويل البكاء وللضم، فقال: لا بُدَّ أن يجري لك شيء مما جرى له من الامتحان، فوقع من ذلك بعد تلك الرؤيا عجائب وغرائب، كفى الله شرها.

وفاته:

وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١١٨٢) اثنتين وثمانين ومائة وألف، في يوم الثلاثاء ثالث شهر شعبان منها، ونظم بعضهم تاريخه فكان:

هكــذا محمــد في جنـــــــــــا ... ن الخلـــــــــــد قـد وصـلا

ورثاه شعراء العصر وتأسفوا عليه.

تلاميذه:

وله تلامذة نبلاء علماء مجتهدون، منهم:

١- شيخنا السيد العلامة عبدالقادر بن أحمد.

٢- والقاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن.

٣- والقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال.

٤- والسيد العلامة الحسن بن إسحاق بن المهدي.

٥- والسيد العلامة محمد بن إسحاق بن المهدي.

ووالده كان من الفضلاء الزاهدين في الدنيا، الراغبين في العمل، وله عرفان تامٌّ، وشعرٌ جيدٌ، ومات في: ثالث شهر ذى الحجة سنة (١١٤٢) اثنتين وأربعين ومائة وألفٍ، وكان وَلَدُهُ صاحب الترجمة إذ ذاك بشهارة.

* * *

ترجمة مختصرة للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

نسبه: هو شيخ الإسلام العلامة أبو الحسين محمد بن عبدالوهاب بن سليمان آل معضاد الوهيبي، من بني حنظلة بن مالك التميمي.

مولده:

ولد في العيينة - وهي تقع شمال غرب مدينة الرياض- من بلاد نجد سنة ١١١٥هـ.

أخذه للعلم وشيوخه:

حفظ القرآن قبل العاشرة من عمره، وأخذ عن كثير من العلماء، منهم:

١- والده عبدالوهاب بن سليمان.

٢- عبدالله بن إبراهيم بن سيف.

٣- محمد حياة السندي.

٤- عبدالله بن سالم البصري.

وغيرهم، وتلقى عنهم في النحو، والصرف، والحديث، والفقة.

من طلابه:

لما برز في العلم والدعوة، تلقى عنه جماعة من الطلاب، منهم:

١- عبد العزيز بن محمد بن سعود.

٢- سعود بن عبدالعزيز بن محمد.

٣- ولده حسين.

٤- ولده علي.

٥- ولده عبدالله.

٦- ولده إبراهيم.

٧- حفيده عبدالرحمن بن الحسن، صاحب «فتح المجيد» وغيرهم كثير.

من مؤلفاته:

ألف كتبًا نافعة نفع الله بها بين أوساط المسلمين في جميع البلاد الإسلامية، من

تلك المؤلفات:

١- كتاب التوحيد، وهو أجل كتبه.

٢- كشف الشبهات.

٣- الأصول الثلاثة.

٤- أصول الإيمان.

٥- مختصر زاد المعاد.

٦- مختصر السيرة.

٧- مسائل الجاهلية.

ثناء أهل العلم عليه:

مدحه الإمام الصنعاني بقصيدة عصماء، انتشرت في كثير من البلاد العربية، مطلعها:

سَلَامٌ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدِ ... وَإِنْ كَانَ تَسْلِيْمِيْ عَلَى البُعْدِ لَا يُجْدِيْ

وفيها:

وَقَدْ جَاءَتِ الأَخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ ... يُعِيْدُ لَنَا الشَّرْعَ الشَّرِيْفَ بِمَا يُبْدِيْ

وَيَنْشُرُ جَهْرًا مَا طَوَى كُلُّ جَاهِلٍ ... وَمُبْتَدِعٍ مِنْهُ فَوَافَقَ مَا عِنْدِيْ

وَيَعْمُرُ أَرْكَانَ الشَّرِيْعَةِ هَادِمًا ... مَشَاهِدَ ضَلَّ النَّاسُ فِيْهَا عَنِ الرُّشْدِ(١)

وقال عنه الشوكاني في «البدر الطالع» (٢/ ٧) وهو يتكلم عن بعض رسائله:

(وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة) وقال عن بعض أجوبته:

(جوابات محررة مقررة محققة، تدل على أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة).

وقال ابن بدران في «المدخل» صـ٤٤٧: العالم الأثري والإمام الكبير، محمد بن عبدالوهاب، رحل لطلب العلم وأجازه محدثو العصر بكتب الحديث وغيرها، ولما امتلأ وِطَابُهُ(٢) من الآثار، وعلم السنة، وبرع في مذهب أحمد، أخذ ينصر الحق،

(١) وهذا الكتاب الذي بين يديك، هو: نقاش وبيان لهذه القصيدة وعدم ثبوت النقض المدعى عليها.

(٢) الوطاب هو: الوعاء للسمن واللبن ونحوه، والمراد: امتلأ علمًا.

ويحارب البدع، ويقاوم ما أدخله الجاهلون في هذا الدين.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في أواخر سنة (١٢٠٦)هـ عن إحدى وتسعين سنة، وهبها بتوفيق الله له في التعلم ونشر العلم والمعتقد الصحيح، والذب عنه، والجهاد، والدعوة فرحمه الله رحمة الأبرار، وقد أُفردت ترجمته وحياته بمصنفات كبيرة وصغيرة.

ومن تلك المؤلفات:

«سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب» لأمين سعيد.

و«سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» لأحمد عبدالعفور العطار.

و«حياة الشيخ محمد بن الوهاب» لحسين خلف، وغيرها كثير وانظر: «المسك الأذفر» (١١١-١١٢)، و«الأعلام» (٧/ ١٣٧)، و«هداية العارفين» (٢/ ٣٥٠)، و«معجم المؤلفين» (١٠/ ٢٦٣-٢٧٠).

* * *

نص قصيدة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني

قال الإمامُ الصنعانيُّ في القصيدة المشهورة عنه، كما في «الديوان المنسوب إليه» (ص ١٢٨-١٣٢):

لما طارتِ الأخبارُ بظهور عالمٍ في نجدٍ يقالُ له: محمد بن عبدالوهاب ووصل إلينا بعض تلاميذه، وأخبرنا عن حقائق أحواله، وتشميره في التقوى، وفي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة (١١٦٣)، وأرسلناها من طريق مكة المشرفة. وهي:

سَلَامٌ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدِ ... وَإِنْ كَانَ تَسْلِيْمِيْ عَلَى البُعْدِ لَا يُجْدِيْ
لَقَدْ صَدَرَتْ مِنْ سَفْحِ صَنْعَا سُقَى ... الحَيَا رُبَاهَا وَحَيَّاهَا بِقَهْقَهَةِ الرَّعْدِ
سَرَتْ مِنْ أَسِيْرٍ يُنْشِدُ الرِّيْحَ إِنْ سَرَتْ ... أَلَا يَا صِبَا نَجْدٍ مَتَى هِجْتِ مِنْ نَجْدِ
يُسذَكِّرُنِيْ مَسْرَاكِ نَجْدًا وَأَهْلَهُ ... لَقَدْ زَادَنِيْ مَسْرَاكِ وِجْدًا عَلَى وِجْدِ
قِفِي وَاسْأَلِيْ عَنْ عَالِمٍ حَلَّ سُوْحَهَا ... بِهِ يَهْتَدِيْ مَنْ ضَلَّ عَنْ مَنْهَجِ الرُّشْدِ
مُحَمَّدِ الهَادِيْ لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ ... فَيَا حَبَّذَا الهَادِيْ وَيَا حَبَّذَا المَهْدِيْ
لَقَدْ أَنْكَرَتْ كُلُّ الطَّوَائِفِ قَوْلَهُ ... بِلَا صَدَرٍ فِي الحَقِّ مِنْهُمْ وَلَا وِرْدِ
وَمَا كُلُّ قَوْلٍ بِالقَبُوْلِ مُقَابَلٌ ... وَلَا كُلُّ قَوْلٍ وَاجِبُ الرَّدِّ وَالطَّرْدِ
سِوَى مَا أَتَى عَنْ رَبِّنَا وَرَسُوْلِهِ ... فَذَلِكَ قَوْلٌ جَلَّ قَدْرًا عَنِ الرَّدِّ
وَأَمَّا أَقَاوِيْلُ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا ... تَدُوْرُ عَلَى قَدْرِ الأَدِلَّةِ فِي النَّقْدِ
وَقَدْ جَاءَتِ الأَخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ ... يُعِيْدُ لَنَا الشَّرْعَ الشَّرِيْفَ بِمَا يُبْدِيْ
وَيَنْشُرُ جَهْرًا مَا طَوَى كُلُّ جَاهِلٍ ... وَمُبْتَدِعٍ مِنْهُ فَوَافَقَ[1] مَا عِنْدِيْ

---

(١) في «الديوان»: (موافق). والمثبت هو الصواب.

وَيَعْمُــرُ أَرْكَــانَ الــشَّرِيْعَةِ هَادِمًــا ... مَشَاهِدَ ضَلَّ النَّاسُ فِيْهَا عَنِ الرُّشْدِ
أَعَــادُوْا بِهَــا مَعْنَــى سِــوَاعَ وَمِثْلَــهُ ... يَغُــوْثَ وَوِدٌّ بِــئْسَ ذَلِــكَ مِــنْ وِدٍّ
وَقَــدْ هَتَفُــوْا عِنْــدَ الــشَّدَائِدِ بِاسْــمِهَا ... كَمَا يَهْتِــفُ المُــضْطَرُّ بِالــصَّمَدِ الفَــرْدِ
وَكَمْ عَقَرُوْا فِيْ سُوْحِهَا مِنْ عَقِيْرَةٍ ... أُهِلَّــتْ لِغَيْــرِ اللهِ جَهْــلًا عَلَــى عَمْــدِ
وَكَــمْ طَــائِفٍ حَــوْلَ القُبُــورِ مُقَبِّــلٌ ... وَمُــسْتَلِمُ الأَرْكَــانَ مِــنْهُنَّ بِالأَيْــدِ[1]

فصل في تحريق دلائل الخيرات

وَحَــرَّقَ عَمْــدًا لِلْــدَّلَائِلِ دَفْتَــرًا ... أَصَــابَ فَفِيْهَــا مَــا يُجَــلُّ عَــنِ العَــدِّ
غُلُــوٌّ نَهَــى عَنْــهُ الرَّسُــوْلُ وَفِرْيَــةٌ ... بِــلَا مِرْيَــةٍ فَاتْرُكْــهُ إِنْ كُنْــتَ تَــسْتَهْدِيْ
أَحَادِيْــثُ لَا تُعْــزَى إِلَــى عَــالِمٍ وَلَا ... تُــسَاوِيَ فِلْــسًا إِنْ رَجَعْــتَ إِلَــى النَّقْــدِ
وَصَــيَّرَهَا الجُهَّــالُ لِلْــذِكْرِ ضِــرَّةً ... يَرَى دَرْسَهَا أَذْكَى لَدَيْهِمْ مِنَ الحَمْدِ
لَقَــدْ سَــرَّنِيْ مَــا جَــاءَنِي مِــنْ طَرِيْقِــهِ ... وَكُنْتُ أَرَى هَذِيْ الطَّرِيْقَةِ لِي وَحْدِيْ

فصل في ذكر بدعة المذاهب

وَأَقْــبَحُ مِــنْ كُــلِّ ابْتِــدَاعٍ سَــمِعْتُهُ ... وَأَنْكَــاهُ لِلْقَلْــبِ المُوَفَّــقِ لِلْرُشْــدِ
مَــذَاهِبُ مَــنْ رَامَ الخِــلَافَ لِبَعْــضِهَا ... يَعُــضُّ بِأَنْيَــابِ الأَسَــاوِدِ وَالأُسْــدِ
يَــصُبُّ عَلَيْــهِ سَــوْطَ ذَمٍّ وَغِيْبَــةٍ ... وَيَجْفُوْهُ مَنْ قَدْ كَانَ يَهْوَاهُ عَنْ عَمْدِ
وَيُعْــزَى إِلَيْــهِ كُــلُّ مَــا لَا يَقُوْلُــهُ ... لِتَنْقِيْــصِهِ عِنْــدَ التَّهَــامِيِّ وَالنَّجْــدِيْ
فَيَرْمِيْــهِ أَهْــلُ الــرَّفْضِ بِالنَّــصْبِ فِرْيَــةً ... وَيَرْمِيْهِ أَهْلُ النَّصْبِ بِالرَّفْضِ وَالجَحْدِ
وَلَــيْسَ لَــهُ ذَنْــبٌ سِــوَى أَنَّــهُ غَــدَا ... يُتَــابِعُ قَــوْلَ اللهِ فِــي الحِــلِّ وَالعَقْــدِ

---

(١) في الأصل: (اليدي). والصواب المثبت، كما في «ديوان الصنعاني» (ص ١٢٩) وما بين المعكوفين مقتبسٌ من هناك.

وَيَتْبَــعُ أَقْــوَالَ النَّبِــيِّ مُحَمَّــدِ ... وَهَلْ غَيْرُهُ بِاللهِ فِي الشَّرْعِ مَنْ يَهْدِيْ
لَــئِنْ عَــدَّهُ الجُهَّــالُ ذَنْبًــا فَحَبَّــذَا ... بِــهِ حَبَّــذَا يَــوْمَ انْفِــرَادِيَ فِــي لَحْــدِيْ
عَــلَامَ جَعَلْــتُمْ أَيُّهَــا النَّــاسُ دِيْنَنَــا ... لِأَرْبَعَــةٍ لَا شَــكَّ فِــي فَــضْلِهِمْ عِنْــدِي
هُــمُ عُلَــمَاءُ الــدِّيْنِ شَــرْقًا وَمَغْرِبًــا ... وَنُوْرُ عُيُــونِ الفَــضْلِ وَالحَــقِّ وَالزُّهْــدِ
وَلَكِــنَّهُمْ كَالنَّــاسِ لَــيْسَ كَلَامُهُــمْ ... دَلِــيْلًا وَلَا تَقْلِيْــدُهُمْ فِــي غَــدٍ يُجْــدِيْ
وَلَا زَعَمُــوا حَاشَــاهُمُ إِنَّ قَــوْلَهُمْ ... دَلِيْــلٌ فَيَــسْتَهْدِيْ بِــهِ كُــلُّ مُــسْتَهْدِيْ
بَــلَ صَــرَّحُوْا أَنَّــا نُقَابِــلُ قَــوْلَهُمْ ... إِذَا خَالَفَ المَنْصُوْصَ بِالقَدْحِ وَالـرَّدِّ

فصل في الثناء على من تمسك بالأحاديث من السلف

سَــلَامٌ عَلَــى أَهْــلِ الحَــدِيْثِ فَــإِنَّنِيْ ... نَشَأْتُ عَلَى حُبِّ الأَحَادِيْثِ مِنْ مَهْدِيْ
هُــمُ بَــذَلُوْا فِــي حِفْــظِ سُــنَّةِ أَحْمَــدِ ... وَتَنْقِيْحِهَــا مِــنْ جَهْــدِهِمْ غَايَــةَ الجَهْــدِ
وَأَعْنِــي بِهِــمْ أَسْــلَافَ أُمَّــةِ أَحْمَــدِ ... أُوْلَئِكَ فِي بَيْــتِ القَــصِيْدِ هُــمُ قَــصْدِيْ
أُوْلَئِــكَ أَمْثَــالُ البُخَــارِيْ وَمُــسْلِمٍ ... وَأَحْمَدَ أَهْلُ الجِــدِّ فِــي العِلْــمِ وَالجِــدِّ
بُحُــوْرٌ وَحَاشَــاهُمْ عَــنِ الجَــزْرِ إِنَّــمَا ... لَهُــمْ مَــدَدٌ يَــأْتِي مِــنَ اللهِ بِالمَــدِّ
رَوَوْا وَارْتَــوَوْا مِــنْ بَحْــرِ عِلْــمِ مُحَمَّــدِ ... وَلَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ المَذَاهِبُ مِنْ وِرْدِ
كَفَــاهُمْ كِتَــابُ اللهِ وَالــسُّنَّةُ الَّتِــيْ ... كَفَتْ[1] قَبْلَهُمْ صَحْبُ الرَّسُوْلِ ذَوِيْ المَجْدِ
أَأَنْــتُمْ بِأَهْــدَى أَمْ صَــحَابَةُ أَحْمَــدِ ... وَأَهْلُ الكِسَا هَيْهَاتَ مَا الشَّوْكُ كَالوَرْدِ
أُوْلَئِــكَ أَهْــدَى فِــي الطَّرِيْقَــةِ مِــنْكُمُ ... فَهُمْ قُدْوَتِي حَتَّــى أُوَسَّــدَ فِــي لَحْــدِيْ
وَشَــتَّانَ مَــا بَــيْنَ المُقَلِّــدِ فِــي الهُــدَى ... وَمَــنْ يَقْتَــدِيْ وَالــضِّدُّ يُعْــرَفُ بِالــضِّدِّ
فَمَــنْ قَلَّــدَ الــنُّعْمَانَ أَصْــبَحَ شَــارِبًا ... نَبِيْــذًا وَفِيْــهِ القَــوْلُ لِلْــبَعْضِ بِالحَــدِّ

---

(١) في الأصل: (كفته) والصواب المثبت.

وَمَنْ يَقْتَدِيْ أَضْحَى إِمَامَ مَعَارِفٍ ... وَكَانَ أُوَيْسًا فِي العِبَادَةِ وَالزُّهْدِ
فَمُقْتَدِيًا فِي الحَقِّ كُنْ لَا مُقَلِّدًا ... وَخَلِّ أَخَا التَّقْلِيْدِ فِي الأَسْرِ بِالقَدِّ

فصل في بدعة التصوف وطريقة ابن عربي

وَأَكْفَرُ أَهْلِ الأَرْضِ مَنْ قَالَ[1] إِنَّهُ ... إِلَهٌ وَأَنَّ اللهَ جَلَّ عَنِ النِّدِّ
مُسَمَّاهُ كُلُّ الكَائِنَاتِ جَمِيْعُهَا ... مِنَ الكَلْبِ وَالخِنْزِيْرِ وَالقِرْدِ وَالفَهْدِ
وَأَنَّ عَذَابَ النَّارِ عَذْبٌ لِأَهْلِهِ ... سَوَاءٌ عَذَابُ النَّارِ أَوْ جَنَّةُ الخُلْدِ
وَعُبَّادُ عِجْلِ السَّامِرِيِّ عَلَى هُدَى ... وَلَائِمُهُمْ فِي اللَّوْمِ لَيْسَ عَلَى رُشْدِ
وَيَنْشُدُنَا عَنْهُ نُصُوصُ فُصُوْصِهِ ... تُنَادِيْ خُذُوْا فِي النَّظْمِ مَضْمُونَ مَا عِنْدِيْ
وَكُنْتُ امْرَءًا مِنْ جُنْدِ إِبْلِيْسَ فَارْتَمَى ... بِيَ الدَّهْرُ حَتَّى صَارَ إِبْلِيْسُ مِنْ جُنْدِيْ
فَلَوْ مَاتَ قَبْلِيْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ بَعْدَهُ ... دَقَائِقَ كُفْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا بَعْدِيْ
وَكَمْ مِنْ ضَلَالٍ فِي الفُتُوحَاتِ صَدَّقَتْ ... بِهِ فِرْقَةٌ صَارُوْا أَلَدَّ مِنَ اللُّدِّ
يَلُوْذُوْنَ عِنْدَ العَجْزِ بِالذَّوْقِ لَيْتَهُمْ ... يَذُوْقُوْنَ طَعْمَ الحَقِّ فَالحَقُّ كَالشُّهْدِ
فَنَسْأَلُهُمْ مَا الذَّوْقُ قَالُوا مَنَالُهُ ... عَزِيْزٌ فَلَا بِالرَّسْمِ يُدْرَكُ وَالحَدِّ
تَسَتُّرُهُمْ بِالكَشْفِ وَالذَّوْقِ أَشْعَرَا ... بِأَنَّهُمُ عَنْ مَطْلَبِ الحَقِّ فِي بُعْدِ
وَمَنْ يَطْلُبِ الإِنْصَافَ يَدْلُ بِحُجَّةٍ ... وَيَرْجِعُ أَحْيَانًا وَيَهْدِيْ وَيَسْتَهْدِيْ
وَهَيْهَاتَ كُلٌّ فِي الدِّيَانَةِ تَابِعٌ ... أَبَاهُ كَأَنَّ الحَقَّ فِي الأَبِ وَالجَدِّ
وَقَدْ قَالَ هَذَا قَبْلَهُمْ كُلُّ مُشْرِكٍ ... فَهَلْ قَدْ حَوَى هَذِيْ العَقِيْدَةَ مِنْ رَنْدِ
كَذَلِكَ أَصْحَابُ الكِتَابِ تَتَابَعُوا ... عَلَى مَذْهَبِ الآبَاءِ فَرْدًا عَلَى فَرْدِ

(١) في الديوان: (لمن قاله). والصواب المثبت.

فصل في اغتراب الدين

وَهَـذَا اغْتِـرَابُ الـدِّيْنِ فَاصْـبِرْ فَـإِنَّنِيْ ... غَرِيْـبٌ وَأَصْـحَابِيْ كَثِيْـرٌ بِـلَا عَـدِّ
إِذَا مَـا رَأَوْنِـيْ عَظَّمُـوْنِيْ وَإِنْ أَغِـبْ ... فَكَمْ أَكَلُوا لَحْمِيْ وَكَمْ مَزَّقُوْا جِلْـدِيْ
هَنِيْئًـا مَرِيْئًـا فِـيْ اغْتِيَـابِيْ فَوَائِـدٌ ... فَكُـلُّ فَتًـى يَغْتَـابُنِيْ فَهْـوَ لِـي مُهْـدِيْ
يُـصَلِّيْ وَلِـيْ أَجْـرُ الـصَّلَاةِ وَصَـوْمُهُ ... وَلِـيْ كُـلُّ شَـيْءٍ مِـنْ مَحَاسِـنِهِ يُبْـدِيْ
وَكَـمْ حَاسِـدٍ قَـدْ أَنْـضَجَ الغَـيْظُ قَلْبَـهُ ... وَلَكِنَّـهُ غَـيْظُ الأَسِـيْرِ عَلَـى القِـدِّ
وَدُوْنَكَهَـا تَحْـوِيْ عُلُومًـا جَلِيْلَـةً ... مُنَزَّهَـةً عَـنْ وَصْـفِ قَـدٍّ وَعَـنْ خَـدِّ
فَـلَا مَـدَحَتْ وَصْـلًا لِلَيْلَـى وَزَيْنَـبٍ ... وَلَا هِيَ ذَمَّتْ هَجْـرَ سُـعْدَى وَلَا هِنْـدِ
إِلَيْكَ طَـوَتْ عَـرْضَ الفَيَـافِيِ وَطُوْلَهَـا ... فَكَمْ جَاوَزَتْ غَوْرًا وَنَجْـدًا إِلَـى نَجْـدِ
أَنَاخَـتْ بِنَجْـدٍ وَاسْـتَرَاحَ رِكَابُهَـا ... وَعَـادَ خَلِيًّـا عَـنْ رَحِيْـلٍ وَعَـنْ شَـدِّ
فَأَحْـسِنْ قِرَاهَـا بِـالقِرَاءَةِ نَاظِمًـا ... جَوَابًا فَقَدْ أَضْحَتْ لَـدَيْكَ مِـنَ الوَفْـدِ
وَصَـلِّ عَلَـى المُخْتَـارِ وَالآلِ إِنَّهَـا ... لِحُـسْنِ خِتَـامِ الـنَّظْمِ وَاسِـطَةُ العَقْـدِ

ولمَّا اطلع عليها الشيخ العلامة ناصر بن حسين المحبشي رَحِمَهُ اللهُ، راجع مولانا البدر رضي الله عنه نثرًا ونظمًا سائلًا عن وجه تصويب «تحريق دلائل الخيرات» فأجابه نظمًا:

أَتَـانِيَ دُرُّ الـنَّظْمِ مِـنْ عَـالِمٍ مَهْـدِيْ ... إِلَـى عَـالِمٍ حَبْـرٍ تُقَـى مِـنْ نَجْـدِ
يُقَرِّضُـهُ فِيْـهِ لِحُـسْنِ طَرِيْقَـةٍ ... تَحَلَّـى بِهَـا بَـيْنَ الأَنَـامِ عَلَـى قَـصْدِ
لِيَنْـصُرَ شَـرْعَ اللهِ مِمَّـنْ أَصَـابَهُ ... بِجَهْـلٍ وَتَقْلِيْـدِ الأَوَائِـلِ عَـنْ عَمْـدِ
وَلَكِنَّـهُ قَـدْ حَـكَّ فِـي الـصَّدْرِ قَـوْلُكُمْ ... أَصَـابَ فَفِيْهَـا مَـا يَحِـلُّ عَـنِ العَـدِّ
أَزِلْ مَـا عَـسَاهُ أَنْ يَكُـوْنَ تَخَـيُّلًا ... مُفَـصَّلَهُ فِـي النَّثْـرِ مِـنْ وَاضِـحِ الـرَّدِّ
فَلِلَّـهِ مَـا أَسْـدَيْتَ يَـا عَـالِمَ الـوَرَى ... وَلَا زِلْـتَ فِيْنَـا دَائِـمًا لِلْهُـدَى تَهْـدِيْ

لَقَدْ سَرَّنِي مَا جَاءَنِيْ مِنْكَ مُرْشِدًا ... وَذَكَّرَنِـي أَيَّـامَ شَـافَهْتَ بِالرُّشْـدِ
لَيَـالِيَ قَـضَّيْنَا مِـنَ العِلْـمِ حَقَّـهُ ... وَأَبْدَلَ فِيْهِ مَسْلَكَ النَّحْسِ بِالسَّعْدِيْ
فَلَيْـتَ إِلَهِـيْ يَجْمَـعِ الشَّمْلَ بَيْنَنَـا ... نُجَـدِّدُ لِلْعِلْـمِ الشَّبِيْبَةَ بِالعَهْـدِ
أَحِـنُّ لِأَيَّـامِ الوِصَـالِ وَطِيْبِهَـا ... وَيُـوْهِنُنِيْ أَنَّ التَّأَسُّـفَ لَا يُجْـدِيْ
وَإِنِّـي عَلَـى شَـرْطِ المَـوَدَّةِ وَالإِخَـاءِ ... وَإِنْ كَانَـتِ الأَجْسَادُ مِنَّـا عَلَـى بُعْـدِ
فَدُمْ فِيْ رِضَـا مَـوْلَاكَ فِـيْ كُـلِّ لَحْظَـةٍ ... وَذَكِّـرْ فَـإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَـعُ فِـيْ الخُلْـدِ

فَأَجَابَ مولانا البدر رضوان الله عليه:

يُـسَائِلُونِي مَـنْ بِاهْتِـدَائِيَ يَـسْتَهْدِيْ ... وَذَلِكَ هُدْيُ المُصْطَفَى خَيْرُ مَنْ يَهْدِيْ
عَلَامَ أُصَـوِّبُ رَأْيَ مَـنْ أَحْـرَقَ الـدَّلَا ... ئِلَ لِلْخَيْـرَاتِ مِـنْ سَـاكِنِيْ نَجْـدِ
وَأَحْسَنْتَ بِاسْتِكْشَافِ مَـا هُـوَ مُـشْكِلٌ ... لَدَيْكَ فَخُذْ عَنِّيْ الجَوَابَ الَّذِيْ أُبْـدِيْ
وَقَدْ قُلْتُ فِيْ الأَبْيَاتِ مَا أَنْـتَ عَـارِفٌ ... لَـهُ مِـنْ دَلِيْـلٍ فِـيْ الـذِّيْ قُلْتُـهُ عِنْـدِيْ
غُلُـوٌّ نَهَـى عَنْـهُ الرَّسُـوْلُ وَفِرْيَـةٌ ... بِـلَا مِرْيَـةٍ فَاتْرُكْـهُ إِنْ كُنْـتَ مُـسْتَهْدِيْ
أَحَادِيْـثُ لَا تُعْـزَى إِلَـى عَـالِمٍ وَلَا ... تُـسَاوِيْ فِلْـسًا إِنْ رَجَعْـتَ إِلَـى النَّقْـدِ
فَهَـذَانِ مِـنْ أَقْـوَى الأَدِلَّـةِ عِنْـدَ مَـنْ ... يُـصَوِّبُ تَحْرِيْـقَ البَيَـاضِ مَـعَ الجِلْـدِ
وَأَشْـرَحُهَا بِـالنَّثْرِ فَـالنَّظْمُ قَاصِـرُ الـ ... ـعِبَارَةِ عَـنْ ذِكْـرِ الأَدِلَّـةِ وَالـسَّرْدِ
وَخَيْرُ الأُمُـوْرِ الـسَّالِفَاتِ عَلَـى الهُـدَى ... وَشَرُّ الأُمُـوْرِ المُحْـدَثَاتُ عَلَـى عَمْـدِ
وَذَكَّرْتَنِـي يَـابْنَ الحُـسَيْنِ لَيَالِيًـا ... تَقَضَّتْ لَنَا بِالوَصْلِ فِيْ طَالِعِ السَّعْدِ
نَخُـوْضُ بِهَـا فِـيْ كُـلِّ فَـنٍّ بِفِطْنَـةٍ ... وَذِهْنٍ يُرَى أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ الهِنْـدِيْ
فَنَفْـتَحُ مِنْهَـا كُـلَّ مَـا كَـانَ مُقْفَـلًا ... وَنَفْـتَضُّ أَبْكَـارَ المَعَـانِيْ بِمَـا نُبْـدِيْ
كَأَنَّـا إِذَا مَـا مَجْلِـسُ العِلْـمِ ضَـمَّنَا ... نَكُوْنُ عَلَى التَّحْقِيْـقِ فِـيْ جَنَّـةِ الخُلْـدِ

فَــوَ اللهِ مَــا فِــيْ هَــذِهِ الــدَّارِ لَــذَّةٌ ... سِوَى العِلْمِ إِنْ وَافَقْتُ فِيْ العِلْمِ مَنْ يَهْدِيْ
ذَكِيًّــا تَقِيًّــا مُنْــصِفًا لَــيْسَ هَمُّــهُ ... سِوَى الحَقِّ يَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ وَيَسْتَهْدِيْ
قَنُوْعًــا مِــنَ الــدُّنْيَا كَفَــاهُ كَفَافُهَــا ... تَــسَرْبَلَ فِيْهَــا بِالقَنَاعَــةِ وَالزُّهْــدِ
يُنَاصِــحُ سُكَّانَ البَسِيْطَةِ طَـاهِرًا الــ ... لِسَانِ سَلِيْمَ الصَّدْرِ خَلْوًا عَـنِ الحِقْـدِ
فَهَــذَا الــذي لَــوْ كُنْــتُ يَوْمًـا وَجَدْتُـهُ ... ظَفِرْتُ بِمَا أَهْـوَىْ وَجُـدْتُ بِـمَا عِنْـدِيْ
عَــسَى وَلَعَــلَّ اللهَ يَجْمَــعُ شَــمْلَنَا ... فَقَــدْ يَجْمَــعُ اللهُ الــشَّتِيْتَيْنِ مِــنْ بُعْـدِ
وَتَخْــضَرُّ رَوْضَــاتُ العُلُــوْمِ وَنَجْتَنِــيْ ... ثِمَارَ الهُدَىْ وَالحَقِّ مِنْ رَوْضِهَا الـوَرْدِيْ
وَإِلَّا فَــصِلْنِيْ بِالــدُّعَاءِ كُــلَّ سَــاعَةٍ ... إِذَا كُنْتَ حَيًّـا أَوْ رَحَلْـتُ إِلَـى لَحْـدِيْ
وَقُــلْ لِــيْ جَــزَاهُ اللهُ خَيْــرًا فَإِنَّــهُ ... دَعَانَــا إِلَــى نَهْــجِ الهِدَايَــةِ وَالرُّشْــدِ
إِلَــى هَــدْيِ خَيْــرِ المُرْسَلِيْنَ مُحَمَّـدٍ ... عَلَيْــهِ صَــلَاةُ اللهِ تَتْــرَىْ بِــلَا عَــدٍّ
وَصَلِّ عَلَى الآلِ الكِرَامِ وَصَـحْبِهِ الــ ... ـفِخَامِ ذَوِيْ العِزِّ المَشِيْدِ (وَالمَجْدِ)[1]

ثُمَّ قال مولانا البدر رضي الله عنه بعد الأبيات المتقدمة ما لفظه:

لـمَّا بلغت هذه الأبيات نجدًا، ووصل إلينا بعد أعوام من بلوغها إلى أهـل نجـد، رجل عالم يسمى مربد بن أحمد التيمي كان وصوله في شهر صفر سـنة (١١٧٠) وأقـام لدينا ثمانية أشهر، وحصل بعض كتب ابن تيمية وابن القيم بخطه:

وفارقنا في عشرين شوال (١١٧٠) راجعًا إلى وطنه، ووصل من طريق الحجاز مع الحجاج، وكان من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي وجَّهْنَا إليـه الأبيـات، فأخبرنا ببلوغها، ولم يأت بجواب عنها:

وكان قد تقدمه في الوصول إلينا بعد بلوغها الشيخ عبدالرحمن النجدي، ووصـف من حال محمد بن عبـدالوهاب أشـياءَ أنكرناهـا مـن سـفكِهِ الـدِّمَاءَ ونَهْبِـهِ الأمـوال وتَـجَارِيْهِ على قَتْلِ النُّفُوس، ولو بالاغتيال، وتكفيره الأمة المحمدية في جميع الأقطار.

التميمي وهو مربد بن أحمد بن عمر التميمي الحريملي النجدي قتل سنة ١١٧١هـ

---

(١) كذا في الأصل.

فبقينا نتردد فيما نقله الشيخ عبدالرحمن، حتى وصل الشيخ مربد، وله نباهة، وأوصل بعض رسائل ابن عبدالوهاب التي جمعها في وجه تكفيره أهل الإيمان وقتلهم ونهبهم، وحقق لنا أحواله وأقواله وأفعاله.

فرأينا أحواله أحوال رَجُلٍ عرف من الشريعةِ شطرًا ولم يُمْعِنِ النَّظَر، ولا قرأ على من يَهْدِيْهِ نهج الهداية، وَيَدُلُّهُ على العلوم النافعة، وَيُفَقِهُهُ في الدين.

بل طالع بعضًا من مؤلفات أبي العباس ابن عمه[1] ومؤلفات تلميذه ابن القيم الجوزية، وقلدهما من غير إتقان، مع أنهما يحرمان التقليد.

ولما حقق لنا أحواله، ورأينا في الرسائل أقواله، وذكر لنا أنه عظم شأنه بوصول الأبيات التي وجهناها إليه، وأنه يتعين علينا نقض ما قدمناه، وحلُّ ما أبرمناه، وكانت أبياتنا قد طارت كل مطار، وبلغت غالب الأقطار، وأتتنا فيها جوابات من مكة المشرفة، ومن البصرة وغيرهما، إلَّا أنها جوابات خالية عن الإنصاف.

ولمَّا أخذ علينا الشيخ مربد ذلك، تعين علينا؛ لئلا يكون سببًا في شيءٍ من هذه الأمور التي ارتكبها ابن عبدالوهاب المذكور، كتبتُ أبياتًا وشرحها، وأكثرت من النقل عن ابن القيم وشيخه ابن تيمية؛ لأنهما عمدة الحنابلة. انتهى كلام الوالد البدر رحمه الله. والأبيات هي:

نص قصيدة التراجع

قال ناظمها كما في «الديوان» المنسوب إلى الصنعاني (ص ١٣٤-١٤٠):

رَجَعْتُ عَنِ النَّظْمِ الذِيْ قُلْتُ فِي النَّجْدِيْ	فَقَدْ صَحَّ لِيْ عَنْهُ خِلَافَ الذِيْ عِنْدِيْ
ظَنَنْتُ بِهِ خَيْرًا وَقُلْتُ عَسَى عَسَى	نَجِده نَاصِحًا يَهْدِيْ الأَنَامَ وَيَسْتَهْدِيْ
فَقَدْ خَابَ فِيْهِ الظَّنُّ لَا خَابَ نُصْحَنَا	وَما كُلُّ ظَنٍّ لِلْحَقَائِقِ لِيْ يَهْدِيْ

---

(١) قال في حاشية «الديوان»: تنبيه: الذي يظهر أن هذه القصيدة مزورة على الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني ومختلقة، وقد ذكر في الذي قبله أن ابن تيمية ابن عم للشيخ محمد بن عبد الوهاب، فهل يجهل الإمام الصنعاني شيخ الإسلام ابن تيمية ونسبه؟!! ولكن قاتل الله المغرضين، وكلام الإمام الصنعاني في مؤلفه «تطهير الاعتقاد» يكفي المنصف.

وَقَدْ جَاءَنَا مِنْ أَرْضِهِ الشَّيْخُ مَرْبَدٌ فَحَقَّقَ مِنْ أَحْوَالِهِ كُلَّ مَا يُبْدِي
وَقَدْ جَاءَ مِنْ تَأْلِيفِهِ بِرَسَائِلٍ يُكَفِّرُ أَهْلَ الأَرْضِ فِيهَا[1] عَلَى عَمْدِ
وَلَفَّقَ فِي تَكْفِيرِهِمْ كُلَّ حُجَّةٍ تَرَاهَا كَبَيْتِ العَنْكَبُوتِ لِذِي النَّقْدِ
تَجَارِي عَلَى إِجْرَا دِما كُلِّ مُسْلِمٍ مُصَلٍّ مُزَكٍّ لَا يَحُولُ عَنِ العَهْدِ
(وَقَدْ جَاءَنَا عَنْ رَبِّنَا فِي بَرَاءَةٍ بَرَاءَتُهُمْ مِنْ كُلِّ كُفْرٍ وَمِنْ جَحْدِ)
وَإِخْوَانَنَا سَمَّاهُمُ اللهُ فَاسْتَمِعْ لِقَوْلِ الإِلَهِ الوَاحِدِ الصَّمَدِ الفَرْدِ
وَقَدْ قَالَ خَيْرُ المُرْسَلِينَ: «نُهِيتُ عَنْ» فَمَا بَالُهُ لَمْ يَنْتَهِ الرَّجُلُ النَّجْدِيُّ
وَقَالَ لَهُمْ لَا مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ فِي أُنَاسٍ أَتَوْا كُلَّ القَبَائِحِ عَنْ قَصْدِ
أَبِنْ لِي أَبِنْ لِي لِمَ سَفَكْتَ دِمَاءَهُمْ لِمْ نَهَبْتَ المَالَ قَصْدًا عَلَى عَمْدِ
وَقَدْ عَصِمُوا هَذَا وَهَذَا بِقَوْلِ لَا إِلَهَ سِوَى اللهِ المُهَيْمِنِ ذِيْ المَجْدِ
وَقَالَ ثَلَاثٌ لَا يَحِلُّ بِغَيْرِهَا دَمُ المُسْلِمِ المَعْصُومِ فِي الحِلِّ وَالعَقْدِ
وَقَالَ عَلِيٌّ فِي الخَوَارِجِ إِنَّهُمْ مِنَ الكُفْرِ فَرُّوْا بَعْدَ فِعْلِهِمُ المُرْدِيْ
وَلَمْ يَحْفِرِ الأُخْدُوْدَ فِي دَارِ كِنْدَةٍ لِيَحْرِقَهُمْ فَافْهَمْ إِذَا كُنْتَ تَسْتَهْدِيْ
وَلَكِنْ لِقَوْمٍ قَدْ أَتَوْا لِعَظِيْمَةٍ فَقَالُوْا عَلَيٌّ رَبُّنَا مُنْتَهَى القَصْدِ
وَهَذَا هُوَ الكُفْرُ الصَّرِيْحُ وَلَيْسَ ذَا بِرَفْضٍ وَلَا رَأْيِ الخَوَارِجِ فِي المَهْدِيْ
وَقَدْ قُلْتَ فِي المُخْتَارِ أَجْمَعَ كُلُّ مَنْ حَوَى عَصْرُهُ مِنْ تَابِعِيٍّ وَذِيْ الرُّشْدِ
عَلَى كُفْرِهِ هَذَا يَقِيْنٌ لِأَنَّهُ تَسَمَّى نَبِيًّا لَا كَمَا قُلْتَ فِي الجَعْدِ
فَذَلِكَ لَم يُجْمِعْهُمْ عَلَى قَتْلِهِ وَلَا سِوَى خَالِدٍ ضَحَّى بِهِ وَهْوَ عَنْ قَصْدِ
وَقَدْ أَنْكَرَ الإِجْمَاعَ أَحْمَدُ قَائِلًا لِمَنْ يَدَّعِيْهِ قَدْ كَذَبْتَ بِلَا جَحْدِ

---

(١) ليست في «الديوان». والصواب إثباتها.

كَـدَعْوَاهُ فِـي أَنَّ الـصَّحَابَةَ أَجْمَعُـوْا عَلَى قَتْلِهِمْ وَالـسَّبْيِ وَالنَّهْـبِ وَالطَّـرْدِ
لِمَـنْ لِزَكَـاةِ الـمَالِ قَـدْ كَـانَ مَانِعًـا وَذَلِـكَ مِـنْ جَهْـلٍ بِـصَاحِبِهِ يُـرْدِيْ
فَقَـدْ كَـانَ أَصْـنَافُ العُـصَاةِ ثَلَاثَـةً كَـمَا قَـدْ رَوَاهُ المُـسْنِدُوْنَ ذَوِيْ النَّقْـدِ
وَقَـدْ جَاهَـدَ الـصِّدِّيْقُ أَصْـنَافَهُمْ وَلَـمْ يُكَفِّرْ مِنْهُمُ غَيْـرَ مَـنْ ضَـلَّ عَـنْ رُشْـدِ
وَهَذَا لَعَمْـرِيْ غَيْـرُ مَـا أَنْـتَ فِيْـهِ مِـنْ تَجَارِيْكَ فِي قَتْلٍ لِمَـنْ كَـانَ فِـي نَجْـدِ
فَـإِنَّهُمُ قَـدْ بَـايَعُوْكَ عَلَـى الهُـدَى وَلَـم يَجْعَلُـوا للهِ فِـي الـدِّيْنِ مِـنْ نِـدِّ
وَقَدْ هَجَـرُوا مَـا كَـانَ مِـنْ بِـدَعٍ وَمِـنْ عِبَـادَةِ مَـنْ حَـلَّ المَقَـابِرَ فِـي اللَّحْـدِ
فَـمَا لَـكَ فِـيْ سَـفْكِ الـدِّمَا قَـطُّ حُجَّـةٌ خَفِ اللهَ وَاحْـذَرْ مَـا تُـسِرُّ وَمَـا تُبْـدِيْ
وَعَامِـلْ عِبَـادَ اللهِ بِـاللُّطْفِ وَادْعُهُـمْ إِلَى فِعْلِ مَـا يَهْـدِيْ إِلَـى جَنَّـةِ الخُلْـدِ
وَرُدَّ عَلَـيْهِمْ مَـا سَـلَبْتَ فَإِنَّـهُ حَـرَامٌ وَلَا تَغْتَـرَّ بِـالعِزِّ وَالجِـدِّ
وَلَا بِأُنَـاسٍ حَـسَّنُوا لَـكَ مَـا تَـرَى فَـمَا هَمُّهُـمْ إِلَّا الإِثَـاثَ مَـعَ النَّقْـدِ
يُرِيْـدُوْنَ نَهْـبَ المُـسْلِمِيْنَ وَأَخْـذَ مَـا بِأَيْـدِيْهِمُ مِـنْ غَيْـرِ خَـوْفٍ وَلَا حَـدِّ
فَرَاقِبْ إِلَهَ العَـرْشِ مِـنْ قَبْـلِ أَنْ تُـرَى صَرِيْعًا[1] فَلَا شَـيْءٌ يُفِيْـدُ وَلَا يُجْـدِيْ
نَعَـمْ وَاعْلَمُـوْا أَنِّـي أَرَى كُـلَّ بِدْعَـةٍ ضَلَالًا عَلَى مَا قُلْـتُ فِـي ذَلِـكَ العِقْـدِ
وَلَا تَحْسَبُوا أَنِّيْ رَجَعْـتُ عَـنِ الـذِيْ ضَـمَّنَهُ نَظْمِـيْ القَـدِيْمُ إِلَـى نَجْـدِ
بَلَـى كُـلُّ مَـا فِيْـهِ هُـوَ الحَـقُّ إِنَّـمَا تَجَارِيْكَ فِيْ سَفْكِ الدِّمَا لَيْسَ مِنْ قَصْدِيْ
وَتَكْفِيْـرُ أَهْـلِ الأَرْضِ لَـسْتُ أَقُوْلُـهُ كَـمَا قُلْتَـهُ لَا عَـنْ دَلِيْـلٍ بِـهِ تَهْـدِيْ
وَهَا أَنَـا أَبْـرَأُ مِـنْ فِعَالِـكَ فِـيْ الـوَرَى فَمَا[2] أَنْتَ فِيْ هَذَا مُـصِيْبٌ وَلَا مَهْـدِيْ

---

(١) في الأصل: صديقًا.

(٢) في «الديوان»: (فأنت). والصواب المثبت.

وَدُوْنَكَهَا مِنِّيْ نَصِيْحَةَ مُشْفِقٍ … عَلَيْكَ عَسَى تَهْدِيْ لِهَذَا وَتَسْتَهْدِيْ
وَتُغْلِقُ أَبْوَابَ الغُلُوِّ جَمِيْعِهِ … وَتَأْتِيْ الأُمُوْرَ الصَّالِحَاتِ عَلَى قَصْدِ
وَهَذَا نِظَامِيْ جَاءَ وَاللهِ حُجَّةً … عَلَيْكَ فَقَابِلْ بِالقَبُوْلِ الذِيْ أُهْدِيْ

أنواع الكفر

نَعَمْ ثُمَّ إِنَّ الكُفْرَ قِسْمَانِ فَاعْلَمُوْا … وَكُلٌّ مِنَ القِسْمَيْنِ أَحْكَامُهُ أُبْدِيْ

الأول:

فَكُفْرُ اعْتِقَادٍ حُكْمُهُ السَّفْكُ لِلدِّمَا … وَسَبْيُ الذَّرَارِيْ وَانْتِهَابُ ذَوِيْ الجَحْدِ
إِلَى أَنْ يُقِرُّوْا بِالشَّهَادَةِ لِلَّذِيْ … لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ الإِلَهُ الذِيْ يَهْدِيْ
وَأَنْ يَشْهَدُوْا أَنَّ الرَّسُوْلَ مُحَمَّدًا … نَبِيٌّ أَتَى بِالحَقِّ وَالنُّوْرِ وَالرُّشْدِ
وَأَنْ يَشْهَدُوْا أَنَّ المَعَادَ حَقِيْقَةٌ … يُعِيْدُهُمْ رَبُّ العِبَادِ الذِيْ يُبْدِيْ
خَلَا مَنْ لَهُ مِنْهُمْ كِتَابٌ فَإِنَّهُ الـ … مُعَاهِدُ وَالإِيْفَاءُ حَتْمٌ لِذِيْ العَهْدِ

الثاني:

وَكُفْرٌ كَمَنْ يَأْتِيْ الكَبَائِرَ لَا سِوَى … وَلَيْسَ كَكُفْرٍ بِالمُعِيْدِ وَبِالمُبْدِيْ
كَتَارِكِ فَرْضٍ لِلصَّلَاةِ تَعَمُّدًا … وَتَارِكُ حُكْمِ اللهِ فِيْ الحِلِّ وَالعَقْدِ
وَمَنْ صَدَّقَ الكُهَّانَ أَوْ كَانَ آتِيًا … لِإِمْرَأَةٍ فِيْ حُشِّهَا غَيْرَ مُسْتَهْدِيْ
وَمَنْ لِأَخِيْهِ قَالَ يَا كَافِرُ فَقَدْ … بِهَا بَاءَ هَذَا أَوْ بِهَا بَاءَ مَنْ يُبْدِيْ
وَلَيْسَ بِهَذَا الكُفْرِ يُصْبِحُ خَارِجًا … عَنِ الدِّيْنِ فَافْهَمْ مَا أُقَرِّرُهُ عِنْدِيْ
وَهَذَا بِهِ جَمْعُ الأَحَادِيْثِ وَالذِّيْ … أَتَى فِيْ كِتَابِ اللهِ ذِيْ العِزِّ وَالمَجْدِ
بَلَى بَعْضُ هَذَا الكُفْرِ يُخْرِجُ فَاعِلًا … لَهُ إِنْ يَكُنْ لِلشَّرْعِ وَالدِّيْنِ كَالضِّدِّ
كَمَنْ هُوَ لِلأَصْنَامِ يُصْبِحُ سَاجِدًا … وَسَابِّ رَسُوْلِ اللهِ فَهوَ أَخُوْ الجَحْدِ

وَهَـذَا الـذِي فَـصَّلْتُهُ الحَـقُّ فَـاتَّبِعْ طَرِيْقَ الهُدَى إِنْ كُنْتَ لِلْحَقِّ تَسْتَجْدِي
وَجَـاءَ مَثَـلُ هَـذَا فِـي النِّفَـاقِ وَغَيْـرِهِ مِنَ الفِسْقِ وَالكُفْرِ الـذِيْ كُلُّـهِ يُـرْدِي
فَـإِنْ قُلْـتَ قَـدْ كَفَّـرْتُ مَـنْ قَـالَ إِنَّـهُ إِلَـهٌ وَأَنَّ اللهَ جَـلَّ عَـنِ النِّـدِّ
مُـسَمَّاهُ كُـلُّ الكَائِنَـاتِ جَمِيْعُهَـا مِنَ الكَلْبِ وَالخِنْزِيْـرِ وَالقِـرْدِ وَالفَهْـدِ
مَـعَ أَنَّـهُ صَـلَّى وَصَـامَ وَجَانَـبَ التَّـ ـوَسُّعَ فِـيْ الـدُّنْيَا وَمَـالَ إِلَـى الزُّهْـدِ
فَقُلْتُ اسْتَمِعْ مِنِّيْ الجَـوَابَ وَلَا تَكُـنْ غَبِيًّـا جَهُـوْلًا لِلْحَقَـائِقِ كَاللُّـدِّ
فَـإِنَّ الـذِيْ عَنْـهُ سَـأَلْتَ مُجَـاهِرًا بِنَفْـيِ الإِلَـهِ الوَاحِـدِ الـصَّمَدِ الفَـرْدِ
وَنَفْـيِ نُبُـوْءَاتِ النَّبِيِّـيْنَ كُلِّهِـمْ فَمَا أَحْمَدُ الهَـادِيْ لَـدَى ذَاكَ بِالمَهْـدِيْ
وَتَصْوِيْبُ أَهْلِ الشِرْكِ فِيْ شِرْكِهِمْ فَمَا أَبولَهَـبٍ إِلَّا كَحَمْـزَةَ فِـيْ الجَـدِّ
وَهَـارُوْنُ أَخْطَـأَ حِـيْنَ لَامَ جَمَاعَـةً عُكُوْفًا عَلَى عِجْلٍ يَخُوْرُ وَلَا يَهْـدِيْ
فَـإِنْ لَـمْ يَكُـنْ هَـذَا هُـوَ الكُفْـرُ كُلُّـهُ فَعَقْلُكَ عَقْلُ الطِّفْـلِ زُمِّـلَ فِـيْ المَهْـدِ
فَقَـدْ كَفَّـرَ الـشَّيْخُ ابْـنُ تَيْمِيَـةَ وَمَـنْ سِوَاهُ مِنَ الأَعْلَامِ فِـيْ الـسَّهْلِ وَالنَّجْـدِ
أُولَئِـكَ إِذْ قَـالُوْا الوُجُـوْدُ بِأَسْـرِهِ هُـوَ اللهُ لَا رَبَّ يُمِيْـزُ عَـنْ عَبْـدِ
وَهَـذَا مَقَـالُ فَلَاسِـفَةَ الأُلَـى إِلَـى النَّـارِ مَـسْرَاهُمْ يَقِيْنًـا بِـلَا رَدِّ
وَأَلَّـفَ فِـيْ هَـذَا ابْـنُ سَـبْعِيْنَ كُتْبَـهُ وَتَابَعَـهُ الجِيْلِـيْ وَيَـا بِـئْسَ مَـا يُبْـدِيْ
وَلَكِـنْ أَرَى الطَّـائِيَّ أَطْـوَلَهُمْ يَـدًا أَتَـى بِفُـصُوصٍ لَا تُـزَانُ بِهَـا الأَيْـدِيْ
وَجَاءَ مِنْهُمْ ابْنُ الفَارِضِ الشَّاعِرَ الـذِّيْ أَتَى بِعَظِيْمِ الكُفْرِ فِـيْ رَوْضَـةِ الـوَرْدِيْ
أَجَـادَ نِظَامًـا مِثْـلَ مَـا جَـادَ كُفْـرُهُ فَسُبْحَانَ ذِيْ العَرْشِ الصَّبُوْرِ عَلَى العَبْدِ
أُنَزِّهُـهُ عَـنْ كُـلِّ قَـوْلٍ يَقُوْلُـهُ ذَوُوْ الكُفْرِ وَالتَّعْطِيْلِ مِنْ كُلِّ ذِيْ جَحْـدِ
وَأُثْنِـيْ عَلَيْـهِ وَهُـوَ وَاللهِ بِالثَّنَـا حَقِيْقٌ فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيْ الوَاحِدِ الفَرْدِ

بَدِيْعُ السَّمَاوَاتِ العُلَى خَالِقُ المَلَا ... وَرَازِقُهُمْ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا جَهْدِ
بَدَا خَلْقَنَا مِنْ أَرْضِهِ وَيَرُدُّنَا ... إِلَيْهَا وَيُخْرِجُنَا مُعِيْدًا كَمَا يُبْدِيْ
فَرِيْقَيْنِ هَذَا فِيْ جَهَنَّمَ نَازِلٌ ... وَذَلِكَ مَزْفُوْفٌ إِلَى جَنَّةِ الخُلْدِ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِيْ أَيَّ دَارٍ أَزُوْرُهَا ... فَقَدْ طَالَ فِكْرِيْ فِيْ الوَعِيْدِ وَفِيْ الوَعْدِ
إِذَا مَا ذَكَرْتُ الذَّنْبَ خِفْتُ جَهَنَّمَا ... فَقَالَ الرَّجَا بَلْ غَيْرَ هَذَا تَرَى عِنْدِيْ
أَلَيْسَ رَحِيْمًا بِالعِبَادِ وَغَافِرًا ... لِمَا لَيْسَ شِرْكًا قَالَهُ الرَّبُّ ذُوْ المَجْدِ
فَقُلْتُ نَعَمْ لَكِنْ أَتَانَا مُقَيَّدًا ... بِمَا شَاءَهُ فَافْهَمْ وَعَضَّ هُنَا الأَيْدِيْ
فَهَلْ أَنَا مِمَّنْ شَاءَ غُفْرَانَ ذَنْبِهِ ... فَيَا حَبَّذَا أَمْ لَسْتَ مِنْ ذَلِكَ الوَرْدِ
هُنَا قَطَعَ الخَوْفُ القُلُوْبَ وَأَسْبَلَ الدْ ... دُمُوْعَ مِنَ الأَبْرَارِ فِيْ سَاحَةِ الخُلْدِ
فَأَسْأَلُهُ حُسْنَ الخِتَامِ فَإِنَّهُ ... إِلَيْهِ انْقِلَابِيْ فِيْ الرَّحِيْلِ إِلَى اللَّحْدِ
وَمَغْفِرَةً مِنْهُ وَلُطْفًا وَرَحْمَةً ... إِذَا مَا نَزَلْتُ القَبْرَ مُنْفَرِدًا وَحْدِيْ
وَأَرْجُوْهُ يَعْفُوْ كُلَّ ذَنْبٍ أَتَيْتُهُ ... وَيَغْفِرُ لِيْ مَا كَانَ فِيْ الهَزْلِ وَالجِدِّ
وَيُلْحِقُنَا بِالمُصْطَفَى وَبِآلِهِ الـ ... ـكِرَامِ كِرَامًا وَالصِحَابِ أُوْلِيْ الرُّشْدِ
قَصَدْتُ بِهَذَا النَّظْمِ نُصْحَ أَحِبَّتِيْ ... وَأَخْتِمُهُ بِالشُّكْرِ للهِ وَالحَمْدِ
وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ وَآلِهِ ... صَلَاةً وَتَسْلِيْمًا يَدُوْمُ بِلَا حَدِّ
وَرَضٍّ عَلَى الأَصْحَابِ أَصْحَابِ أَحمد ... أُوْلِيْ الجِدِّ فِيْ نَصْرِ الشَّرِيْعَةِ وَالحَدِّ

قال رَحِمَهُ اللهُ: انتهت في شهر رجب سنة (١١٧٠هـ) سبعين ومائة وألف.

* * *

قصيدة المؤلف في الرد على التراجع المزعوم
مجموعة من مؤلفه هذا

أَلَا قُـلْ لِـذِيْ جَهْـلٍ تَهَـوَّرَ فِـي الـرَّدِّ وَأَظْهَـرَ مَكْنُوْنًـا مِـنَ الغَـيِّ لَا يُجْـدِيْ
وَفَــاهُ بِتَزْوِيْــرٍ وَإِفْــكٍ وَمُنْكَــرٍ وَظُلْمٍ وَعُدْوَانٍ عَلَـى العَـالِمِ المَهْـدِيْ
وَزَوَّرَ نَظْــمًا لِلْأَمِيْــرِ مُحَمَّــدٍ وَحَاشَاهُ مِنْ إِفْكِ المُـزَوِّرِ ذِيْ الجَحْـدِ
لَعَمْـرِيْ لَقَـدْ أَخْطَـأْتَ رُشْـدَكَ فَاتَّئِـدْ فَلَسْتَ عَلَـى نَهْـجٍ مِـنَ الحَـقِّ مُـسْتَبِدِ
وَقَـدْ صَـحَّ أَنَّ الـنَّظْمَ هَـذَا تَقَـوُّلٌ تَقَوَّلَــهُ هَــذَا الغَبِــيُّ عَلَــى عَمْــدِ
وَمَـا كَـانَ هَـذَا الـنَّظْمُ مَنْظُـومَ عَـالِمٍ تَقِــيٍّ نَقِــيٍّ بِالهُــدَى لِلْــوَرَى يَهْـدِيْ
وَلَكِنَّــهُ جَهْــلٌ صَــرِيْحٌ مُرَكَّــبٌ وَمَنْشَأُهُ عَـنْ مَـنْهَجِ الرُّشْـدِ فِـي بُعْـدِ
وَهَأَنَــا ذَا أُبْــدِيْ مَخَازِيْــهِ جَهْــرَةً وَأَنْقُـضُ مَـا يُبْدِيـهِ بِـالحَقِّ وَالرُّشْـدِ
لِــتَعْلَمَ أَنَّ الفَــدْمَ[1] هَــذَا مُــزَوِّرٌ وَأَنَّ الـذِيْ أَبْـدَاهُ مِـنْ جَهْلِـهِ المُـرْدِيْ
يُخَــالِفُ مَــا قَــالَ الأَمِيْــرُ مُحَمَّــدٌ وَقَــرَّرَ فِـي التَّطْهِيْـرِ تَقْرِيْـرَ ذِيْ نَقْـدِ
فَـأَزْرَى بِـهِ مِـنْ حَيْـثُ يَحْسِـبُ أَنَّـهُ أَشَــادَ لَـهُ بَيْتًـا رَفِيْعًـا مِـنَ المَجْـدِ
وَحَـسْبُكَ مِـنْ هَـذَا ضَـلَالًا وَفِرْيَـةً عَلَـى البُعْـدَ فَضْلًا عَـنِ الأَبِ وَالجَـدِّ
فَجَــاءَ عَلَــى تَزْوِيْــرِهِ بِــدَلَائِلٍ تَعُـوْدُ عَلَـى مَـا قَـالَ بِـالرَّدِّ وَالهَـدِّ
إِذَا صَــحَّ مَــا قُلْنَــا لَــدَيْكَ فَقَوْلُــهُ (رَجَعْتُ عَنِ القَوْلِ الذِيْ قُلْتُ فِي النَّجْدِيْ)
رُجُـوعٌ عَـنِ الحَـقِّ الـذِيْ هُـوَ ذَاكِـرٌ عَنِ السَّلَفِ المَاضِيْنَ مِنْ كُلِّ ذِيْ رُشْـدِ
إِلَـى الغَـيِّ مِـنْ كُفْـرٍ وَشِـرْكٍ وَبِدْعَـةٍ عَلَى غَيْرِ ذَا مِنْ كُـلِّ أَفْعَـالِ ذِيْ الطَّـرْدِ

(١) الفَدْمُ: من الناس العيي عن الحجة والكلام، مع ثقل ورخاوة وقلة فهم، وهو أيضًا الغليظ الأحمق الجافي. اهـ من «اللسان» مادة: (فدم).

فَلَوْ صَحَّ هَذَا وَهْوَ لَا شَكَّ بَاطِلٌ ... وَزُوْرٌ وَبُهْتَانٌ مِنَ النَّاظِمِ المُبْدِيْ
لَكَانَ لَعَمْرِيْ ضَحْكَةً وَتَنَاقُضًا ... لِمَا قَالَ فِي مَنْظُومِهِ عَنِ ذَوِيْ المَجْدِ
فَدُوْنَكَ مَا أَبْدَى مِنَ المَدْحِ وَالثَّنَا ... وَمَا قَالَ فِيْ ذَمِّ المُخَالِفِ وَالضِّدِّ
(قِفِيْ وَاسْأَلِيْ عَنْ عَالِمٍ حَلَّ سُوْحَهَا ... بِهِ يَهْتَدِيْ مَنْ ضَلَّ عَنْ مَنْهَجِ الرُّشْدِ)
(مُحَمَّدِ الهَادِيْ لِسُنَّةِ أَحْمَدِ ... فَيَا حَبَّذَا الهَادِيْ وَيَا حَبَّذَا المَهْدِيْ)
لَقَدْ أَنْكَرَتْ كُلُّ الطَّوَائِفِ قَوْلَهُ ... بِلَا صَدَرٍ فِي الحَقِّ مِنْهُمْ وَلَا وِرْدِ
وَمَا كُلُّ قَوْلٍ بِالقَبُوْلِ مُقَابَلٌ ... وَلَا كُلُّ قَوْلٍ وَاجِبُ الطَّرْدِ وَالرَّدِّ
سِوَى مَا أَتَى عَنْ رَبِّنَا وَرَسُولِهِ ... فَذَلِكَ قَوْلٌ جَلَّ يَا ذَا عَنِ الرَّدِّ
وَأَمَّا أَقَاوِيْلُ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا ... تَدُوْرُ عَلَى قَدْرِ الأَدِلَّةِ فِي النَّقْدِ
لَقَدْ سَرَّنِيْ مَا جَاءَنِيْ مِنْ طَرِيْقِهِ ... وَكُنْتُ أَرَى هَذِيْ الطَّرِيْقَةَ لِيْ وَحْدِيْ
وَقَدْ جَاءَتِ الأَخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ ... يُعِيْدُ لَنَا الشَّرْعَ الشَّرِيْفَ بِمَا يُبْدِيْ
وَيَنْشُرُ جَهْرًا[1] مَا طَوَى كُلُّ جَاهِلٍ ... وَمُبْتَدِعٍ مِنْهُ فَوَافَقَ مَا عِنْدِيْ
وَيَعْمُرُ أَرْكَانَ الشَّرِيْعَةِ هَادِمًا ... مَشَاهِدَ ضَلَّ النَّاسُ فِيْهَا عَنِ الرُّشْدِ
أَعَادُوا بِهَا مَعْنَى سُوَاعَ وَمِثْلَهُ ... يَغُوثَ وَوِدًّا بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وِدِّ
وَقَدْ هَتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ... كَمَا يَهْتِفُ المُضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الفَرْدِ
وَكَمْ عَقَرُوا فِي سُوْحِهَا مِنْ عَقِيْرَةٍ ... أُهِلَّتْ لِغَيْرِ اللهِ جَهْرًا عَلَى عَمْدِ
وَكَمْ طَائِفٍ حَوْلَ القُبُورِ مُقَبِّلٌ ... وَمُسْتَلِمُ الأَرْكَانَ مِنْهُنَّ بِالأَيْدِ[2]

---

(١) في الأصل: (جهلًا). وهو خطأ واضح من الطابع.

(٢) في الأصل: (اليدي). والصواب المثبت كما في «ديوان الصنعاني» (ص ١٢٩) وما بين المعكوفين مقتبسٌ من هناك.

فَهَذَا هُوَ المَعْرُوْفُ مِنْ حَالِ شَيْخِنَا ... وَدَعْوَتِهِ لِلْخَلْقِ بِالحَقِّ وَالرُّشْدِ
وَسَارَ مَسِيْرَ الشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَا ... وَطَبَّقَ مِنْ غَرْبِ البِلَادِ إِلَى الهِنْدِ
وَلَمْ يَبْقَ أَرْضٌ لَيْسَ فِيْهَا مُجَدِّدٌ ... عَلَى أَثْرِهِ يَقْفُو وَيَهْدِي وَيَسْتَهْدِيْ
فَقُلْ لِلَّذِيْ أَبْدَى خَزَايَةَ جَهْلِهِ ... وَأَبْرَزَ مَنْظُوْمًا خَلِيًّا مِنَ الرُّشْدِ
أَعِدْ نَظَرًا فِيْمَا تَوَهَّمْتَ حُسْنَهُ ... فَإِنَّكَ لَم تَنْطِقْ بِحَقٍ وَلَا رُشْدِ
وَدَعْنَا مِنَ القَوْلِ المُزَوَّرِ وَالهَذَا ... وَمِنْ إِفْكِكَ الوَاهِيْ وَمِنْ جَهْلِكَ المُرْدِي
فَقَدْ وَافَقَ الشَّيْخَ الإِمَامَ مُحَمَّدًا ... وَصَحَّ لَهُ عَنْهُ خِلَافَ الَّذِيْ تُبْدِيْ
وَظَنَّ بِهِ خَيْرًا وَقَدْ كَانَ أَهْلَهُ ... وَكَانَ عَلَى حَقٍّ وَبِالحَقِّ يَسْتَهْدِيْ
وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ أَرْضِهِ مُتَهَوِّكٌ ... جَهُوْلٌ يُسَمَّى مَرْبِدًا وَهْوَ ذُوْ جَحْدِ
فَفَاهَ بِبُهْتَانٍ وَإِفْكٍ مُزَوَّرٍ ... وَكَانَ عَنِ التَّحْقِيْقِ وَالحَقِّ فِي بُعْدِ
وَقَدْ كَانَ ذَا جَهْلٍ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ ... وَقَدْ أَنْكَرَ التَّوْحِيْدَ لِلْوَاحِدِ الفَرْدِ(١)
وَظَنَّ طَرِيْقَ الرُّشْدِ غَيًّا بِزَعْمِهِ ... وَقَدْ أَلَّفَ المَأْفُوْنُ كُفْرَانَهُ المُرْدِيْ
وَأَعْمَاهُ نُوْرُ الهُدَى حِيْنَمَا بَدَا ... وَفَرَّ إِلَى صَنْعَاءَ وَفَاهَ بِمَا يُبْدِيْ
فَمَا غَرَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِ وَافْتِرَائِهِ ... زَخَارِفُ مَا أَبْدَاهُ ذُو الزُّوْرِ وَالحِقْدِ
إِلَى أَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ العَصْرُ وَانْقَضَى ... وَجَاءَ أُنَاسٌ بَعْدَهُمْ مِنْ ذَوِيْ الطَّرْدِ
فَسَاغَ لَدَيْهِمْ زُخْرُفُ القَوْلِ وَارْتَضَوا ... مِنَ الظُّلْمِ وَالعُدْوَانِ أَقْوَالَ ذِيْ الجَحْدِ
وَقَدْ زَعَمَ المَأْفُوْنُ أَنَّ رَسَائِلَا ... أَتَاهُمْ بِهَا فِيْهَا التَّجَاوُزُ للحدِّ
يُكَفِّرُ فِيْهَا الشَّيْخُ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا ... وَفِيْ زَعْمِهِ كُلُّ الأَنَامِ عَلَى عَمْدِ
وَلَفَّقَ فِي تَكْفِيْرِهِمْ كُلَّ حُجَّةٍ ... تَرَاهَا كَبَيْتِ العَنْكَبُوْتِ لَدَى النَّقْدِ

---

(١) لم يثبت الفرد من أسماء الله تعالى.

وَذَا فِرْيَــةٌ لَا يَمْتَــرِيْ فِيْــهِ عَاقِــلٌ ... عَلَـى أَنَّـهُ زُوْرٌ مِـنَ القَـوْلِ مُـسْتَبِدِّيْ
وَقَدْ كَانَ فِـي الإِعْـرَاضِ سِـتْرٌ لِجَهْلِـهِ ... وَلَكِنَّـهُ أَبْـدَى مَخَازِيْـهِ عَـنْ قَـصْدِ
لِيَخْـدَعَ مَأْفُوْنًـا وَمَـنْ كَـانَ جَـاهِلًا ... وَلَيْسَ عَلَى نَهْج مِـنَ الحَقِّ وَالرُّشْـدِ
فَـمَا كَفَّـرَ الـشَّيْخُ الإِمَـامُ مُحَمَّـدٌ ... جَمِيْعَ الوَرَى حَاشَاهُ مِنْ قَـوْلِ ذِي الطَّـرْدِ
وَلَا قَـالَ فِـي تِلْـكَ الرَسَـائِلِ كُلِّهَـا ... بِتَكْفِيْرِ أَهْلِ الأَرْضِ مِنْ كُلِّ مُـسْتَهْدِيْ
وَلَكِـنَّمَا تَكْفِيْـرُهُ لمـنِ اعْتَـدَى ... وَحَادَ عَـنِ التَّوْحِيْـدِ بِالجُعْـلِ(١) لِلْنِّـدِّ
وَيَـدْعُوْ سِـوَى الـرَّحْمَنِ جَـلَّ جَلَالُـهُ ... وَيَرْجُوْهُ بَلْ يَخْشَاهُ كَالمنْعِمِ المُـسْدِيْ
وَيَنْـسُكُ لِلْأَمْـوَاتِ بَـلْ يَـسْتَغِيْثُهُمْ ... وَيَنْـدُبُ مَـنْ لَا يَمْلِـكُ النَّفْـعَ لِلْعَبْـدِ
وَذَلِـكَ إِشْـرَاكٌ بِـهِ لاتِّخَـاذِهِ ... مَـعَ اللهِ مَأْلُوهًـا شَـرِيْكًا بِـمَا يُبْـدِيْ
مِنَ الحُبِّ وَالتَّعْظِيْمِ وَالخَوْفِ وَالرَّجَـا ... وَمِـنْ كُـلِّ مَطْلُـوْبٍ مِـنَ اللهِ بِالقَـصْدِ
فَـإِنْ كَـانَ عُبَّـادُ القُبُـورِ لَـدَيْكُمُو ... هُمُ المُسْلِمِيْنَ المُـؤْمِنِيْنَ ذَوِيْ الرُّشْـدِ
وَهُمْ كُلُّ أَهْـلِ الأَرْضِ وَالكُـلُّ مُـسْلِمٌ ... وَمَـا مِنْهُمُـو مِـنْ كَـافِرٍ جَاعِـلِ النِّـدِّ
وَمَـا قَـدْ تَلـى مِـنْ آيَـةٍ فِـي ضَـلَالِهِمْ ... وَمِنْ سُنَّةٍ لِلْمُصْطَفَى خَيْـرُ مَـنْ يَهْـدِيْ
مُلَفَقَــةٌ لَيْــسَتْ لَــدَيْكُمُ بِحُجَّــةٍ ... وَتِلْكَ كَبَيْـتِ العَنْكَبُـوتِ لَـدَى النَّقْـدِ
فَـمَا فَـوْقَ هَـذَا مِـنْ ضَـلَالٍ وفِرْيَـةٍ ... يَجِـيْءُ بِهَـا أَهْـلُ العِنَـادِ ذَوُو الطَّـرْدِ
(وَقَـدْ أَنْكَـرَتْ كُـلُّ الطَّوَائِـفِ قَوْلَـهُ ... بِلَا صَدَرٍ فِـي الحَـقِّ مِـنْهُمْ وَلَا وِرْدِ(٢)
(كَـمَا قَالَـهُ أَعْنِـيْ الأَمِيْـرَ مُحَمَّـدًا ... وَقَـدْ كَـانَ ذَا عِلْـمٍ عَلِـيْمًا بِـمَا يُبْـدِيْ)

(١) (الجعل): الاسم بالضم، والمد بالفتح، ويقال: جَعَلَ لك جَعْلًا، وَجُعْلًا: وهو الأجر على الشيء، فعلًا أو أقوالًا. انتهى من «اللسان» مادة: (جعل). (٢/ ٣٠١)، ومراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أي: خرج عن طريق التوحيد، بما يقدمه ويتقرب به من الأشياء ولندٌ من وليٍّ أو غيره.

(٢) هذا البيت مقتبسٌ من منظومة الصنعاني كما في «ديوانه» (ص ١٢٩) ولفظه: (لقد أنكرت...).

(وَقَالُوا كَمَا قَدْ قُلْتُمُوْهُ تَحَكُّمًا ... وَهَمْطًا وَخَرْطًا[١] لَا يُفِيْدُ وَلَا يُجْدِي)
(تَجَارِي عَلَى إِجْرَا دِمَا كُلِّ مُسْلِمٍ ... مُصَلٍّ مُزَكٍّ لَا يَحُوْلُ عَنِ العَهْدِ[٢]
ثَكِلْتُكَ هَلْ هَذَا كَلَامُ مُحَقِّقٍ ... كَعَالِمِ صَنْعَا ذِي الدِّرَايَةِ وَالنَّقْدِ
فَجُرْتُمْ وَجُرْتُمْ بِالأَكَاذِيْبِ وَالهَذَى ... وَوَضْعِ مُحَالَاتٍ عَلَى العَالِمِ المَهْدِي
كَقَوْلِكَ فِي مَنْظُوْمِ مَيْنِكَ[٣] فِرْيَةً ... عَلَيْهِ بِمَا تُبْدِيْهِ مِنْ جَهْلِكَ المُرْدِي
(وَقَدْ جَاءَنَا عَنْ رَبِّنَا فِي بَرَاءَةٍ ... بَرَاءَتِهِمْ مِنْ كُلِّ كُفْرٍ وَمِنْ جَحْدِ)
(فَإِخْوَانُنَا سَمَّاهُمُ اللهُ فَاسْتَمِعْ ... لِقَوْلِ الإِلَهِ الوَاحِدِ الصَّمَدِ الفَرْدِ[٤]
أَقُوْلُ تَأَمَّلْ لَا أَبَالَكَ نَصَّهَا ... تَجِدْ مَنْهَلًا عَذْبًا أَلَذَّ مِنَ الشَّهْدِ
فَفِيْهَا البَيَانُ المُسْتَنِيْرُ ضِيَاؤُهُ ... لِمَنْ كَانَ ذَا قَلْبٍ شَهِيْدٍ وَذَا رُشْدِ
وَلَكِنَّ أَهْلَ الزَّيْغِ فِي غَمَرَاتِهِمْ ... وَفِي غَيِّهِمْ لَا يَرْعَوُوْنَ لِمَنْ يَهْدِيْ
وَآذَانُهُمْ صُمٌّ عَنِ الحَقِّ وَالهُدَى ... وَأَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ الحَقِّ كَالرُّمْدِ
أَلَيْسَتْ لِمَنْ تَابُوا مِنَ الكُفْرِ وَالرَّدَى ... وَلَمْ يُشْرِكُوا شَيْئًا بِمَعْبُوْدِنَا الفَرْدِ[٥]
وَصَلَّوا وَزَكُّوا وَاسْتَقَامُوا عَلَى الهُدَى ... فَهُمْ إِخْوَةٌ فِي الدِّيْنِ مِنْ غَيْرِمَا رَدِّ
فَأَيْنَ الدَّلِيْلُ المُسْتَفَادُ بِأَنَّهُمْ ... إِذَا لَمْ يَتُوبُوا لَمْ يَكُوْنُوا ذَوِيْ جَحْدِ
فَمَا كَفَّرَ الشَّيْخُ الإِمَامُ مُحَمَّدٌ ... سِوَى مَنْ دَعَا الأَمْوَاتَ مِنْ سَاكِنِ اللَّحْدِ

---

(١) (الهمط): هو الظلم، والخلط بالأباطيل، و(الخرط) يقال: انخرط الرجل في الأمر وتخرط: مركب فيه رأسه من غير علم ولا معرفة. اهـ انظر «اللسان» مادة: (همط) (١٥/ ١٣٤). و: (خرط) (٤/ ٦٤).
(٢) مقتبس من نقض النظم لحفيد الناظم. انظر «ديوان الصنعاني» (ص ١٣٦).
(٣) أي: كذبك.
(٤) انظر «ديوان الصنعاني» (ص ١٣٦).
(٥) الفرد لم يثبت من أسماء الله تعالى، فالحديث الوارد فيه ضعيف.

وَمَـنْ لَمْ يَتُـبْ مِـنْ كُفْـرِهِ وَضَـلَالِهِ ... وَإِشْـرَاكِهِ بِالـسَّيِّدِ[1] الـصَّمَدِ الفَـرْدِ
وَأَجْـرَى دِمَـاهُمْ طَاعَـةً وَتَقَرُّبَـا ... إِلَـى اللهِ فِي قَتْـلِ المَلَاحِـدَةِ اللُّـدِّ
فَـمَا كُـلُّ مَـنْ صَـلَّى وَزَكَّـى مُوَحِّـدٌ ... فَأَبْـدِ دَلِـيْلًا غَيْـرَ ذَا فَهُـوَ لَا يُجْـدِيْ
وَدَعْنَـا مِـنَ التَّمْوِيْـهِ فَـالحَقُّ وَاضِـحٌ ... وَلَـيْسَ بِـهِ لَـبْسٌ لَـدَى كُـلِّ مُـسْتَهْدِ
أَلَا فَأَرُوْنَـا يَـا ذَوِيْ الغَـيِّ وَالهَـوَى ... كَلَامًا سِوَى هَـذِيْ الأَكَاذِيْـبِ مُـسْتَبْدِ
وَجِيْئُـوا (بِتَطْهِيْـرِ اعْتِقَـادِ) لِـسَيِّدٍ ... إِمَـامٍ مُحِـقٍّ ذِيْ الدِّرَايَـةِ وَالنَّقْـدِ
نُقَابِـلُ مَـا قُلْـتُمْ بِـمَا فِـي كِتَابِـهِ ... وَمَا قَالَـهُ فِـي الاحْتِجَاجِ عَلَـى الـضِّدِّ
لِكَـيْ تَعْلَمُـوا أَنَّ الأَمِيْـرَ مُحَمَّـدًا ... بَـرِيْءٌ مِـنَ المَنْظُـوْمِ وَالـشَّرْحِ وَالـرَّدِّ
وَتَـسْتَيْقِنُوا أَنَّ الأَكَاذِيْـبَ هَـذِهِ ... مُلَفَّقَـةٌ لَفَّقْتُمُوهَـا عَلَـى عَمْـدِ
وَيَعْلَـمَ أَهْـلُ العِلْـمِ بِـاللهِ أَنَّكُـمْ ... بَـذَلْتُمْ عَلَـى تَلْفِيْقِهَـا غَايَـةَ الجُهْـدِ
لِكَـيْ تَطْمِـسُوا أَعْـلَامَ سُنَةِ أَحْمَـدٍ ... بِتَزْوِيْـرِ أَفَّـاكٍ[2] جَهُـولٍ وَذِيْ حِقْـدِ
وَقَوْلُـكَ فِـيْ مَنْظُـوْمِ مَيْنِـكَ ضَـلَّةً ... وَلَبْسًا وَتَمْوِيْهًـا عَلَـى الأَعْيُنِ الرُّمْـدِ
(وَقَدْ قَالَ خَيْرُ المُرْسَلِيْنَ: «نهيتُ عَنْ» ... فَـمَا بَالُـهُ لَمْ يَنْتِـهِ الرَّجُـلُ النَّجْـدِيّ)
أَقُـوْلُ نَعَـمْ هَـذِيْ الأَحَادِيْـثُ كُلُّهَـا ... مُدَوَّنَـةٌ مَرْوِيَـةٌ عَـنْ ذَوِيْ النَّقْـدِ
وَلَـيْسَ بِهَـا وَالحَمْـدُ للهِ حُجَّـةٌ ... عَلَى تَرْكِ مُرْتَدٍّ عَـن الـدِّيْنِ ذِيْ جَحْـدِ
فَمَنْصُوصُهَا فِي تَرْكِ مَنْ أَظْهَـرَ الهُـدَى ... وَبَاطِنُـهُ فِـي الاعْتِقَـادِ عَلَـى الـضِّدِ
فَـدَلَّتْ عَلَـى تَـرْكٍ لِمَنْ كَـانَ مُظْهِـرًا ... مِـنَ الـدِّيْنِ أَرْكَانًـا فَتُـدْرَأُ عَـنْ حَـدِّ

(١) قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/ ١٧٦): (... السَّيد إذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق). انتهى.

(٢) أي: كذاب.

فَيَجْرِي لَهُمْ حُكْمُ الظَّوَاهِرِ جَهْرَةً ... وَبَاطِنُ مَا يُخْفِيْ إِلَى الوَاحِدِ الفَرْدِ
فَإِنْ أَظْهَرَ الكُفْرَ الذِي هُوَ مُبْطِنٌ ... (فَلَيْسَ لَهُ عَاصِمٌ مُوجِبٌ يُجْدِيْ)
وَلَيْسَ عَلَى الإِطْلَاقِ مَا أَنْتَ مُطْلِقٌ ... فَفِي ذَاكَ تَفْصِيْلٌ يَبِيْنُ لِذِيْ الرُّشْدِ
فَقَدْ هَمَّ خَيرُ المُرْسَلِيْنَ مُحَمَّدٌ ... بِإِحْرَاقِ مَنْ صَلَّى وَذَاكَ عَلَى عَمْدِ
لأَنَّهُمُو لَمْ يَحْضُرُوا فِي جَمَاعَةٍ ... وَقَدْ فُرِضَتْ عَيْنًا عَلَى كُلِّ مُسْتَهْدِ
وَلَوْلَا الذَّرَارِيْ وَالنِّسَاءُ مُعَلَّلًا ... لَأَحْرَقَهُمْ فِيْهَا فَبَاءُوا بِمَا يُرْدِي
وَمَا كَانَ هَمُّ المُصْطَفَى بِضَلَالَةٍ ... وَلَا بَاطِلٍ لَكِنْ بِحَقٍّ وَعَنْ رُشْدِ
وَقَدْ قَتَلَ الفَارُوْقُ مَنْ لَيْسَ رَاضِيًا ... بِحُكْمِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى كَامِلِ المَجْدِ
وَلَمْ يَنْهَهُ المَعْصُومُ عَنْ قَتْلِ مِثْلِهِ ... وَلَا عَابَهُ فِي قَتْلِهِ ثُمَّ عَنْ عَمْدِ
كَمَا بَرَّأَ المَعْصُوْمُ مِنْ قَتْلِ خَالِدٍ ... جُذَيْمَةَ لَمَّا أَخْطَئُوا بَاذِلُوا الجَهْدِ
فَقَالُوا صَبَأْنَا قَاصِدِيْنَ حَقِيْقَةً ... بِذَلِكَ أَسْلَمْنَا وَلَم يَدْرِ بِالقَصْدِ
فَأَنْكَرَ هَذَا المُصْطَفَى وَوَدَاهُمُو ... جَمِيْعًا فَخُذْ بِالعِلْمِ عَنْ كُلِّ مُسْتَهْدِ
وَلَمْ يَنْتَهِ عَنْ قَتْلِ مَنْ كَانَ خَارِجًا ... عَلَيْهِ عَلِيٌّ بَلْ أَبَادَ ذَوِيْ اللَّدِّ
وَهَمْ إِنَّمَا فَرُّوْا عَنِ الكُفْرِ فَاعْتَدَوا ... وَكَانَتْ صَلَاةُ القَوْمِ فِي غَايَةِ الحَدِّ
وَيَحْقِرُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَاتَهُمْ ... مَعَ القَوْمِ مِنْ حُسْنِ الأَدَاءِ مَعَ الجَهْدِ
خَلَا أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذِ المَالَ مِنْهُمُو ... وَلَمْ يَجرِمَنَّا فِي خَطَإٍ وَلَا عَمْدِ
فَمَا قَتَلَ الشَّيْخُ الإِمَامُ مُحَمَّدٌ ... لِمُلْتَزِمِ الإِسْلَامِ مِمَّنْ عَلَى العَهْدِ
وَلَكِنَّمَا تَكْفِيْرُهُ وَقِتَالُهُ ... لِعُبَّادِ أَوْثَانٍ طُغَاةٍ ذَوِيْ جَحْدِ
(فَقَاتَلَ مَنْ قَدْ دَانَ بِالكُفْرِ وَاعْتَدَى ... وَكُفَّ أَكُفَّ المُسْلِمِيْنَ ذَوِيْ الرُّشْدِ)
عَنِ المُسْلِمِيْنَ الطَّائِعِيْنَ لِرَبِّهِمْ ... وَلَمْ يُشْرِكُوْا بِالوَاحِدِ الصَّمَدِ الفَرْدِ

وَهَــبْ أَنَّ هَــذَا قَــوْلُ كُــلِّ مُنَــافِقٍ ... يَـصُدُّ عـنِ التوحيـدِ بالجِـدِّ وَالجَهْـدِ
(فَــمَا كُــلُّ قَــوْلٍ بِــالقَبُوْلِ مُقَابَــلٌ ... فَحَقِـقْ إِذَا رُمْـتَ النَّجَـاةَ لِـمَا تُبْـدِيْ)
وَلَا تُلْــقِ لِلْفُــسَّاقِ سَــمْعَكَ وَاتَّئِــدْ ... فَفِيْـهِ وَعِيْـدٌ لَـيْسَ يَخْفَـى لِـذِيْ النَّقْـدِ
وَمَــا مَرْبَــدٌ فِــيْ قَوْلِــهِ بِمُــصَدَقٍ ... فَقَـدْ كَـانَ زِنْـدِيْقًا لَـدَى كُـلِّ مُـسْتَهْدِ
فَهَــذِي تَــصَانِيْفُ الإمــام شَــهِيْرَةٌ ... مُدَوَنَــةٌ مَعْلُوْمَــةٌ لِــذَوِيْ الرُّشْــدِ
وَقَوْلُــكَ أَيْــضًا فِــي الأئمــةِ إِنَّهُمْ ... أُنَـاسٌ أَتَـوْا كُـلَّ القَبَـائِحِ عَـنْ قَـصْدِ
فَقَــالَ لَــهُ بَعْــضُ الــصَّحَابَةِ سَــائِلًا ... نُقَـاتِلُهُمْ حَتَّـى يَفِيْئُـوا إِلـى القَـصْدِ
فَقَــالَ لَهُــمْ: «لَا مَـا أَقَـامُوا صَـلَاتَهُمْ» ... نَهَى عَنْ قِتَالِ القَوْمِ فَاسْمَعْ لِما أُبْدِي
أُولَئِــكِ قَــوْمٌ مُــسْلِمُوْنَ أَئِمَــةٌ ... أَتَـوا بِمَعَـاصٍ مُنْكَـرَاتٍ وَلَا تُجْـدِي
وَلَــم يُــشرِكُوا بِــاللهِ جَــلَّ جَلَالُــهُ ... وَلَـم يَتْرُكُوهَـا قَاصِـدِيْنَ عَلَـى عَمْـدِ
وَلَكِــنَّهُمْ قَــدْ أَخَّرُوْهَــا لِفِــسْقِهِمْ ... وَعُـدْوَانِهِمْ أَوْ لِلْتَكَاسِـلِ فِـي الجِـدِّ
وَمَــسْأَلَةُ الإِنْكَــارِ بِالــسَّيْفِ جَهْــرَةً ... تَجُـرُّ أُمُـورًا مُعْـضِلَاتٍ وَقَـدْ تُـرْدِيْ
وَفِيْهَــا فَــسَادٌ بِــالخُرُوْجِ عَلَــيْهِمُو ... بِــأَنْكَرَ مِمَّــا أَنْكَــرُوْهُ مِــنَ الجُنْــدِ
فَــمَاذَا عَلَــى الــشَّيْخِ الإِمــامِ مُحَمَّــدٍ ... إِذَا لَـمْ يُقَاتِـلْ مَـنْ ذَكَـرْتَ بِمَا تُبْـدِي
وَلَكِـنْ عَلَـى الكُفْـرِ البَـوَاحِ الـذَيْ بِـهِ ... أَبَاحَ دِمَـاءَ القَـوْمِ مَـنْ كُـلِّ ذِيْ جَحْـدِ
فَــإِيْرَادُ ذَا فِــي ضِــمْنِ هَــذَا تَعَنُّــتٌ ... وَلَـبْسٌ وَإِيْهَـامٌ عَلَـى الأَعْـيُنِ الرُّمْـدِ
وَقَوْلُـكَ فِـي مَزْبُـوْرٍ مَـا أَنْـتَ نَـاظِمٌ ... كَأَنَّكَ قَـدْ أَفْـصَحَتَ بِـالحَقِّ وَالرُّشْـدِ
(أَبِنْ لِي أَبِنْ لي لِـمْ سَفَكْتَ دِمَـاءَهُمْ ... وَلِمْ ذَا نَهَبْتَ المَالَ قَـصْدًا عَلَـى عَمـدِ)
(وَقَــدْ عَـصَمُوا هَـذَا وَهَـذَا بِقَـوْلِ لَا ... إِلَـهَ سِـوَى اللهِ المُهَـيْمِنِ ذِيْ المَجْـدِ)
أَقُـوْلُ: نَعَـمْ خـذْ فِـي الجَـوَابِ أَدِلَّـةً ... تَـدُلُّ عَلَـى غَيْـرِ المُـرَادِ الـذِيْ تُبْـدِي

فَمَنْ كَانَ صَلَّى وَزَكَّى وَلَم يَجِئْ بِمَا يَنْقُضُ الإسْلَامَ مِنْ كُلِّ مَا يُرْدِي
فَدَعْوَاكَ فِي قَتْلٍ وَنَهْبٍ تَحَكُّمٌ وَزُوْرٌ وَبُهْتَانٌ وَذَلِكَ لَا يُجْدِيْ
وَمَنْ بَدَّلَ الإسْلَامَ يَوْمًا بِنَاقِضٍ لِذَلِكَ بِالكُفْرَانِ وَالجَعْلِ لِلْنِّدِ
وَكَالمنعِ عَنْ بَذْلِ الزَّكَاةِ فَحُكْمُهُ كَأَحْكَامِ مُرْتَدٍّ عَنِ الدِّيْنِ ذِيْ جَحْدِ
إِذَا قَاتَلُوا بَغْيًا إِمَامًا أَرَادَهَا وَذَا قَوْلُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ذَوِيْ الزُّهْدِ
وَلَوْ شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ سِوَى الَّذِيْ عَلَى العَرْشِ مِنْ فَوْقِ السَّمَوَاتِ ذِيْ مَجْدِ
فَمَا عَصَمَتْهُمْ مِنْ صَحَابَةِ أَحْمَدٍ وَلَكِنَّهُمْ قَدْ قَاتَلُوهُمْ عَلَى عَمْدِ
وَسَمُّوهُمُو أَهْلَ ارْتِدَادٍ جَمِيْعَهُمْ وَإِجْمَاعُهُمْ حَتْمٌ لَدَى كُلِّ مُسْتَهْدِ
وَمَا فَرَّقُوا بَيْنَ المُقِرِّ وَجَاحِدٍ كَمَا هُوَ مَعْلُوْمٌ لَدَى كُلِّ ذِيْ نَقْدِ
وَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْ خِلَافِ مُخَالِفٍ لمنْ هُمُ حُمَاةُ الدِّيْنِ بِالجِدِّ وَالجَهْدِ
أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَهُمْ قُدْوَةٌ لِلْسَالِكِيْنَ عَلَى القَصْدِ
وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ يُخَالِفُ لَم يَكُنْ يُقَارِبُهُمْ هَيْهَاتَ مَا الشَّوْكُ كَالوَرْدِ
وَهُمْ فِي جَمِيْعِ الدِّيْنِ أَهْدَى طَرِيْقَةً وَأَقْرَبُ لِلْتَّقْوَى وَأَقْوَمُ فِي الرُّشْدِ
وَأَيْضًا بَنُو القداح قَدْ كَانَ أَمْرُهُمْ شَهِيْرًا وَمَعْرُوْفًا لَدَى كُلِّ ذِيْ نَقْدِ
وَأَجْمعَ أَهْلُ العِلْمِ مِنْ كُلِّ جَهْبَذٍ عَلَى كُفْرِهِمْ وَالحَقُّ فِي ذَاكَ مُسْتَبْدِ
وَقَدْ أَظْهَرُوْا لَفْظَ الشَّهَادَةِ جَهْرَةً وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ أَفْضَلُ مَنْ يَهْدِيْ
وَقَدْ أَبْطَنُوا لِلْكُفْرِ لَكِنْ تَظَاهَرُوْا بِمَا أَظْهَرُوا لِلْنَّاسِ مَا لَيْسَ بِالمُجْدِيْ
فَلَمَّا أَبَانُوا بَعْضَ أَشْيَاءَ خَالَفُوا بِهَا الشَّرْعَ بَاءُوا بِالخَسَارَةِ وَالطَّرْدِ
فَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ فَهْوَ كَافِرٌ حَلَالٌ دَمٍ وَالمَالُ يُنْهَبُ عَنْ قَصْدِ
وَذَاكَ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَهَذَا بِإِجْمَاعِ الهُدَاةِ ذَوِيْ الرُّشْدِ

وَأَمَّـا البُغَـاةُ الخَـارِجُوْنَ فَحُكْمُهُـمْ إِذَا خَرَجُـوْا أَوْ قَاتَلُونَـا عَلَـى عَمْـدِ
نُقَـاتِلُهُمْ حَتَّـى يَفِيئُـوا إِلَـى الْهُـدَىْ وَلَا نَأْخُـذِ الأَمْـوَالَ نَهْبًـا كَـمَا تُبْـدِيْ
وَمَهْـمَا يَقُـلْ فِيْنَـا العَـدُوُّ فَـإِنَّهُمْ يَقُوْلُـوْنَ مَعْرُوْفًـا وَآخَـرَ لَا يُجْـدِيْ
فَمَا كَـانَ مَعْرُوْفًـا مِـنَ الـدِّيْنِ وَاضِحًا كَإِجْمَاعِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ذَوِيْ الرُّشْـدِ
عَلَـى قَتْـلِ مُرْتَـدٍّ وَأَخْـذِ لِمَالِـهِ وَمَـانِعِ حَـقِّ الـمَالِ مِـنْ غَيْرِمَـا جَحْـدِ
فَـمَا فَرَّقُـوا بَـيْنَ المُقِـرِّ وَجَاحِـدٍ وَلَا بَـيْنَ مُرْتَـدٍّ إِلَـى الجَعْـلِ لِلْنِّـدِّ
وَإِجْمَاعُ أَهْلِ العِلْمِ مِـنْ بَعْـدِ عَـصْرِهِمْ عَلَى قَتْـلِ جَهْـمٍ وَالمرِيْـسِيِّ وَالجَعْـدِ
وغَيْلَانَ بَـلْ كَفَّـرُوا العُبَيْـدِيِّيْنَ وَالـذِّيْ عَلَى رَأْيِ جَهْمٍ فِي الـتَجَهُّمِ وَالجَحْـدِ
وَكُلُّ كَفُوْرٍ مِـنْ ذَوِيْ الـشِّرْكِ وَالـرَّدَى فَتَكْفِيْـرُهُمْ عَنَّـا صَـحِيْحٌ بِـلَا رَدِّ
وَمَـا لَفَّـقَ الأَعْـدَاءُ مِـنْ قَتْـلِ مُـسْلِمٍ وَنَهْبَـةِ أَمْـوَالٍ تُجَـلُّ عَـنِ العَـدِّ
فَمَحْـضُ أَكَاذِيْـبٍ وَتَزْوِيْـرِ آفِـكٍ وَظُلْـمٍ وَعُـدْوَانٍ وَذَلِـكَ لَا يُجْـدِيْ
وَقَوْلُـكَ تَمْوِيْهًـا وَإِلْـسزَامُ مُفْتَـرٍ بِـمَا لَـم يَكُـنْ مِنَّـا بِفِعْـلٍ وَلَا عَقْـدِ
أَقُـوْلُ نَعَـمْ هَـذَا هُـوَ الحَـقُّ وَالْهُـدَى وَنَحْنُ عَلَى ذَا الأَمْرِ نَهْـدِيْ وَنَـسْتَهْدِيْ
وَلَـم نَتَجَـاوَزْ فِـي الأُمُـوْرِ جَمِيْعِهَـا بِحَمْدِ وَلِيِّ الحَمْدِ مَنْصُوصَ مَا تُبْـدِيْ
وَلَكِـنْ أَطَعْـتَ الكَاشِـحِيْنَ وَمَيْـنَهُمْ بِتَزْوِيْـرِ بُهْتَـانٍ عَلَـى العَـالِمِ المَهْـدِيْ
بِأَنَّـا قَتَلْنَـا وَاسْـتَبَحْنَا دِمَـاءَهُمْ وَأَمْـوَالَهُمْ هَـذِيْ مَقَالَـةُ ذِيْ الحِقْـدِ
وَحَاشَـا وَكَـلَّا مَـا لِهَـذَا حَقِيْقَـةٌ وَلَـيْسَ لَـهُ أَصْـلٌ يُقَـرَّرُ فِـي نَجْـدِ
وَأَعْجَـبُ مِـنْ هَـذَا التَّهَـوُّرِ كُلِّـهُ مَقَالُكَ فِي هَمْـطٍ وَخَـرْطٍ عَلَـى عَمْـدِ
وَأَبْـدَيْتَ جَهْـلًا فِـي نِظَامِـكَ وَالـذِّيْ شَرَحْتَ بِهِ المَنْظُوْمَ مِنْ جَهْلِـكَ المُـرْدِيْ
كَقَوْلِـكَ عَـنْ بَحْـرِ العُلُـوْمِ مُحَمَّـدٍ إِمَامُ الْهُدَىْ المَعْـرُوْفُ بِـالعِلْمِ وَالنَّقْـدِ

(وَقَدْ قُلْتَ فِي المُخْتَارِ: أَجْمَعَ كُلُّ مَنْ ... حَوَى عَصْرِهِ مِنْ تَابِعِيٍّ ذَوِيْ رُشْدِ)
(عَلَى كُفْرِهِ هَذَا يَقِيْنًا لِأَنَّهُ ... تَسَمَّى نَبِيًّا لَا كَمَا قُلْتَ فِي الجَعْدِ)
((فَذَلِكَ لَمْ يُجْمِعْ عَلَى قَتْلِهِ وَلَا ... سِوَى خَالِدٍ ضَحَّى بِهِ وَهُوَ عَنْ قَصْدِ))
أَقُوْلُ لَعَمْرِيْ قَدْ تَجَارَيْ بِكَ الهَوَى ... إِلَى جَحْدِ مَعْلُوْمٍ مِنَ الدِّيْنِ مُسْتَبْدِ
وَيَعْلَمُ هَذَا بِالضَّرُوْرَةِ أَنَّهُ ... بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ كُلِّ مُسْتَهْدِ
وَأَوْرَدْتَ هَمْطًا لَا يَسُوْغُ لِعَالِمٍ ... حِكَايَتُهُ فِيْ شَرْحِ مَنْظُوْمِكَ الْمرْدِيْ
وَتَنْقُضُ مَا أَبْرَمْتَهُ بِتَهَوُّرٍ ... يَعُوْدُ عَلَى مَا قُلْتَ بِالرَّدِّ وَالهَدِّ
وَحَقَّقْتَ فِيْ المُخْتَارِ مَا قَالَ شَيْخُنَا ... بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ كُلِّ ذِيْ نَقْدِ
عَلَى كُفْرِهِ لَـمَّا تَنَبَّا وَبَعْدَهُ ... تُنَاقِضُ مَا حَقَّقْتَ بِالهَدِّ وَالرَّدِّ
عَلَى أَنَّ ذَا الإِجْمَاعَ عَنْ مِثْلِ مُصْعَبٍ ... وَكَابْنِ الزُّبَيْرِ الفَاضِلِ العَلَمِ الفَرْدِ
وَكَالفَاجِرِ الحَجَّاجِ مَنْ كَانَ ظَالِمًا ... وَعَبْدِالمَلِكِ الشَّهْمِ ذِيْ العِلْمِ وَالمَجْدِ
وَأَنَّ أُلَاءِ القَوْمَ لَيْسُوا بِحُجَّةٍ ... وَلَيْسُوا ذَوِيْ عِلْمٍ وَلَيْسُوا ذَوِيْ رُشْدِ
وَطَلَّابُ مُلْكٍ لَا لِدِيْنٍ وَلَا هُدَى ... وَأَرْبَابُ دَوْلَاتٍ وَدُنْيَا ذَوِيْ حِقْدِ
فَعَنْ مِثْلِهِمْ لَا يَسْتَجِيْزُ مُحَقِّقٌ ... حِكَايَةَ إِجْمَاعٍ يُقَرِّرُ عَنْ عَمْدِ
فَنَاقَضَ مَا قَدْ قَالَ فِيْ النَّظْمِ أَوَّلًا ... بِمَا قَالَهُ فِيْ الشَّرْحِ بِالهَمْطِ ذِيْ اللَّدِّ
وَمَا هَكَذَا يَحْكِيْ ذَوُوْ العِلْمِ وَالهُدَى ... وَلَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ بِمَا يُبْدِيْ
وَأَغْفَلَ ذِكْرَ التَّابِعِيْنَ ذَوِيْ التُّقَى ... خُلَاصَةَ أَهْلِ العِلْمِ فِيْ الحِلِّ وَالعَقْدِ
لِيُوْهِمَ ذَا جَهْلٍ غَبِيٍّ بِأَنَّمَا ... حِكَايَةُ إِجْمَاعِ الأَئِمَّةِ لَا يُجْدِي
فَقُلْ لِلْغَبِيِّ الفَدْمِ لَوْ كُنْتَ مُنْصِفًا ... خَلِيًّا مِنَ الأَغْرَاضِ وَالغِلِّ وَالحِقْدِ
لَـمَا حِدْتَ عَنْ نَهْجِ الأَئِمَةِ كُلِّهِمْ ... وَجِئْتَ بِهَذْرٍ لَا يُفِيْدُ لَدَى النَّقْدِ

وَوَاللهِ مَا أَدْرِيْ عَلَامَ نَسَبْتَ مَا ... تُلَفِّقُهُ مِنْ جَهْلِكَ الفَاضِحِ المُرْدِيْ
إِلَى الشَّيْخِ وَالشَّيْخُ المُحَقِّقُ لَمْ يَقُلْ ... بِإِجْمَاعِ أَعْيَانِ المُلُوْكِ وَلَا الجُنْدِ
وَلَكِنْ حَكَى إِجْمَاعَ كُلِّ مُحَقِّقٍ ... مِنَ السَّلَفِ المَاضِيْنَ مِنْ كُلِّ ذِيْ مَجْدِ
كَمَا هُوَ مَعْلُوْمٌ لَدَى كُلِّ عَالِمٍ ... وَلَوْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ لَأَنْصَفْتَ فِي الرَّدِّ
وَقَوْلُكَ فِيْ الجَعْدِ بْنِ دِرْهَم إِنَّهُ ... عَلَى قَتْلِهِ لَم يُجْمِعِ النَّاسُ عَنْ قَصْدِ
فَذَا فِرْيَةٌ لَا يَمْتَرِيْ فِيْهِ عَارِفٌ ... وَفِيْهِ مِنَ الإِغْضَاءِ مَا لَيْسَ بِالمَجْدِيْ
عَلَى خَالِدِ القِسْرِيِّ إِذْ كَانَ عَامِلًا ... لِمَرْوَانَ هَذَا قَوْلُ مَنْ لَيْسَ ذَا نَقْدِ
فَإِجْمَاعُ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ بَعْدِ قَتْلِهِ ... عَلَى أَنَّهُ مُسْتَوْجِبٌ ذَاكَ بِالحَدِّ
وَقَدْ شَكَرُوْا هَذَا الصَّنِيْعَ لخَالِدٍ ... كَمَا هُوَ مَعْلُوْمٌ لَدَى كُلِّ مُسْتَهْدِ
وَمَا أَحَدٌ فِيْ عَصْرِ خَالِد لَمْ يَكُنْ ... يَرَى قَتْلَهُ بَلْ قَرَّرُوْا ذَاكَ عَنْ قَصْدِ
وَأَحْسَنُ قَصْدٍ رَامَهُ خَالِدٌ الرِّضَى ... بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ ذِيْ العَرْشِ وَالمَجْدِ
وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ القَيِّمِ الثِّقَةُ الرِّضَى ... عَلَى ذَاكَ إِجْمَاعَ الهُدَاةِ ذَوِيْ الرُّشْدِ
وَذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ عَالِمٍ ... فَقَدْ قَالَ بِالكُفْرِ الصَّرِيْحِ عَلَى عَمْدِ
وَأَظْهَرَ هَذَا القَوْلَ بَلْ كَانَ دَاعِيًا ... وَلَا شَكَّ فِيْ تَكْفِيْرِهِ عَنْ ذَوِيْ النَّقْدِ
فَدَعْنَا مِنَ التَّمْوِيْهِ فَالحَقُّ وَاضِحٌ ... وَإِجْمَاعُ أَهْلِ العِلْمِ كَالشَّمْسِ مُسْتَبْدِ
وَمَا كَانَ قَصْدًا سَيِّئًا قَتْلُ خَالِدٍ ... لِجَعْدٍ عَدُوِّ اللهِ ذِيْ الكُفْرِ وَالجَحْدِ
كَمَا قُلْتَهُ ظَنًّا وَإِفْكًا وَفِرْيَةً ... عَلَى أَنَّهُ قَدْ غَارَ للهِ مِنْ جَعْدِ
فَنَالَ بِهِ شُكْرًا وَفَوْزًا وَرِفْعَةً ... فَنَرْجُوْ لَهُ الزُّلْفَى إِلَى جَنَّةِ الخُلْدِ
وَدَعْوَاكَ فِيْ الإِجْمَاعِ إِنْكَارَ أَحْمَدٍ ... فَذَاكَ لِأَمْرٍ قَدْ عَنَاهُ مِنَ الضِّدِّ
يَرَوْنَ أُمُوْرًا مُحْدَثَاتٍ وَيَذْكُرُوْا ... عَلَى ذَلِكَ الإِجْمَاعِ مِنْ غَيْرِ مَا نَقْدِ

فَــأَنْكَرَهُ لا مُطْلَقًــا فَهُــوَ قَــدْ حَكَــى عَلَى بَعْضِ مَا يَرْوِيْهِ إِجْمَاعَ مَـنْ يَهْـدِيْ
كَــمَا ذَكَــرَ ابْــنُ القَـيِّمِ الأَوْحَـدُ الـذِّيْ أَتَى بِنَفِيْسِ العِلْـمِ فِـيْ كُـلِّ مَـا يُبْـدِيْ
عَلَـى قَتْـلِ جَعْـدٍ فِـيْ قَـصِيْدَتِهِ التِـيْ أَبَـانَ بِهَـا شَــمْسَ الهِدَايَـةِ وَالرُّشْـدِ
وَفِيْهَا حَكَى الإِجْمَاعَ فِـيْ غَيْـرِ مَوْضِـعٍ وَفِيْ غَيْرِهَا مِـنْ كُتْبِـهِ عَـنْ ذَوِيْ النَّقْـدِ
وَقَدْ كَانَ مِنْ سَادَاتِ أَصْـحَابِ أَحْمَـدٍ وَيَحْكِي مِنَ الإِجْمَاعِ أَقْوَالَ ذِيْ المَجْـدِ
وَقَدْ ذَكَرُوا الإِجْمَاعَ بَعْضَ ذَوِيْ النُّهَـى فَسَلْ عَنْهُ أَهْلَ الإِصَـابَةِ مِـنْ نَجْـدِ (؟)
وَذَلِـكَ لَا يَخْفَـى لَـدَى كُـلِّ عَـالِمٍ فَفِــيْ كُتُـبِ الإِجْـمَاعِ ذَاكَ بِـلَا عَـدِّ
فَــمَا وَجْــهُ هَــذَا اعْتِــرَاضٌ بِنَفْيِــهِ وَقَدْ كَـان مَعْلُوْمًـا لَـدَى كُـلِّ مُـسْتَهْدِ
وَقَوْلُــكَ فِــيْمَا قَالَــهُ الــشَّيْخُ حَاكِيًــا عَلَى ذَلِكَ الإِجْمَاعِ مِنْ غَيْـرِ مَـا جَحْـدِ
(وَذَلِــكَ فِــيْ أَنَّ الــصَّحَابَةَ أَجْمَعُــوْا عَلَى قَتْلِهِمْ وَالسَّبْيِ وَالنَّهْـبِ وَالطَّـرْدِ)
(لِمَــنْ لِزَكَــاةِ الــمَالِ قَــدْ كَــانَ مَانِعًــا) نَعَمْ قَدْ ذَكَرْنَا فِي الجَـوَابِ وَفِـيْ الـرَّدِّ
جَوَابَــكَ عَــمَّا قَــدْ ذَكَــرْتُ مُفَــصَّلًا فَــرُدَّ تَجِـدْ طَعْـمًا أَلَـذَّ مِـنَ الـشَّهْدِ
حَكَى ذَاكَ عَنْ شَيْخِ الوُجُوْدِ أَخِـيْ التُّقَـى إِمَامِ الهُدَى الـسَّامِيْ إِلَـى ذِرْوَةِ المَجْـدِ
وَذَاكَ أبوالعَبَّــاسِ أَحْمَــدُ ذُوْ النُّهَــى وَفِيْ ذَاكَ مَا يَكْفِيْ لِمَـنْ كَـانَ ذَا رُشْـدِ
وَقَوْلُــكَ فِــيْمَا قَالَــهُ الــشَّيْخُ حَاكِيًــا عَلَى ذَلِكَ الإِجْمَاعِ مِنْ غَيْـرِ مَـا جَحْـدِ
(فَقَــدْ كَــانَ أَصْــنَافُ العُــصَاةِ ثَلَاثَــةٌ كَـمَا قَـدْ رَوَاهُ المُـسْنِدُوْنَ ذَوُوْ النَّقْـدِ)
(وَقَدْ جَاهَـدَ الـصِّدِّيْقُ أَصْنَافَهُمْ وَلَـمْ يُكَفِّرْ مِنْهُمْ غَيْرَ مَـنْ ضَـلَّ عَـنْ رُشْـدِ)
أَقُــوْلُ لَعَمْــرِيْ مَــا أَصَــبْتَ وَلَـم تَـسِرْ عَلَى مَنْهَجِ الصِّدِّيْقِ ذِيْ الرُّشْـدِ وَالمَجْـدِ
فَــسِيْرَتُهُ مَــعْ صَــحْبِ أَحْمَـدَ كُلِّهِـمْ مُقَــرَّرَةٌ مَعْلُوْمَــةٌ عِنْـدَ ذِيْ النَّقْــدِ
فَكَفَّــرَ مَــنْ قَــدْ آمَنُــوا بِطُلَيْحَــةٍ وَبِالأَسْوَدِ العَنْسِيِّ ذِيْ الكُفْرِ وَالجَحْـدِ

مُسَيْلِمَةِ الكَذَّابِ وَالكُلُّ كَافِرٌ ... سِوَى الأَسَدِيِّ لَـمَّا أَنَابَ إِلَى الرُّشْدِ
وَطَائِفَةٌ قَدْ أَسْلَمُوْا لَكِنِ اعْتَدُوْا ... بِمَنْعِ زَكَاةِ المَالِ قَصْدًا عَلَى عَمْدِ
فَنَازَعَهُ الفَارُوْقُ فِيْهِمْ مُعَلِّلًا ... فَنَاظَرَهُ الصِّدِّيْقُ ذُو الجِدِّ وَالجَهْدِ
فَآبَ إِلَى مَا قَدْ رَآهُ وَأَجْمَعُوْا ... جَمِيْعًا عَلَى قَتْلِ الغُوَاةِ ذَوِيْ الطَّرْدِ
وَسَمَّوْهُمْ أَهْلَ ارْتِدَادٍ جَمِيْعَهُمْ ... وَمَا فَرَّقُوْا بَيْنَ المُقِرِّ وَذِيْ الجَحْدِ
وَلَا بَيْنَ مَنْ يَدْعُوْ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ ... كَمَا هُوَ مَعْلُوْمٌ لَدَى كُلِّ مُسْتَهْدِ
فَإِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ فَعَنْ صَحْبِ أَحْمَدٍ ... أَبِنْ ذَلِكَ التَّفْرِيْقَ بِالسَّنَدِ المُجْدِيْ
وَإِلَّا فَدَعْنَا مِنْ خِلَافِ مُخَالِفٍ ... لِإِجْمَاعِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ذَوِيْ الرُّشْدِ
فَمَا غَيْرُهُمْ أَهْدَى طَرِيْقًا وَلَمْ يَكُنْ ... يُقَارِبُهُمْ تَاللهِ مَا الشَّوْكُ كَالوَرْدِ
وَمَنْ رَدَّ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ بِالَّذِيْ ... يَرَاهُ الحُلُوْفُ القَاصِرُوْنَ عَلَى عَمْدِ
فَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... وَنُقْصَانِهِ فِيْ الدِّيْنِ وَالعَقْلِ وَالعَقْدِ
فَمَا صَحَّ بَعْدَ الاجْتِمَاعِ اخْتِلَافُهُمْ ... وَكَيْفَ وَقَدْ كَانُوْا جَمِيْعًا ذَوِيْ رُشْدِ
وَدَعْنَا مِنَ التَّأْوِيْلِ فَهُوَ ضَلَالَةٌ ... فَلَيْسَ لَهُ فِيْنَا مَسَاغٌ وَلَا يُجْدِيْ
وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الآنَ أَحْسِبُ أَنَّهُ ... تَوَهَّمَ صِدْقَ المُفْتَرِيْ مِنْ ذَوِيْ الحِقْدِ
كَقَوْلِكَ إِذْ سَمَّوْهُمُو أَهْلَ رِدَّةٍ ... لِذَلِكَ تَغْلِيْبًا وَذَا لَيْسَ بِالمُجْدِيْ
فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ النِّظَامَ وَجَدْتُهُ ... مَعَ الشَّرْحِ فِيْ غَيٍّ وَبَغْيٍ عَلَى عَمْدِ
فَلَمْ تَعْرِفِ الكُفْرَ المُبِيْحَ لِقَتْلِهِمْ ... وَسَبْيٍ وَنَهْبِ المَالِ مِنْ غَيْرِ مَا رَدِّ
وَلَمْ تَعْرِفِ الإِسْلَامَ حَقًّا وَكَوْنَهُ ... لَهُمْ عَاصِمًا مِنْ كُلِّ مَا كَانَ قَدْ يُرْدِيْ
فَيَا أَيُّهَا الغَاوِيْ طَرِيْقَةَ رُشْدِهِ ... ثَكِلْتُكَ مَنْ غَاوٍ قَفَى أَثَرَ ذِيْ الحِقْدِ
وَصَدَّقَ مَا بَعْتَادِهِ مَنْ تَوَهَّمَ ... بِلَبْسٍ وَتَمْوِيْهٍ وَهَمْطٍ بِلَا رُشْدِ

أَفِقْ عَنْ مَلَامٍ لَا أَبَا لَكَ لَمْ يَكُنْ بِحَقٍّ وَلَا صِدْقٍ وَلَا قَوْلِ ذِي نَقْدِ
فَنَفْيُكَ لِلْإِجْمَاعِ لَيْسَ مُحَقَّقًا نَعَمْ قَدْ ذَكَرْنَا فِي الجَوَابِ وَفِي الرَّدِّ
جَوَابَكَ عَمَّا قَدْ ذَكَرْتَ مُفَصَّلًا فَرُدَّ تَجِدْ طَعْمًا أَلَذَّ مِنَ الشَّهْدِ
حَكَى ذَاكَ عَنْ شَيْخِ الوُجُوْدِ أَخِي التُّقَى الإِمَامِ الهُدَى السَّامِيْ إِلَى ذِرْوَةِ المَجْدِ
وَ ذَاكَ أبوالعَبَّاسِ أَحْمَدُ ذُوْ النُّهَى وَفِيْ ذَاكَ مَا يَكْفِيْ لِمَنْ كَانَ ذَا رُشْدِ
أَقُوْلُ لَعَمْرِيْ مَا أَصَبْتَ وَلَمْ تَكُنْ عَلَى مَنْهَجٍ يُنْجِيْكَ عَنْ زُوْرِكَ المُرْدِيْ
فَقَدْ كَانَ شَيْخُ المُسْلِمِيْنَ مُحَمَّدٌ عَلَى المَنْهَجِ الأَسْنَى وَكَانَ عَلَى الرُّشْدِ
فَسَارَ عَلَى مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ وَمَنْهَجِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ذَوِيْ المَجْدِ
وَمَا قَاتَلَ الشَّيْخُ الإِمَامُ مُحَمَّدٌ سِوَى أُمَّةٍ عَادُوْا عَنِ الحَقِّ وَالقَصْدِ
يُنَادُوْنَ زَيْدًا وَالحُسَيْنَ وَخَالِدًا وَمَنْ كَانَ فِيْ الأَجْدَاثِ مِنْ سَاكِنِ اللَّحْدِ
وَقَدْ جَعَلُوْا للهِ جَلَّ جَلَالُهُ نَدِيْدًا تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ النِّدِّ
وَقَاتَلَهُمْ لَمَّا أَبَوْا وَتَمَرَّدُوْا وَقَدْ شَرَدُوْا عَنْ دَعْوَةِ الحَقِّ لِلْضِدِّ
فَعَمَّنْ أَخَذْتَ الزُوْرَ مِمَّا نَظَمْتَهُ وَسَطَّرْتَهُ فِيْ الرِّقِ جَهْرًا عَلَى عَمْدِ
أَعَنْ مَرْبَدٍ مَنْ فَرَّ عَنْ دِيْنِ أَحْمَدٍ وَقَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ فِيْ رُبَى نَجْدِ
وَقَدْ هَاضَهُ بَلْ غَاضَهُ وَأَمَضَّهُ تَلَأْلُؤُ نُوْرِ الحَقِّ مِنْ كَوْكَبِ الرُّشْدِ
وَقَدْ أَلِفَ المَأْفُوْنُ مَا كَانَ قَوْمُهُ عَلَيْهِ مِنَ الإِشْرَاكِ وَالجَعْلِ لِلْنِّدِّ
وَلَمَّا اسْتَجَابُوْا وَاسْتَقَامُوْا عَلَى الهُدَى تَضَايَقَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ مِنْ لَهُ يُجْدِيْ
فَفَرَّ وَأَبْدَى تُرَّهَاتٍ وَضِلَّةً يَصُدُّ بِهَا أَهْلَ الغِوَايَةِ وَاللَّدِّ
عَنْ الدِّيْنِ وَالتَّقْوَى ذَوِيْ الإِفْكِ وَالرَّدَى وَهَيْهَاتَ قَدْ بَانَ الرَّشَادُ لِذِيْ النَّقْدِ
فَقَوْلُكَ عَمَّنْ فَرَّ عَنْ دِيْنِ أَحْمَدٍ بِتَزْوِيْرِهِ إِفْكًا وَبُهْتًا عَلَى عَمْدِ

فَإِنَّهُمُو قَدْ بَايَعُوْكَ عَلَى الهُدَى وَلَمْ يَجْعَلُوْا للهِ فِيْ الدِّيْنِ مِنْ نِدٍّ
تَهَوُّرُ أَفَّاكٍ وَتَزْوِيْرُ مُبْطِلٍ تُجَارِيْ بِهِ الأَهْوَاءُ والحَسَدُ المُرْدِيْ
فَمَا بَايَعُوْا بَعْدَ الضَّلَالِ عَلَى الهُدَىْ وَقَاتَلَهُمْ حَاشَا وَكَلَّا فَمَا تُبْدِيْ
مِنَ الزُّوْرِ وَالبُهْتَانِ لَيْسَ بِثَابِتٍ وَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فَدَعْ عَنْكَ مَا يُرْدِيْ
وَلَا هَجَرُوْا مَا كَانَ مِنْ بِدَعٍ وَمِنْ عِبَادَةِ مَنْ حَلَّ المَقَابِرَ فِيْ اللَّحْدِ
فَلَوْ آمَنُوْا بِاللهِ مِنْ بَعْدِ غَيِّهِمْ وَتَابُوْا عَنِ الإِشْرَاكِ بِالصَّمَدِ الفَرْدِ
لَمَا سُفِكَتْ تِلْكَ الدِّمَاءُ وَقُتِّلُوْا بِلَا حُجَّةٍ هَذَا مِنْ الكَذِبِ المُرْدِيْ
وَلَكِنَّهُمْ فِيْ غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ لَا يَهْتَدُوْنَ لِمَنْ يَهْدِيْ
نَعَمْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ تَزَنْدُقًا وَحَادَ أَخِيْرًا عَنْ مُوَافَقَةِ الرُّشْدِ
إِلَى الكُفْرِ وَالإِشْرَاكِ بِاللهِ جَهْرَةً فَقَاتَلَهُمْ عَمْدًا وَقَصْدًا لِذَا القَصْدِ
فَخَافَ مِنَ المَوْلَى عُقُوْبَةَ تَرْكِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى يَفِيْئُوْا لِمَا يُبْدِيْ
وَعَامَلَ أَهْلَ الحَقِّ بِاللُّطْفِ وَالذِيْ يَحِيْدُ عَنِ الإِسْلَامِ بِالصَّارِمِ الهِنْدِيْ
وَقَدْ قَامَ يَدْعُوْهُمْ إِلَى اللهِ بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ لَا يَأْلُوْا اجْتِهَادًا بِمَا يُجْدِيْ
وَعَامَلَهُمْ بِاللُّطْفِ وَالرِّفْقِ دَاعِيًا إِلَى فِعْلِ مَا يَهْدِيْ إِلَى جَنَّةِ الخُلْدِ
فَلَمَّا أَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوْا وَتَمَرَّدُوْا عَنِ الدِّيْنِ وَاسْتَعْدَوْا عُدَاةَ ذَوِيْ جَحْدِ
أَحَلَّ بِهِمْ مَا قَدْ أَحَلَّ نَبِيُّهُ بِمَنْ كَفَرُوْا بِاللهِ مِنْ كُلِّ ذِيْ طَرْدِ
إِلَى أَنْ أَنَابُوْا وَاسْتَجَابُوْا وَأَذْعَنُوْا لِمَنْ قَامَ يَدْعُوْهُمْ إِلَى مَنْهَجِ الرُّشْدِ
فَنَالُوْا بِهِ عِزًّا وَمَجْدًا وَرِفْعَةً وَدَانَ لَهُمْ بِالدِّيْنِ مَنْ صَدَّ عَنْ جَهْدِ
وَقَوْلُكَ: فَارْدُدْ مَا نَهَبْتَ، تَحَكُّمٌ ثَكِلْتُكَ هَلْ تَدْرِيْ غَوَائِلَ مَا تُبْدِيْ
أَيُرْجِعُ أَمْوَالًا أُبِيْحَتْ بِكُفْرِهِمْ إِلَيْهِمْ وَهَلْ هَذِيْ مَقَالَةُ ذِيْ نَقْدِ

أَهَـذَا حَـرَامٌ وَيْـلُ أُمِّـكَ أَوْ أَتَـى ... بِـذَلِكَ وَحْـيٌ مُسْتَبِيْنٌ لِـذِي رُشْـدِ
فَلَـوْ أَنَّ مَـا تَحْكِـي مِـنَ الـزُّوْرِ كَـائِنٌ ... لَكَـانَ حَرَامًـا لَا يُبَـاحُ وَلَا يُجْـدِيْ
وَمَا عَزَّ شَمْسُ الدِّيْنِ فِيْ نُصْرَةِ الْهُـدَى ... تُعَـزِّزُهُ بِالجَـاهِ وَالعِـزِّ وَالجِـدِّ
وَلَا بِأُنَـاسٍ حَـسَّنُوْا البَغْـيَ بِـالهَوَى ... وَهَمُّهُـمُ أَخْـذُ الأَثَـاثِ مَـعَ النَّقْـدِ
كَـمَا قُلْتَـهُ فِـيْمَا تَهَـوَّرْتَ قَـائِلًا ... بِـمَا لم يَقُـلْ أَهْـلُ الدِّرَايَـةِ مِـنْ نَجْـدِ
وَمَـا قُلْتُمُـو بِـالمَيْنِ[1] مِـنْ هَـذَيَانِكُمْ ... كَقَوْلِكَ تَمْوِيْهًا عَلَى الأَعْيُنِ الرُّمْدِ
يُرِيْـدُوْنَ نَهْـبَ الْمُـسْلِمِيْنَ وَأَخْـذَ مَـا ... بِأَيْـدِيْهِمُوْ مِـنْ غَيْـرِ خَـوْفٍ وَلَا حَـدِّ
ثَكِلْتُـكَ هَـلْ هَـذِيْ مَقَالَـةُ عَـالِمٍ ... تَقِـيٍّ نَقِـيٍّ عَـارِفٍ أَوْ أَخِـيْ رُشْـدِ
أَيُرْجِـعُ أَمْـوَالًا إِلَـى كُـلِّ مَـنْ دَعَـا ... سِوَى اللهِ مَعْبُوْدٍ مِنَ الخَلْقِ لَا يُجْدِيْ
يُنَـادُوْنَ زَيْـدًا[2] طَـالِبِيْنَ بِرَغْبَـةٍ ... وَمَنْ كَانَ فِيْ الأَجْدَاثِ مِنْ سَاكِنِ اللَّحْدِ
وَتَاجًـا وَشَمْـسَانًا ومَـنْ كَـانَ يَـدَّعِيْ ... وِلَايَتَـهُ الجُهَّـالُ مِـنْ غَيْـرِ مَـا عَـدِّ
وَيَـدْعُوْنَ أَشْـجَارًا كَثِيْـرًا عَدِيْـدَةً ... لَعَمْـرِيْ وَأَحْجَـارًا تُـرَادُ لِـذَا القَـصْدِ
وَغَـارًا وَقَـدْ آوَتْ إِلَيْـهِ بِـزَعْمِهِمْ ... هُنَالِـكَ بِنْـتٌ لِلْأَمِيْـرِ عَلَـى جَهْـدِ
وَقَـدْ رَامَ مِنْهَـا فَاسِـقٌ أَنْ يُرِيْـدَهَا ... بِـسُوْءٍ فَعَـادَ الغَـارُ مُنْغَلِـقَ الـسَّدِّ
فَكَـانَ لَهَـا الْمَـوْلَى مُجِيْـرًا وَعَاصِـمًا ... فَيَدْعُوْنَـهُ مِـنْ أَجْـلِ ذَاكَ ذَوُوْا اللَّـدِّ
وَفِحَـالُ نَخْـلٍ يَخْـتَلِفْنَ نِـسَاؤُهُمْ ... إِلَيْـهِ بِإِهْـدَاءِ القَـرَابِيْنَ عَـنْ عَمْـدِ
إِذَا لَـمْ تَلِـدْ أَوْ لَـمْ تُـزَوَّجْ لِيُعْطِهَـا ... بَنِـيْنَ وَزَوْجًـا عَـاجِلًا غَيْـرَ ذِيْ صَـدِّ
وَكُـلُّ قُـرَى نَجْـدٍ بِهِـنَّ مَعَابِـدٌ ... كَثِيْـرٌ بِـلَا حَـدٍّ يُحَـدُّ وَلَا عَـدِّ

(١) أي: الكذب.

(٢) يعني: ابن الخطاب، المتقدم ذكره.

فَـإِنْ كَـانَ هَـذَا لَـيْسَ عِنْـدَكَ مُخْرِجًـا مِنَ الدِّيْنِ مَنْ يَأْتِيْ بِهِ مِنْ ذَوِيْ الجَحْـدِ
لِأَنَّهُمُـــو قَـــدْ آمَنُـــوْا بِمُحَمَّـــدٍ عَلَيْـهِ صَـلَاةُ اللهِ مَـا حَـنَّ مِـنْ رَعْـدِ
وَلَا اعْتَقَـــدُوْا فِـــيْمَنْ دَعَـــوْهُ بِأَنَّـــهُ إِلَهٌ مَعَ الـرَّحْمَنِ ذِيْ العَـرْشِ وَالمَجْدِ
وَلَكِـــنَّهُمْ قَـــوْمٌ أَتَـــوْا بِجَهَالَـــةٍ وَغَـرَّهُمُ الـشَّيْطَانُ ذُوْ الغَـدْرِ وَالطَّـرْدِ
فَـــزَيَّنَ لِلْجُهَّـــالِ أَنَّ ذَوِيْ التُّقَـــى مِـنَ الـصُّلَحَا وَالأَوْلِيَـاءِ ذَوِيْ الرُّشْـدِ
لَهُـــمْ شُـــفَعَاءٌ يَنْفَعُـــوْنَ وَأَنَّهُـــمْ يَـضُرُّوْنَ هَـذَا قَوْلُـهُ عَـنْ ذَوِيْ اللَّـدِّ
فَمِنْ أَجْـلِ هَـذَا كَـانَ هَـذَا اعْتِقَـادَهُمْ كَمَا اعْتَقَـدَ الكُفَّـارُ مِـنْ قَبْـلُ فِـيْ النِّـدِّ
وَلَكِنَّ أَوْلى[1] القَوْمِ لَيْسُوْا كَمَنْ مَضَى فَقَـدْ أَثْبَتُـوْا التَّوْحِيْـدَ لِلْوَاحِـدِ الفَـرْدِ
فَـــمَا الأَوْلِيَـــا وَالـــصَّالِحُوْنَ لَـــدَيْهُمُ بِآلِهَـــةٍ حَاشَـــا فَلَيْـــسُوْا ذَوِيْ جَحْـــدِ
فَهَـــذَا مَقَـــالُ الفَـــدْمِ[2] لَا دَرَّ دَرُّهُ كَـمَا هُـوَ مَعْلُـوْمٌ مِـنَ الـشَّرْحِ مُسْتَبْدِ
وَكَـــانَ لَعَمْـــرِيْ سَـــامِجًا مُتَنَاقِـــضًا فَتَبًّا لِمَـنْ يُبْـدِيْ مِـنَ الغَـيِّ مَـا يُـرْدِيْ
فَلَسْتَ عَلَى نَهْجٍ مِـنَ الـدِّيْنِ وَاضِـحًا وَلَسْتَ بِذِيْ عِلْمٍ وَلَـسْتَ بِـذِيْ رُشْـدِ
وَإِنْ كَـانَ هَـذَا غَايَـةَ الكُفْـرِ وَالـرَّدَى وَأَدْيَـانَ عُبَّـادِ القُبُـوْرِ ذَوِيْ الجَحْـدِ
فَـمَا بَـالُ هَـذَا الطَّعْـنِ وَنَحْـكَ جَهْـرَةً عَلَى مَنْ مَحَا تِلْـكَ المَعَابِـدَ مِـنْ نَجْـدِ
وَتَرْمِيْـــهِ بِالبُهْتَـــانِ وَالـــزُّوْرِ زَاعِـــمًا بِأَنَّـكَ ذُوْ نُـصْحٍ وَتَهْـدِيْ وَتَـسْتَهْدِيْ
فَهَـلَّا نَـصَحْتَ اليَـوْمَ نَفْـسَكَ مُزْرِيًـا عَلَيْهَـا وَمُـسْتَعْدٍ عَلَيْهَـا بِـمَا تُبْـدِيْ
لِتَنْجُـوَ فِـي يَـوْمٍ عَظِـيْمٍ عَصَبْـصَبٍ مِنَ الإِفْكِ وَالبُهْتَانِ فِي العَالَمِ المُهْدِيْ
فَإِنَّـكَ قَـدْ أَوْغَلْـتَ فِـيْ الـشَّرِّ قَـائِلًا بِمَا لَيْسَ مَعْلُوْمًا لَـدَى كُـلِّ مَـنْ يَهْـدِيْ

---

(١) في الأصل: (أولا).

(٢) (الفدم): هو العيي عن الحجة والكلام. «العين» (ص ٧٣).

وَكُلُّ الَّذِيْ قَدْ قُلْتَ فِيْ الشَّيْخِ فِرْيَـةٌ ... بِـلَا مِرْيَـةٍ وَالحَـقُّ كَالـشَّمْسِ مُسْتَبْدِ
وَأَعْجَـبُ شَـيْءٍ قَالَـهُ بَعْـدَ هَـذْرِهِ ... وتلَفِيْقِـهِ زورًا مـن القـول لا يجـدي
(وَلَا تَحْسَبُوْا أَنِّيْ رَجَعْتُ عَنِ الَّذِيْ ... نَظمْتُـهُ نَظْمِـي القَـدِيْمُ إِلـى نَجْـدِ)
(بَلَـى كُـلُّ مَـا فِيْـهِ هُـوَ الحَـقُّ إِنَّـمَا ... تَجَارِيْكَ مِنْ سَفْكِ الدِّمَا لَيْسَ مِنْ قَصْدِيْ)
أَقُـوْلُ نَعَـمْ كُـلُّ الَّـذِيْ قَـالَ أَوَّلًا ... هُوَ الحَقُّ وَالتَّحْقِيْـقُ مِـنْ غَيْـرِ مَا رَدِّ
وَكُـلُّ الَّـذِيْ قَـدْ قَـالَ فِيْ النَّظْمِ أَوَّلًا ... يَعُـوْدُ عَلَـى القَـوْلِ المُـزَوَّرِ بِالهَـدِّ
لِمَـنَ كَـانَ ذَا قَلْـبٍ خَلِـيٍّ مِـنَ الهَـوَى ... فَقَدْ عَاشَ عَصْرًا بَعْدَمَا قَالَ فِيْ العَقْدِ
وَلَـم يُبْـدِ رَدًّا أَوْ رُجُوْعًـا عَـنِ الَّـذِيْ ... تَقَـدَّمَ أَوْ طَعْنًـا بِإِرْضَـاعِ ذِيْ الحِقْـدِ
إِلَـى أَنْ تَقَـضَّى ذَلِـكَ العَـصْرَ كُلَّـهُ ... وَلَمْ يَشْتَهِرْ مَا قِيْلَ مِـنْ كُـلِّ مَـا يُبْـدِيْ
وَتَـصْدِيْقُ ذَا أَنَّ الَّـذِيْ قَـالَ لَـمْ يَكُـنْ ... وَلَا صَارَ هَذَا القَتْلُ وَالنَّهْبُ فِيْ نَجْدِ
لمَنْ بَايَعُوْا طَوْعًا عَلَى الـدِّيْنِ وَالهُـدَىْ ... وَلَـمْ يَجْعَلُـوْا للهِ فِـيْ الـدِّيْنِ مِـنْ نِـدِّ
وَقَدْ هَجَـرُوْا مَـا كَـانَ مِـنْ بِـدَعٍ وَمِـنْ ... عِبَـادَةِ مَـنْ حَـلَّ المَقَـابِرَ فِـيْ اللَّحْـدِ
إِذَا تَـمَّ هَـذَا وَاسْـتَبَانَ لمُنْـصِفٍ ... خَلِيٍّ مِنَ الأَغْـرَاضِ لَـيْسَ بِـذِيْ حِقْـدِ
فَـصَحَّ يَقِيْنًـا أَنَّ هَـذَا تَقَـوُّلٌ ... عَلَى الحَبْرِ بَحْرِ العِلْمِ ذِيْ الفَضْلِ وَالنَّقْدِ
وَلَا حَـسَدٌ قَـدْ غَـامَرَ الغَـيُّ قَلْبَـهُ ... وَصَـارَ بِـهِ غِـلٌّ عَلَـى كُـلِّ ذِيْ رُشْـدِ
وَأَبْـصِرُ فِـيْ مَنْظُوْمِـهِ مُتَـأَمِلًا ... مَقَاصِـدَ مَـا قَـدْ رَامَـهُ بِالَّـذِيْ يُبْـدِ
وَمَـا قَالَـهُ فِـيْ الـشَّرْحِ مِـنْ هَذَيَانِـهِ ... وَتَلْفِيْقِـهِ مَـا لَا يُفِيْـدُ وَلَا يُجْـدِيْ
تَـيَقَّنَ أَنَّ الـشَّيْخَ كَـانَ عَلَـى الهُـدَى ... وَكَـانَ عَلَـى نَهْـجٍ قَـوِيْمٍ مِـنَ الرُّشْـدِ
فَمَا جَـاءَ هَـذَا الوَغْـدُ[1] فِيْمَا هَـذَى بِـهِ ... بِحَـقٍّ وَتَحْقِيْـقٍ لَـدَى كُـلِّ ذِيْ نَقْـدِ

---

(١) (الوغد): هو الضعيف من الرجال، الخفيف العقل. «العين» (ص ١٠٥٨).

وَلَكِــنْ بِتَزْوِيْــرٍ وَتَــأْلِيْفِ جَاهِــلٍ وَلَـوْ كَـانَ ذَا عِلْـمٍ لأَنْـصَفَ فِـيْ الـرَّدِّ
وَجَــاءَ بِبُرْهَــانٍ وَأَقْــوَمِ حُجَّــةٍ تَـدُلُّ عَلَـى مَـا قَالَـهُ فِـيْ الَّـذِيْ يُبْـدِيْ
وَإِنْ كَـانَ هَـذَا الـنَّظْمُ وَالـشَّرْحُ ثَابِتًـا عَنِ السَّـيِّدِ المَـشْهُوْرِ بِـالعِلْمِ وَالرُّشْـدِ
وَأَعْنِــيْ بِــهِ البَــدْرَ المُنِيْــرَ مُحَمَّــدًا وَوَافَقَ أَهْـلَ الزَّيْـغِ وَالطَّـرْدِ وَالجَحْـدِ
وَصَــدَّقَ أَهْـلَ الغَـيِّ فِـيْ هَـذَيَانِهِمْ بِـمَا قَالَـهُ نَظْـمًا وَنَثْـرًا مِـنَ الـرَّدِّ
وَكَـانَ لَـهُ فِـيْ ذَاكَ نَـوْعٌ مِـنَ الهَـوَى وَدَاخِلَـهُ شَـيْءٌ مِـنَ الحَسَدِ المُـرْدِيْ
فَلَــيْسَ بِمَعْــصُوْمٍ وَلَا شَــكَّ أَنَّــهُ بِـذَلِكَ قَـدْ أَخْطَـى وَجَـاءَ بِـمَا يُـرْدِيْ
وَعُوْقِبَ بِالهَذْرِ الَّـذِيْ قَـالَ حَيْـثُ لَـمْ يَكُـنْ بِـصَوَابٍ مُـسْتَقِيْمٍ وَلَا يُجْـدِيْ
وَنَـاقَضَ مَـا قَـدْ قَالَـهُ فِـيْ اعْتِقَـادِهِ وَمَــا قَالَـهُ فِـيْمَا تَقَـدَّمَ فِـيْ العَقْـدِ
وَقَدْ شَاعَ[1] هَـذَا الـنَّظْمُ عَنْـهُ وَشَـرْحُهُ وَسَـاغَ لَـدَى قَـوْمٍ كَثِيْـرٍ ذَوِيْ حِقْـدِ
فَـلَا غَـرْوَ مِـن هَـذَا وَلَا بـدع بَـلْ لَـهُ بِــذَلِكَ أَمْثَــالٌ كَثِيْــرٌ بِــلَا عَــدِّ
وَمَـاذَا عَـسَى لَـوْ قَـالَ مَـا قَـالَ جَهْـرَةً فَقَدْ كَانَ قَدْ أَخْطَى وَحَـادَ عَـنِ الرُّشْـدِ
وَأَنْكَـرَ أَهْـلُ العِلْـمِ مِـنْ كُـلِّ جَهْبَـذٍ عَلَيْـهِ أُمُـوْرًا خَالَهَـا الحَـقَّ عَـنْ قَـصْدِ
فَقَــدْ رَدَّ صِــدِّيْقٌ[2] عَلَيْــهِ وَقَــدْ رَأَى مَقَالَتَــهُ الـشَّنْعَاءَ فَأَحْـسَنَ فِـيْ الـرَّدِّ
وَأَنْــصَفَ لَـما قَــالَ بِــالحَقِّ وَالهُـدَى وَجَــاءَ بِبُرْهَــانٍ يَلُــوْحُ لِــذِيْ النَّقْــدِ
وَرَدَّ الأَبَاطِيْــلَ التِـيْ قَــدْ أَتَــى بِهَــا وَأَلَّفَهَــا فِـيْ شَـرْحِ مَنْظُوْمِـهِ المُـرْدِيْ
وَقَــدْ خَالَفَــتْ مَــا قَالَــهُ كُــلُّ عَــالِمٍ مُحِقٍّ وَيَـدْرِيْ الحَـقَّ لَـيْسَ بِـذِيْ لَـدِّيْ

---

(١) في الأصل (وقد شاع (عن) هذا) بزيادة (عن)، وهي مقحمة.

(٢) يعني: صديق حسن خان، وهو تابع في رده للإمام الشوكاني في كتابه «الدر النضيد» كما سيأتي بيانه في آخر الرسالة إن شاء الله.

وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ ذَوِيْ الغَيِّ وَالرَّدَى كَمَا قَالَهُ هَذَا المُبَهْرِجُ عَنْ قَصْدِ
وَقَدْ زَعَمُوْا أَنَّ الإِمَامَ مُحَمَّدًا يُكَفِّرُ أَهْلَ الأَرْضِ طُرًّا عَلَى عَمْدِ
وَيَقْتُلُهُمْ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ تَجَبُّرًا وَيَأْخُذُ أَمْوَالَ العِبَادِ بِلَا حَدِّ
وَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ كَانَ بِاللهِ كَافِرًا إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْ خُرَافَاتِ ذِيْ اللَّدِّ
وَقَدْ أَجْلَبُوْا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَوِجْهَةٍ وَصَالُوْا بِأَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ كُلِّ ذِيْ حِقْدِ
فَبَادُوْا وَمَا فَادُوْا وَمَا أَدْرَكُوْا المُنَى وَآبُوْا وَقَدْ خَابُوْا وَحَادُوْا عَنِ الرُّشْدِ
وَأَظْهَرَهُ المَوْلَى عَلَى كُلِّ مَنْ بَغَى عَلَيْهِ وَعَادَاهُ بِلَا مُوْجِبٍ يُجْدِيْ
وَأَظْهَرَ دِيْنَ اللهِ بَعْدَ انْطِمَاسِهِ وَأَعْلَى لَهُ الأَعْلَامَ سَامِيَةَ المَجْدِ
وَسَاعَدَهُ فِيْ نُصْرَةِ الدِّيْنِ وَالهُدَى أَئِمَّةُ عَدْلٍ مُهْتَدُوْنَ ذَوُوْ رُشْدِ
وَقَدْ نَالَ مَجْدًا أَهْلُ نَجْدٍ وَرِفْعَةً بِآلِ سُعُوْدٍ وَاسْتَطَالُوْا عَلَى الضِّدِّ
بِإِظْهَارِ دِيْنِ اللهِ قَسْرًا وَدَعْوَةً إِلَى اللهِ بِالتَّقْوَى وَبِالصَّارِمِ الهِنْدِيْ
وَقَامَ بِهَذَا الأَمْرِ مَنْ بَعْدِ مَنْ مَضَى بَنُوْهُمْ وَقَدْ سَارُوْا عَلَى مَنْهَجِ الحَمْدِ
وَقَدْ جَاهَدُوْا أَعْدَاءَ دِيْنِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ جَرَّهُمْ قَوْمٌ طُغَاةٌ إِلَى نَجْدِ
لِكَيْ يَطْمِسُوْا أَعْلَامَ سُنَّةِ أَحْمَدٍ وَيَعْلُوْا بِهَا أَهْلَ الرَّدَى مِنْ ذَوِيْ الجَحْدِ
وَقَدْ جَهَدُوْا فِيْ مَحْوِ أَعْلَامِهِ العُلَى وَإِطْفَاءِ أَنْوَارٍ لَهُ غَايَةَ الجَهْدِ
فَمَا نَالَ مَنْ عَادَاهُمُوْ مِنْ ذَوِيْ الرَّدَى مُنَاهُمْ فَبَاءُوْا بِالخَسَارَةِ وَالطَّرْدِ
وَنَالَ ذُوْو الإِسْلَامِ عِزًّا وَرِفْعَةً وَمَجْدًا بِنَصْرِ الدِّيْنِ وَالكَسْرِ لِلْضِّدِّ
فَلَا زَالَ تَأْيِيْدُ الإِلَهِ يَمُدُّهُمْ بِنَصْرٍ وَإِسْعَافٍ عَلَى كُلِّ ذِيْ حِقْدِ
وَأَزْكَى صَلَاةٍ يَبْهَرُ المِسْكُ عَرْفَهَا عَلَى السَّيِّدِ المَعْصُوْمِ أَفْضَلُ مَنْ يَهْدِيْ
وَأَصْحَابِهِ وَالآلَ مَعَ كُلِّ تَابِعٍ وَتَابِعِهِمْ وَالتَّابِعِيْنَ عَلَى الرُّشْدِ

[وقوف المؤلف على قصيدة تراجع الصنعاني واسم ناسخها والجزم بوضعها]

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخليله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: فإني قد وقفت سنة (ألف وثلاثمائة وثلاثين) بعد الهجرة النبوية على منظومةٍ وشَرْحِهَا تنسب إلى الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى أرسلها إلينا بعض الإخوان، وهي بقلم: محمد بن حسين بن محسن الأنصاري اليماني[1]، فلما تأملت علمت يقينًا أنها موضوعة مكذوبة على الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني؛ وذلك أن اعتراضه على الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى بذلك اعتراض جاهل يَتَمَعْلَمْ، يُصَانُ عنه كلام الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، لِعُلُوِّ قَدْرِهِ، وعِظَمِ فضله وإمامته، وتمام رغبته في اتباع السنة، وذمِّ البدع وأهلها، فكيف يجوز أن يُنْسَبَ إليه مثل هذا الكلام الذي لا يقوله إلا جاهل لا يعرف الأدلة الشَّرعية والأحكام المعلومة النَّبَوِيَّة، وهل يقول مثل هذا الاعتراض إلا جاهل؟!! فلو لم يكن عن الأمير محمد قولٌ يناقضُ هذا، لعلمنا أنه لا يقوله؛ لأنه يناقض ما ذكره في «تطهير الاعتقاد»[2]، وفي غيره من كتبه.

[من وضع القصيدة]

وقد بلغني أن الذي وضع هذا النَّظم وشرحه رجل من ولد ولده، وهو اللائق به لعدم معرفته ورسوخه في العلم، فاستعنت الله على ردِّ إفكه[3]، وعدوانه، وكذبه،

---

(١) لم أقف له على ترجمة في الكتب المعنيَّة بتراجم أهل اليمن.

(٢) وهو من أشهر كتب الإمام محمد بن إسماعيل وقد انتهيت من تحقيقه ولله الحمد على عدة نسخ خطيَّة، وقدمته لبعض الدور السلفية يسر الله نشره على خير.

(٣) أي: كذبه.

وظلمه، وبهتانه؛ ليعلم الواقف عليها براءة الأمير محمد بن إسماعيل منها، وأنها موضوعة مكذوبة عليه.

[شبه للمعارضين للشيخ محمد بن عبدالوهاب]

قال شارح النَّظم: لمـَّا بلغت هذه الأبيات نجدًا، وصل إلينا بعد أعوام من بلوغها من أهل نجد رجل عالم، يُسَمَّى الشيخ مِربد بن أحمد التميمي كان وُصوله في شهر صفر عام ست وسبعين ومائة وألف، وأقام لدينا ثمانية أشهر، وحَصَّلَ بعض كتب ابن تيمية[١]، وابن القيم بخطه[٢]، وفارقنا في عشرين من شوال سَنَةَ رَجَعَ إلى وطنه، وصل من طريق الحجاز مع الحجاج، وكان من تلامذة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي وجهنا إليه الأبيات، وأخبرنا ببلوغها، ولم يأت بجواب عنها، وكان قد تقدم في الوصول إلينا بعد بلوغها الشيخ الفاضل عبدالرحمن النجدي، ووصف لنا من حال ابن عبدالوهاب أشياء أنكرناها:

* من سفك الدماء.
* ونهب الأموال.
* وتجاريه على قتل النفوس ولو بالاغتيال.
* وتكفيره الأمة المحمدية في جميع الأقطار إلى آخره.

[الجواب عن تلك الشبه وبيان حال دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب]

والجواب: أن نقول قد كان من المعلوم عند الخاص والعام أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد نشأ في أناس قد اندرست فيهم معالم الدين، ووقع فيهم من الشرك والبدع ما عمَّ وطمَّ في كثير من البلاد إلا بقايا متمسكين بالدين يعلمهم الله تعالى، وأما

(١) ابن تيمية: هو شيخ الإسلام، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله الحراني، قال ابن النحاس: ذكر لنا أن محمدًا هذا كانت أمه تسمى تيمية، وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها، ولد يوم الاثنين العاشر، وقيل: ثاني عشر من ربيع الأول سنة (٦٦١)، وتوفي سنة (٧٢٨)، انظر «الجامع لسيرة شيخ الإسلام».

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي الشهير بابن القيم؛ لأنه كان قيمًا على مدرسة الجوزية، ولد في ٧ صفر سنة (٦٩١) على الصحيح، ومات في ١٣ رجب سنة (٧٥١) وعمره ستون سنة، انظر كتاب الشيخ بكر أبو زيد «الإمام ابن القيم حياته وآثاره».

الأكثرون فعاد المعروف بينهم منكرًا، والمنكر معروفًا، والسُّنَّة بدعة، والبدعةُ سُنَّةً، نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير، ففتح الله بصيرة شيخ الإسلام بتوحيد الله الذي بعث الله به رسله وأنبياءه، فعرف الناس ما في كتاب ربهم، من أدلة توحيده الذي خلقهم له، وما حرَّم الله عليهم من الشرك الذي لا يغفره الله إلَّا بالتوبة منه، فقال لهم ما قاله المرسلون لأئمتهم: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المؤمنون: ٣٢].

فَحَجَبَ كثيرًا منهم عن قبول هذه الدعوة ما اعتادوه ونشؤوا عليه، من الشرك والبدع، فنصبوا العداوة لمن دعاهم إلى توحيد ربهم وطاعته، ولمن استجاب له، وقَبِلَ دعوته، وأصغى إلى حجج الله وبيناته كحال من خلا[١] من أعداء الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

[بيان حال مربد بن أحمد وعبدالرحمن النجديين]

إذا تحققت ما ذكرته لك[٢] من حال الشيخ رحمه الله تعالى، ودعوته إلى توحيد الله بأنواع العبادة وترك عبادة ما سواه، وما كان عليه أهل نجد قبل دعوته إلى دين الله ورسوله، فاعلم أن هذا الرجل الذي يُسَمَّى: مربد بن أحمد. رجل من أهل حريملاء[٣] لا يعرف بعلم ولا دين، ولا كان من تلامذة الشيخ محمد رحمه الله تعالى، ولم يكن له قدم صدق في هذا الدين، ولا معرفة له، بل كان ممن شرق بهذا الدين لما أظهره الله، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وكان قد أَلِفَ ما كان عليه قومه من الشرك بالله، من دعاء الأولياء والصالحين وغير ذلك[٤]، مما كان عليه أهل الجاهلية، وداخله بعض الحقدوالحسد، فأوجب له ذلك تلفيق ما موَّه به من الأكاذيب، والترهات على الشيخ

(١) أي: من ذهب وفني.

(٢) وانظر أيضًا ما ذكره المؤلف في كتابه «الضياء الشارق» (ص ١١-١٢).

(٣) في الأصل: (حريملا). والمثبت هو الأشهر، وينظر «معجم اليمامة» (١/ ٣١٧) و«الضياء الشارق» للمؤلف (ص ١٩).

(٤) انظر ما ذكره المصنف في كتابه «الضياء الشارق» (صـ٢٢-٢٣) مبينًا الحال الذي كانوا عليه.

محمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وفر إلى صنعاء لما دخل أهل نجد في دين الله، ولم يكن له في نجد مساعد على هذه الأكاذيب وكذلك الرجل الآخر المسَمَّى بعبدالرحمن النجدي، لم يكن من أهل العلم والدين، ولا يعرف له نسب ينتمي إليه، بل كان من غوامض الناس الخاملين، وقد انقرض عصر الدرعية وبعده بأعوام لم نسمع لهذين الرجلين بخبر، ولم نقف لهما على أثر.

[حال قصيدة التراجع مع شرحها]

وكان قد دخل أهل اليمن في ولاية المسلمين وعرفوا صحة هذا الدين، ولم يشتهر هذا النظم عن الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا هذا الشرح، ولا ثبت هذا الرجوع عنه، ولا ظهر ولا اشتهر في تلك المدد المديدة والسنين العديدة، حتى جاء هذا المزور فوضع هذه المنظومة، وجعل عليها هذا الشرح اللائق به، فلله الحمد والمنة؛ حيث كان نظامه واعتراضه بهذه المثابة التي لم تكن على طريق الحق والإصابة، بل كان مبناه على شفا جرف هار، من الأكاذيب والترهات التي لا يصغي إليها إلا القلوب المقفلات، ولا يغتر بها إلا أهل الجهالات والضلالات. ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

[ذكر الشبه ودحضها]

ومن جملة هذه الأكاذيب ما ذكره عن عبدالرحمن النجدي من الأوضاع التي لا تجدي، أن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

* يسفك الدماء.
* وينهب الأموال.
* ويتجارى على قتل النفوس ولو بالاغتيال.
* وتكفير الأمة المحمدية في جميع الأقطار، وهذا كله كذب.

وسيأتي الجواب عن ذلك إن شاء الله تعالى.

فصل

وأما قوله: «فبقي معنا تردد فيما نقل الشيخ عبدالرحمن النجدي، حتى وصل الشيخ مربد بن أحمد وله نباهة، ووصل ببعض رسائل ابن عبدالوهاب التي جمعها في

وجه تكفير أهل الإيمان وقتلهم ونهبهم، وحقق لنا أحواله... » إلى آخر ما قال.

الجواب: أن يقال: قد كان من المعلوم أن هذا الرجل كما وصفنا حاله أولًا، أنه لا يوثق بنقله، ولا يعوَّل عليه؛ لنقصان دينه وعقله.

فأما ما ذكر من تكفيره لأهل الإيمان وقتلهم ونهبهم

فكذب وبهتان، وزور وعدوان، فلم يكفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا عبّاد الأوثان من دعاة الأولياء والصالحين، وغيرهم ممن أشرك بالله، وجعل له أندادًا، بعد إقامة الحجة ووضوح المحجة، وبعد أن بدؤوه بالقتال، فحينئذ قاتلهم، وسفك دماءهم، ونهب أموالهم، ومعه الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمتها، وقد وافقه الأمير محمد بن إسماعيل على ذلك وأقره عليه[1].

وأما قوله: «وحقق لنا أحواله وأفعاله وأقواله»

الجواب: أن يقال: قد تقرر عند الخاصة والعامة، أن ما ذكره هذا المفتري من حال الشيخ وأفعاله وأقواله، إذا تأملها المنصف تحقق يقينًا أنه لا حقيقة لها، وإنما هي: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩] وقد ظهر كذب هذا، وأظهر الله هذا الدين وبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وانتشرت هذه الدعوة، فلم تبق أرض إلَّا وقد بلغتهم، وأقرُّوا بها ودخلوا في دين الله، وعرفوا صحة هذا الدين، وأنه على ما كان عليه السلف الصالح، والصدر الأول[2]، في الفروع والأصول[3]، ولكن هؤلاء الملاحدة ينفرون الناس عن الدخول فيه، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة:٣٢] وأظهره الله وهم كارهون، وحيل بين القوم وبين ما يشتهون: ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس:٣٠].

---

(١) كما سبق في قصيدته، وانظر أيضًا «تطهير الاعتقاد» (صـ ٦٥ وما بعدها). وانظر أيضًا «الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام»، للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حمد آل الشيخ، فهو كتاب نافع مفيد جدًّا.

(٢) يعني: الصحابة والتابعين.

(٣) انظر كتاب فضيلة الشيخ سعد الشثري «الأصول والفروع حقيقتها والفرق بينهما والأحكام المتعلقة بهما».

وأما قوله: فرأينا أحوال رجل عرف من الشرع شطراً، ولم يمعن النظر

الجواب: أن يقال: هذا قول جاهل (جهله مركب) لا يدري ولا يدري أنه لا يدري[1]، فهل يقول عاقل فضلًا عن العالم، أنه عرف أحوال الشيخ ورآها، وهو لم يذكر مما عرف ولا مما رأى شيئًا يخالف كتاب الله وسنة رسوله، أو كلام العلماء، فبماذا عرفها ورآها؟

أبخبر هؤلاء الزنادقة المفترين الذين لا يعول على قولهم ونقلهم رجل يؤمن بالله واليوم الآخر؟

أم عرف ذلك من رسائل الشيخ ومصنفاته؟ فإن كان عرفها من رسائل الشيخ ومصنفاته، فهلَّا ذكرها بلفظها في هذا الاعتراض؟! حتى يتبين للمنصف صدقه أو كذبه، وهل هو من أهل العلم الراسخين أو من جهلة المتعلمين؟

فهذه كتب الشيخ ومصنفاته موجودة معلومة ليس فيها ولله الحمد والمنة شيء مما ذكره هؤلاء الزنادقة: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨٦﴾ [الأعراف:٨٦].

ولا آمن أن يكون هذا الرجل - المسَمَّى: مربدًا- قد أدخل في رسائل الشيخ -التي زعم أنه أتاهم بها- من الكذب والزور ما هو اللائق بعقله ودينه، والله عند لسان كل قائل وقلبه[2]، وهو المطلع على نيته وكسبه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نعم قد ذكر هذا المعترض ما نقله الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، من إجماع الصحابة على قتال أهل الردة، وأنهم لم يفرقوا بين مانعي الزكاة وغيرهم، ولا بين المقر بها والجاحد بها، بل سموهم كلهم أهل الردة[3].

وكذلك ذكر إجماع التابعين، مع بقية الصحابة، على كفر المختار بن أبي عبيد[4]

(١) الجهل المركب: هو مركب من جهلين: الأول: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، والثاني: اعتقاد صحة ذلك. انظر «الشرح الكبير على الورقات» (١/ ٢٥١).

(٢) أي: يعلم ما يقوله كل لسان، ويخفيه كل قلب. كما تفسرها التي تليها.

(٣) انظر تفصيله في «الضوء الشارق» (ص ٣٧٩-٣٨٠) و«إعلام الموقعين» (١١٨).

(٤) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان كذابًا، كان شجاعًا من أهل الرأي، وقلة الدين. انظر «السير» (٣/ ٥٣٨)، و«شذرات الذهب» (١/ ٧٤-٧٥).

وعلى قتله.

وإجماع التابعين على كُفر الجَعْدِ بن دِرْهَم وعلى قتله، وعلى كفر العبيديين ملوك مصر وقتالهم، وزعم أن هذا كله لا إجماع فيه، وزعم أن من فعل كما فعل أهل الجاهلية من كفار قريش وغيرهم، من دعاء الأنبياء والأولياء، والصالحين، والالتجاء إليهم والاستغاثة بهم، وطلب الشفاعة منهم، أن كفره كفر عمل لا يخرج من الملة، وأنهم قد آمنوا بالله ورسوله، لا تباح دماؤهم وأموالهم كما ستقف على كلامه إن شاء الله تعالى.

وأما قوله: «ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية ويدله على العلوم النافعة ويفقهه فيها».

(الجواب): أن يقال: أما الهداية فبيد الله تعالى لا يملكها أحد سواه وقد قال رَحِمَهُ اللهُ في رسالته إلى محمد بن عبداللطيف[1]: وأما ما ذكر لكم عني فإني لم آته بجهالة، ولله الحمد والمنة، وبه القوة، بل أقول: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١].

ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل: ابن القيم، أو الذهبي، أو ابن كثير[2]، أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ، التي وصى بها أول أمته وآخرها...» إلى آخرها.

فهو ولله الحمد على صراط مستقيم. وقد بذل الجد والجهد في الدعاء إليه.

[ترجمة مختصرة للشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ]

وأما أسباب الهداية: من القراءة على العلماء، والرحلة في طلب العلم، وغير ذلك من الأسباب فقد ذكر علماء نجد من ذلك طرفًا منهم الشيخ أبوبكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى،

---

(١) انظرها في مجموع «رسائله» (ج٣/ ق٢/ ١٣٠٩).

(٢) ابن القيم سبق التعريف به، أما الذهبي: فهو محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشافعي، ولد سنة (٦٧٣) وتوفي ليلة الإثنين الثالث من ذي القعدة من سنة (٧٤٨) بدمشق، انظر مقدمة تحقيق كتاب «العلو» للبراك و«ذيل تذكرة الحفاظ» (٣٤-٣٧).

وأما ابن كثير: فهو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي الدمشقي، ولد سنة (٧٠١) وتوفي سنة (٧٧٤) انظر «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٥٠٨).

قال في «تاريخه» ما ملخصه[١]:

(وكان مولده رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية، في بلد العيينة، من أرض نجد، ونشأ بها وقرأ القرآن بها حتى حفظه وأتقنه قبل بلوغه العشر، وكان حاد الفهم سريع الإدراك والحفظ، يتعجب أهله من فطنته وذكائه، وبعد حفظ القرآن اشتغل وجد في الطلب، وأدرك بعض الأرب قبل رحلته لطلب العلم، وكان سريع الكتابة ربما كتب الكراسة في المجلس.

قال أخوه سليمان: وكان والده يتعجب من فهمه، ويعترف بالاستفادة منه مع صغر سنه.

ووالده مفتي البلاد النجدية، وآثاره وتصنيفه وفتاواه تدل على علمه وفقهه، وكان جده إليه المرجع في الفقه والفتوى.

وكان معاصرًا للشيخ منصور البهوتي الحنبلي، خادم المذهب اجتمع به بمكة، وبعد بلوغ الشيخ سن الاحتلام قدمه والده في الصلاة، ورأه أهلًا للإمامة، ثم طلب الحج إلى بيت الله الحرام، فأجابه والده إلى ذلك القصد والمرام، وبادر إلى قضاء فريضة الإسلام، وأداء المناسك على التمام، ثم قصد المدينة المنورة[٢] على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأقام بها قريبًا من شهرين.

ثم رجع إلى وطنه قرير العين، واشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم، وذاق حلاوة التحصيل والفهم، وزاحم العلماء الكبار ورحل إلى البصرة والحجاز مرارًا، واجتمع بمن فيها من المشايخ والعلماء الأخيار، وأتى إلى الأحساء، وهي إذ ذاك آهلة بالمشايخ والعلماء فسمع وناظر وبحث واستفاد، وساعدته الأقدار الربانية بالتوفيق والإمداد.

وروى عن جماعة منهم:

الشيخ عبدالله بن إبراهيم النجدي، ثم المدني وأجازه من طريقين.

(١) انظر «الضياء الشارق» (ص ١٣-).

(٢) الصواب: أن يقال: المدينة النبوية، أو طيبة ونحو ذلك من الأسماء الثابتة لها، فإنها تنورت بدخول النبي ﷺ فيها، وأظلمت بموته، كان شيخنا الإمام مقبل الوادعي: يكرر على مسامعنا هذا التنبيه، ونبه على هذا العلامة العثيمين في «شرح ألفية ابن مالك» صـ١٨٢)، واعلم أنه قد ثبت لها أسماء متعددة في السنة النبوية جمعها الفيروزآبادي في رسالة مفردة.

وأول ما سمع منه الحديث المسلسل بالأولية، كتب السماع بالسند المتصل إلى عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الراحمون يرحمهم الرحمن، فارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»**[(١)].

وسمع منه المسلسل بالحنابلة، بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله»**. قالوا: كيف يستعمله؟ قال: **«يوفقه للعمل الصالح قبل موته...»** هذا الحديث من ثلاثيات أحمد رحمه الله[(٢)].

وطالت إقامة الشيخ ورحلته إلى البصرة وقرأ بها كثيرًا من الحديث، والفقه، والعربية، وكتب من الحديث، والفقه، واللغة، ما شاء الله في تلكم الأوقات.

وكان يدعو إلى التوحيد ويظهره لكثير ممن يخالطه ويجالسه ويستدل عليه، ويظهر ما عنده من العلم وما لديه، وكان يقول إن الدعوة كلها لله لا يجوز صرف شيء منها إلى سواه، وربما ذكروا بمجلسه إشارات الطواغيت، أو شيئًا من كرامات الصالحين الذين كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم، ويلجئون إليهم في المهمات، وكان ينهى عن ذلك ويزجر، ويورد الأدلة من الكتاب والسنة ويحذر، ويخبر أن محبة الأولياء والصالحين إنما هي متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين، وتكثير أجورهم بمتابعتهم على ما جاء به سيد المرسلين، وأما دعوى المحبة والمودة مع المخالفة لسنته ولطريقه، فهي دعوى مردودة غير مسلمة عند النظر والحقيقة، ولم يزل على ذلك رحمه الله.

ثم رجع إلى وطنه ووجد والده قد انتقل إلى بلاد حريملاء[(٣)]، فاستقر فيها يدعو إلى السنة المحمدية ويبديها، ويناصح من خرج عنها ويفشيها، حتى رفع الله شأنه ورفع ذكره، ووضع له القبول، وشهد له بالفضل ذووه من أهل المعقول والمنقول،

---

(١) الحديث حسن لغيره: أخرجه أحمد (٢/ ١٦٠)، والترمذي (١٩٢٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، وغيرهم كثير من حديث عبد الله بن عمرو، وقد صنَّف العلماء في هذا الحديث تصانيف كثيرة، من ذلك «مجلس لابن ناصر الدِّين» مطبوع عن دار العاصمة، وانظر أيضًا كتابي «نيل الوطر من أسرار نزهة النظر» باب المسلسل.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٦٦) فقال: حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس فذكره وأخرجه الترمذي (٢١٤٣)، وابن حبان (٣٤١)، وغيرهما من طريق حميد به، وله شواهد عن عمرو بن الحمق رضي الله عنه وغيره، وهو في «الصحيح المسند» (٢/ ٨٢).

(٣) في الأصل: (حريملا)، والصواب المثبت.

وصنف كتابه المشهور بـ«التوحيد»(١)، وأعلن بالدعوة إلى الله العزيز الحميد، وقرأ عليه هذا الكتاب المفيد، وسمعه كثير ممن لديه من طالب ومستفيد، وشاعت نسخه في البلاد، وطار ذكره في الغور(٢) والأنجاد، وفاز بصحبته واستفاد من جرد القصد وسلم من الأشر والبغي والفساد، وكثر بحمد الله محبوه وجنده، وصار معه عصابة من فحول الرجال، وأهل السمت والكمال، يسلكون معه الطريق، ويجاهدونْ كل فاسق وزنديق).

فهذا بعض ما ذكره علماء وقته من حاله وأقواله وأفعاله وقراءته ورحلته لطلب العلم ومزاحمته للعلماء والمشايخ الكبار(٣).

فأين هذا من قول هؤلاء الزنادقة الجهلة الذين لا يعرفون بعلم ولا فضيلة ولا دين، بل كان حظهم من ذلك الصد عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[دعوة تقليد الشيخ محمد لابن تيمية وابن القيم]

وأما قوله: «بل طالع بعضًا من مؤلفات الشيخ أبي العباس ابن تيمية ومؤلفات تلميذه ابن القيم الجوزية، وقلدهما من غير إتقان، مع أنهما يحرِّمان التقليد».

الجواب: أن نقول:

نعم، قد طالع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم الجوزية، وأسام(٤) ثاقب فكره في رياض تلك المؤلفات، وورد من نمير(٥) معين تلك

(١) هو «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» وهو كتاب مشهور جدًّا متداول بين أهل السنة قاطبة إلى يومنا هذا، من آخر من خدمه أخونا الفاضل المبارك: ردمان الحبيشي حفظه الله تعالى، على أصول خطية فجزاه الله خيرًا.

(٢) (غور): كل شيءٍ قعره، ومراد المؤلف أنه بلغ هذا الكتاب الأماكن البعيدة والمنخفضة، وانظر «اللسان» مادة: (غور).

(٣) وقد نقلت في ترجمته في المقدمات شيئًا من هذا، والحمد لله.

(٤) قال في «تاج العروس» (١٦/ ٣٧٢): (سام فلان) لأمر يسومه سومًا، كلفه إياه، وجشمه وألزمه. اهـ مادة: (سوم).

(٥) النمير: هو الماء الذاكي عذبًا كان أو غير عذب. انظر «اللسان» (١٤/ ٢٩٠) مادة: (نمر).

الحياض الصافيات، فازداد بها علمًا وإيمانًا، وتحقيقًا وإتقانًا.

وأما دعوى التقليد لهما فلا حقيقة لذلك بل كان مقتديًا بهما، ومتبعًا لهما على ما أوضحا من الدليل من الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة، ونعم المقتدى بهما فإنهما كانا على الصراط المستقيم[(١)].

وقوله: «ولما تحققت لنا أحواله ورأينا في الرسائل أقواله» ص ٤

فنقول: لم تتحقق على الحقيقة أحواله، ولم تر بعين البصيرة ما في تلك الرسائل من أقواله، اللهم إلا أن يكون هذا الرجل قد أدخل فيها ما لا ينبغي مما يصدق تزويره وبهتانه، فاغتر بها من أصغى إلى هذيانه وعدوانه، فلا مانع من ذلك لما انطوى عليه من عداوة أهل الإسلام وإرادة التنفير والصد عن سبيل الله، وليس ببدع ولا مستنكر من هؤلاء الزنادقة.

وأما قوله: «وذكر لي أنه إنما عظم شأنه بوصول الأبيات التي وجهناها إليه» ص ٤

فأقول: لا جرم أن هذا القول لا يقوله الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ، ولا يليق بحاله وجلالته وإمامته وورعه وزهده، وأنه لا يتشبع بما لم يعط؛ فإن هذا لا كان ولا يكون، وقد رفع الله قدر الشيخ بما علمه من العلم، وما حباه من العقل ووضع له القبول في قلوب الناس قبل أن تصل إليه هذه المنظومة[(٢)]، وهذه المقالة من هذا الشارح تدل على قلة عقله وعدم علمه ورغبته فيما عند الله؛ فإنه إنما قال هذا ليرتفع به، ويتكثر به، وهذا ليس من شأن العلماء العاملين والأئمة المحققين.

وأما قوله: «أن تعين نقض ما قدمناه وحل ما أبرمناه» ص ٤

فالجواب: أن نقول وهذا مما يدل على أن هذا الكلام ليس من كلام الأمير محمد ابن إسماعيل؛ فإنه كلام متناقض ينقض آخره أوله؛ لأنه ذكر في آخر النظم أنه لم يرجع عما قاله أولًا، وأنه هو الحق، وإنما أنكر القتل والنهب وتكفير المسلمين، وهذه الدعوى تخالف ما قاله في أول نظمه وتنافيه، فعلمنا قطعًا أن هذا النظم والشرح مكذوب موضوع عليه.

---

(١) هناك فائدة للشنقيطي في الفرق بين الاتباع والتقليد (ص ٥٤٧).

(٢) وما جاءت هذه المنظومة إلا لأجل ما بلغت إليه مكانة الشيخ وإمامته قبل مقولتها.

وأما قوله: «ولما أخذ علينا الشيخ مربد ذلك، تعين علينا لئلا نكون سببًا في شيء من هذه الأمور التي ارتكبها ابن عبدالوهاب المذكور، كتبت أبياتًا وشرحتها...» إلى آخره.

والجواب: أن نقول وهذا أيضًا من نمط ما قبله فإنا قد بيّنا أولًا أن دعوة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى دين الله ورسوله ودخول الناس في هذا الدين أفواجًا حتى بلغ مشارق الأرض ومغاربها، لم تتوقف على ما ذكره في هذه الأبيات التي أثنى بها على الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنما استفاد هو منها ثناء المسلمين عليه بموافقته على الحق، فإنه ذكر فيها أنه لم يكن معه على هذه الطريقة أحد، ولم يتابعه فيها أهل بلده ووطنه بل كلهم مخالفون له، فكيف يجوز مع ذلك أن يقول بما قال ولا حقيقة له؟! وهذا مما يزري به لو كان ما ذكر حقًا وصدقًا والله المستعان.

وأما قوله: «وأكثرت من النقل عن ابن القيم وشيخه لأنهما عمدة الحنابلة».

فالجواب: أن يقال: كأن هذا الرجل المفتري على العلماء ما لم يقولوه يعرِّض بأن في كلام ابن القيم، وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ما يخالف ما قاله الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويرد عليه، وهذ كذب فإنه ليس في كلام الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يخالف ما قالاه، وإنما يتكثر هذا بما ليس عنده وما لا حقيقة له ليوهم من لا علم له بمدارك الأحكام وكلام الأئمة الأعلام أنه قد أخذ على الشيخ محمد في كلامه ما يخالف كلام الشيخين والله عند لسان كل قائل وقلبه[1]، وهو المطلع على نيته وكسبه.

[التراجع نظمًا ونثرًا والرد عليه نظمًا ونثرًا]

قال المعترض فيما زور على الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **:**

رَجَعْتُ عَنِ النَّظْمِ الذِيْ قُلْتُ فِي النَّجْدِيْ ... فَقَدْ صَحَّ لِيْ عَنْهُ خِلَافَ الذِيْ عِنْدِيْ

ظَنَنْتُ بِهِ خَيْرًا وَقُلْتُ عَسَى عَسَى ... نَجِد نَاصِحًا يَهْدِيْ الأَنَامَ وَيَسْتَهْدِيْ

فَقَدْ خَابَ فِيْهِ الظَّنُّ لَا خَابَ نُصْحُنَا ... وَمَا كُلُّ ظَنٍّ لِلْحَقَائِقِ لِيْ يَهْدِيْ

(١) أي: بعلمه وقدرته وسلطانه، أما ذاته جل شأنه فهو في السماء، مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

وَقَدْ جَاءَنَا مِنْ أَرْضِهِ الشَّيْخُ مَرْبَدٌ ... فَحَقَّقَ مِنْ أَحْوَالِهِ كُلَّ مَا يُبْدِيْ
وَقَدْ جَاءَ مِنْ تَأْلِيْفِهِ بِرَسَائِلٍ ... يُكَفِّرُ أَهْلَ الأَرْضِ فِيْهَا عَلَى عَمْدِ
وَلَفَّقَ فِي تَكْفِيْرِهِمْ كُلَّ حُجَّةٍ ... تَرَاهَا كَبَيْتِ العَنْكَبُوتِ لَدَى النَّقْدِ
تَجَارِيْ عَلَى إِجْرَاءِ دِمَاءِ كُلِّ مسْلِمِ ... مـصَلٍّ مـزَكٍّ لَا يَحـوْرُ عَـنِ العَهْـدِ
وَقَدْ جَاءَنَا مَنْ رَبِّنَا فِي بَرَاءَةٍ ... بَرَاءَتِهِمْ مِنْ كُلِّ كُفْرٍ وَمِنْ جَحْدِ
فَإِخْوَانُنَا سَمَّاهُمُ اللهُ فَاسْتَمِعْ ... لِقَوْلِ الإِلَهِ الوَاحِدِ الصَّمَدِ الفَرْدِ

وَ(الجواب) ومن الله نستمد الصواب:

أَلَا قُلْ لِذِيْ جَهْلٍ تَهَوَّرَ فِي الرَّدِّ ... وَأَظْهَرَ مَكْنُوْنًا مِنَ الغَيِّ لَا يُجْدِيْ
وَفَاهَ بِتَزْوِيْرٍ وَإِفْكٍ وَمُنْكَرٍ ... وَظُلْمٍ وَعُدْوَانٍ عَلَى العَالِمِ المَهْدِيْ
وَزَوَّرَ نَظْمًا لِلْأَمِيْرِ مُحَمَّدِ ... وَحَاشَاهُ مِنْ إِفْكِ المُزَوِّرِ ذِيْ الجَحْدِ
لَعَمْرِيْ لَقَدْ أَخْطَأْتَ رُشْدَكَ فَاتَّئِدْ ... فَلَسْتَ عَلَى نَهْجٍ مِنَ الحَقِّ مُسْتَبِدِ
وَقَدْ صَحَّ أَنَّ النَّظْمَ هَذَا تَقَوُّلٌ ... تَقَوَّلَهُ هَذَا الغَبِيُّ عَلَى عَمْدِ
وَمَا كَانَ هَذَا النَّظْمُ مَنْظُومَ عَالِمٍ ... تَقِيٍّ نَقِيٍّ بِالهُدَى لِلْوَرَى يَهْدِيْ
وَلَكِنَّهُ جَهْلٌ صَرِيْحٌ مُرَكَّبٌ ... وَمَنْشَأُهُ عَنْ مَنْهَجِ الرُّشْدِ فِي بُعْدِ
وَهَأَنَا ذَا أُبْدِيْ مَخَازِيْهِ جَهْرَةً ... وَأَنْقُضُ مَا يُبْدِيهِ بِالحَقِّ وَالرُّشْدِ
لِتَعْلَمَ أَنَّ الفَدْمَ[1] هَذَا مُزَوِّرٌ ... وَأَنَّ الذِيْ أَبْدَاهُ مِنْ جَهْلِهِ المُرْدِيْ
يُخَالِفُ مَا قَالَ الأَمِيْرُ مُحَمَّدٌ ... وَقَرَّرَ فِي التَّطْهِيْرِ تَقْرِيْرُ ذِيْ نَقْدِ
فَأَزْرَى بِهِ مِنْ حَيْثُ يَحْسِبُ أَنَّهُ ... أَشَادَ لَهُ بَيْتًا رَفِيْعًا مِنَ المَجْدِ

---

(١) الفَدْمُ: من الناس العيي عن الحجة والكلام، مع ثقل ورخاوة وقلة فهم، وهو أيضًا الغليظ الأحمق الجافي. اهـ من «اللسان» مادة: فدم.

وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَا ضَلَالًا وَفِرْيَةً … عَلَى البُعْدَا فَضْلًا عَنِ الأَبِ وَالجَدِّ
فَجَاءَ عَلَى تَزْوِيْرِهِ بِدَلَائِلٍ … تَعُوْدُ عَلَى مَا قَالَ بِالرَّدِّ وَالهَدِّ
إِذَا صَحَّ مَا قُلْنَا لَدَيْكَ فَقَوْلُهُ … (رَجَعْتُ عَنِ القَوْلِ الَّذِيْ قُلْتُ فِي النَّجْدِيْ)
رُجُوعٌ عَنِ الحَقِّ الَّذِيْ هُوَ ذَاكِرٌ … عَنِ السَّلَفِ المَاضِيْنَ مِنْ كُلِّ ذِيْ رُشْدِ
إِلَى الغَيِّ مِنْ كُفْرٍ وَشِرْكٍ وَبِدْعَةٍ … عَلَى غَيْرِ ذَا مِنْ كُلِّ أَفْعَالِ ذِيْ الطَّرْدِ
فَلَوْ صَحَّ هَذَا وَهُوَ لَا شَكَّ بَاطِلٌ … وَزُوْرٌ وَبُهْتَانٌ مِنَ النَّاظِمِ المُبْدِيْ
لَكَانَ لَعَمْرِيْ ضَحْكَةً وَتَنَاقُضًا … لِمَا قَالَ فِي مَنْظُومِهِ عَنِ ذَوِيْ المَجْدِ
فَدُوْنَكَ مَا أَبْدَى مِنَ المَدْحِ وَالثَّنَا … وَمَا قَالَ فِيْ ذَمِّ المُخَالِفِ وَالضِّدِّ
قِفِيْ وَاسْأَلِيْ عَنْ عَالِمٍ حَلَّ سُوْحَهَا … بِهِ يَهْتَدِيْ مَنْ ضَلَّ عَنْ مَنْهَجِ الرُّشْدِ
مُحَمَّدِ الهَادِيْ لِسُنَّةِ أَحْمَدَ … فَيَا حَبَّذَا الهَادِيْ وَيَا حَبَّذَا المَهْدِيْ
لَقَدْ أَنْكَرَتْ كُلُّ الطَّوَائِفِ قَوْلَهُ … بِلَا صَدْرٍ فِي الحَقِّ مِنْهُمْ وَلَا وِرْدِ
وَمَا كُلُّ قَوْلٍ بِالقَبُوْلِ مُقَابَلٌ … وَلَا كُلُّ قَوْلٍ وَاجِبُ الطَّرْدِ وَالرَّدِّ
سِوَى مَا أَتَى عَنْ رَبِّنَا وَرَسُولِهِ … فَذَلِكَ قَوْلٌ جَلَّ يَا ذَا عَنِ الرَّدِّ
وَأَمَّا أَقَاوِيْلُ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا … تَدُوْرُ عَلَى قَدْرِ الأَدِلَّةِ فِي النَّقْدِ
لَقَدْ سَرَّنِيْ مَا جَاءَنِيْ مِنْ طَرِيْقِهِ … وَكُنْتُ أَرَى هَذِيْ الطَّرِيْقَةَ لِيْ وَحْدِيْ
وَقَدْ جَاءَتِ الأَخْبَارُ عَنْهُ … بِأَنَّهُ يُعِيْدُ لَنَا الشَّرْعَ الشَّرِيْفَ بِمَا يُبْدِيْ
وَيَنْشُرُ جَهْرًا[1] مَا طَوَى كُلُّ جَاهِلٍ … وَمُبْتَدِعٍ مِنْهُ فَوَافَقَ مَا عِنْدِيْ
وَيَعْمُرُ أَرْكَانَ الشَّرِيْعَةِ هَادِمًا … مَشَاهِدَ ضَلَّ النَّاسُ فِيْهَا عَنِ الرُّشْدِ
أَعَادُوا بِهَا مَعْنَى سُوَاعَ وَمِثْلَهُ … يَغُوثَ وَوَدَّ بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وِدِّ

(١) في الأصل: (جهلًا). وهو خطأ واضح من الطابع.

وَقَـدْ هَتَفُـوا عِنْـدَ الـشَّدَائِدِ بِاسْـمِهَا ... كَـمَا يَهْتِـفُ المُـضْطَرُّ بِالـصَّمَدِ الفَـرْدِ
وَكَمْ عَقَـرُوا فِـي سُـوْحِهَا مِـنْ عَقِيْـرَةٍ ... أُهِلَّـتْ لِغَيْـرِ اللهِ جَهْـرًا عَلَـى عَمْـدِ
وَكَـمْ طَـائِفٍ حَـوْلَ القُبُـورِ مُقَبِّـلٌ ... وَمُـسْتَلِمُ الأَرْكَـانِ مُـنْهُنَّ بِالأَيْـدِ[1]
فَهَذَا هُوَ المَعْـرُوْفُ مِـنْ حَـالِ شَـيْخِنَا ... وَدَعْوَتِـهِ لِلْخَلْـقِ بِـالحَقِّ وَالرُّشْـدِ
وَسَارَ مَـسِيْرَ الـشَّمْسِ فِـي كَبِـدِ الـسَّمَا ... وَطَبَّـقَ مِـنْ غَـرْبِ الـبِلَادِ إِلَـى الهِنْـدِ
وَلَـمْ يَبْـقَ أَرْضٌ لَـيْسَ فِيْهَـا مُجَـدِّدٌ ... عَلَـى إِثْـرِهِ يَقْفُـو وَيَهْـدِيْ وَيَـسْتَهْدِيْ
فَقُـلْ لِلَّـذِيْ أَبْـدَى خَزَايَـةَ جَهْلِـهِ ... وَأَبْـرَزَ مَنْظُوْمًـا خَلِيًّـا مِـنَ الرُّشْـدِ
أَعِـدْ نَظَـرًا فِـيْمَا تَوَهَّمْـتَ حُـسْنَهُ ... فَإِنَّـكَ لَـم تَنْطِـقْ بِحَـقٍ وَلَا رُشْـدِ
وَدَعْنَـا مِـنَ القَـوْلِ المُـزَوَّرِ وَالهَـذَا ... وَمِنْ إِفْكِكَ الوَاهِيْ وَمِنْ جَهْلِكَ المُـرْدِي
فَقَـدْ وَافَـقَ الـشَّيْخَ الإِمَـامَ مُحَمَّـدًا ... وَصَـحَّ لَـهُ عَنْـهُ خِـلَافَ الـذِّيْ تُبْـدِيْ
وَظَـنَّ بِـهِ خَيْـرًا وَقَـدْ كَـانَ أَهْلَـهُ ... وَكَـانَ عَلَـى حَـقٍّ وَبِـالحَقِّ يَـسْتَهْدِيْ
وَقَـدْ جَـاءَهُمْ مِـنْ أَرْضِـهِ مُتَهَـوِّكٌ ... جَهُوْلٌ يُـسَمَّى مَرْبِـدًا وَهُـوَ ذُوْ جَحْـدِ
فَفَـاهَ بِبُهْتَـانٍ وَإِفْـكٍ مُـزَوَّرٍ ... وَكَانَ عَـنِ التَّحْقِيْـقِ وَالحَـقِّ فِـي بُعْـدِ
وَقَـدْ كَـانَ ذَا جَهْـلٍ وَلَـيْسَ بِعَـالِمٍ ... وَقَدْ أَنْكَـرَ التَّوْحِيْـدَ لِلْوَاحِـدِ الفَـرْدِ[2]
وَظَـنَّ طَرِيْـقَ الرُّشْـدِ غَيًّـا بِزَعْمِـهِ ... وَقَـدْ أَلِّـفَ المَـأْفُوْنُ كُفْرَانَـهُ المُـرْدِيْ
وَأَعْيَـاهُ نُـوْرُ الهُـدَى حِيْـنَمَا بَـدَا ... وَفَـرَّ إِلَـى صَـنْعَاءَ وَفَـاهَ بِـمَا يُبْـدِيْ
فَـمَا غَـرَّهُمْ مِـنْ جَهْلِـهِ وَافْتِرَائِـهِ ... زَخَـارِفَ مَـا أَبْـدَاهُ ذُو الـزُّوْرِ وَالحِقْـدِ

---

(١) في الأصل: (اليدي). والصواب المثبت كما في «ديوان الصنعاني» (ص ١٢٩) وما بين المعكوفين مقتبسٌ من هناك.

(٢) لم يثبت الفرد من أسماء الله تعالى.

إِلَى أَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ العَصْرَ وَانْقَضَى وَجَاءَ أُنَاسٌ بَعْدَهُمْ مِنْ ذَوِي الطَّرْدِ
فَسَاغَ لَدَيْهِمْ زُخْرُفَ القَوْلِ وَارْتَضَوا مِنَ الظُّلْمِ وَالعُدْوَانِ أَقْوَالَ ذِي الجَحْدِ
وَقَدْ زَعَمَ المَأْفُونُ أَنَّ رَسَائِلًا أَتَاهُمْ بِهَا فِيْهَا التَّجَاوُزُ للحَدِّ
يُكَفِّرُ فِيْهَا الشَّيْخُ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا وَفِي زَعْمِهِ كُلُّ الأَنَامِ عَلَى عَمْدِ
وَلَفَّقَ فِي تَكْفِيْرِهِمْ كُلَّ حُجَّةٍ تَرَاهَا كَبَيْتِ العَنْكَبُوْتِ لَدَى النَّقْدِ
وَذَا فِرْيَةٌ لَا يَمْتَرِيْ فِيْهِ عَاقِلٌ عَلَى أَنَّهُ زُوْرٌ مِنَ القَوْلِ مُسْتَبِدِّيْ
وَقَدْ كَانَ فِي الإِعْرَاضِ سِتْرٌ لِجَهْلِهِ وَلَكِنَّهُ أَبْدَى مَخَازِيْهِ عَنْ قَصْدِ
لِيَخْدَعَ مَأْفُوْنًا وَمَنْ كَانَ جَاهِلًا وَلَيْسَ عَلَى نَهْجٍ مِنَ الحَقِّ وَالرُّشْدِ
فَمَا كَفَّرَ الشَّيْخُ الإِمَامُ مُحَمَّدٌ جَمِيْعَ الوَرَى حَاشَاهُ مِنْ قَوْلِ ذِي الطَّرْدِ
وَلَا قَالَ فِي تِلْكَ الرَّسَائِلِ كُلِّهَا بِتَكْفِيْرِ أَهْلِ الأَرْضِ مِنْ كُلِّ مُسْتَهْدِيْ
وَلَكِنَّمَا تَكْفِيْرُهُ لِمَنْ اعْتَدَى وَحَادَ عَنِ التَّوْحِيْدِ بِالجُعْلِ[1] لِلنِّدِّ
وَيَدْعُوْ سِوَى الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ وَيَرْجُوْهُ بَلْ يَخْشَاهُ كَالمنْعِمِ المُسْدِيْ
وَيَنْسُكُ لِلأَمْوَاتِ بَلْ يَسْتَغِيْثُهُمْ وَيَنْدُبُ مَنْ لَا يَمْلِكُ النَّفْعَ لِلْعَبْدِ
وَذَلِكَ إِشْرَاكٌ بِهِ لَاتِّخَاذِهِ مَعَ اللهِ مَأْلُوهًا شَرِيْكًا بِمَا يُبْدِيْ
مِنَ الحُبِّ وَالتَّعْظِيْمِ وَالخَوْفِ وَالرَّجَا وَمِنْ كُلِّ مَطْلُوْبٍ مِنَ اللهِ بِالقَصْدِ
فَإِنْ كَانَ عُبَّادُ القُبُورِ لَدَيْكُمُو هُمُ المُسْلِمِيْنَ المُؤْمِنِيْنَ ذَوِيْ الرُّشْدِ
وَهُمْ كُلُّ أَهْلِ الأَرْضِ وَالكُلُّ مُسْلِمٌ وَمَا مِنْهُمُو مِنْ كَافِرٍ جَاعِلِ النِّدِّ

---

(١) (الجعل): الاسم بالضم، والمد بالفتح، ويقال: جَعَلَ لك جَعْلًا، وَجُعْلًا: وهو الأجر على الشيء، فعلًا أو أقوالًا. انتهى من «اللسان» مادة: (جعل). (٢/ ٣٠١)، ومراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أي: خرج عن طريق التوحيد، بما يقدمه ويتقرب به من الأشياء لندٍّ من وليٍّ أو غيره.

وَمَـا قَـدْ تَلى مِـنْ آيَـةٍ فِـي ضَـلَالِهِمْ وَمِنْ سُنَّةٍ لِلْمُصْطَفَى خَيْـرُ مَـنْ يَهْـدِيْ
مُلَفَقَـــةً لَيْـــسَتْ لَـــدَيْكُمْ بِحُجَـــةٍ وَتِلْكَ كَبَيْـتِ العَنْكَبُـوتِ لَـدَى النَّقْـدِ
فَـمَا فَـوْقَ هَـذَا مِـنْ ضَـلَالٍ وفِرْيَـةٍ يَجِـيْءُ بِهَـا أَهْـلُ العِنَـادِ ذَوُوا الطَّـرْدِ
(وَقَـدْ أَنْكَـرَتْ كُـلُّ الطَّوَائِـفِ قَوْلَـهُ بِلَا صَدْرٍ فِـي الحَـقِّ مِنْهُمْ وَلَا وِرْدِ[١]
(كَـمَا قَالَـهُ أَعْنِـيْ الأَمِيْـرَ مُحَمَّـدًا وَقَـدْ كَـانَ ذَا عِلْـمٍ عَلِيْمًا بِـمَا يُبْـدِيْ)
(وَقَـالُوا كَـما قَـدْ قُلْتُمُـوْهُ تَحَكُّـمًا وَهَمْطًا وَخَرْطًا[٢] لَا يُفِيْدُ وَلَا يُجْـدِيْ)
(تَجَارِيْ عَلَى إِجْرَاءِ دِماءِ كُلِّ مُسْلِمٍ مُـصَلٍّ مُـزَكٍّ لا يَحُـوْلُ عَـنِ العَهْـدِ[٣]
ثَكِلْتُـكَ هَـلْ هَـذَا كَـلَامُ مُحَقِّـقٍ كَعَـالِمِ صَـنْعَاءَ ذِيْ الدِّرَايَـةِ وَالنَّقْـدِ
فَجَـرْتُمْ وَجُـرْتُمْ بِالأَكَاذِيْـبِ وَالهَـذَى وَوَضْعِ مُحَالَاتٍ عَلَـى العَـالِمِ المَهْـدِي
كَقَوْلِـكَ فِـي مَنْظُـوْمِ مَيْنِـكَ[٤] فِرْيَـةً عَلَيْـهِ بِـمَا تُبْدِيْـهِ مِـنْ جَهْلِـكَ المُـرْدِي
(وَقَـدْ جَاءَنَـا عَـنْ رَبِّنَـا فِـي بَـرَاءَةٍ بَرَاءَتُهُمْ مِـنْ كُـلِّ كُفْرٍ وَمِـنْ جَحْـدِ)
(فَإِخْوَانُنَـا سَـمَّاهُمُ اللهُ فَاسْـتَمِعْ لِقَوْلِ الإِلَـهِ الوَاحِـدِ الـصَّمَدِ الفَـرْدِ[٥]
أَقُـوْلُ تَأَمَّـلْ لَا أَبَالَـكَ نَـصَّهَا تَجِـدْ مَـنْهَلًا عَـذْبًا أَلَـذُّ مِـنَ الـشَّهْدِ
فَفِيْهَـا البَيَـانُ المُـسْتَنِيْرُ ضِـيَاؤُهُ لمـنْ كَـانَ ذَا قَلْـبٍ شَـهِيْدٍ وَذَا رُشْـدِ
وَلَكِـنَّ أَهْـلُ الزَّيْـغِ فِـي غَمَـرَاتِهِمْ وَفِـي غَـيِّهِمْ لَا يَرْعَـوُوْنَ لمـنْ يَهْـدِيْ
وَآذَانُهُـمْ صُـمٌّ عَـنِ الحَـقِّ وَالهُـدَى وَأَبْصَارُهُمْ عَـنْ رُؤْيَـةِ الحَـقِّ كَالرُّمْـدِ

(١) هذا البيت مقتبسٌ من منظومة الصنعاني كما في «ديوانه» (ص ١٢٩) ولفظه: (لقد أنكرت...).
(٢) (الهمط): هو الظلم والخلط بالأباطيل، و(الخرط): يقال: انخرط الرجل في الأمر وتخرط: ركب فيه رأسه من غير علم ولا معرفة. اهـ. انظر «اللسان» مادة: (همط) (١٥/ ١٣٤). و(خرط) (٤/ ٦٤).
(٣) مقتبسٌ من نقض النَّظم لحفيد الناظم. انظر «ديوان الصنعاني» (ص ١٣٦).
(٤) أي: كذبك.
(٥) انظر «ديوان الصنعاني» (ص ١٣٦).

أَلَيْسَتْ لمن تَابُوا مِنَ الكُفْرِ وَالرَّدَى ... وَلَمْ يُشْرِكُوا شَيْئًا بِمَعْبُودِنَا الفَرْدِ(١)
وَصَلُّوا وَزَكُّوا وَاسْتَقَامُوا عَلَى الهُدَى ... فَهُمْ إِخْوَةٌ فِي الدِّيْنِ مِنْ غَيْرِمَا رَدِّ
فَأَيْنَ الدَّلِيْلُ المُسْتَفَادُ بِأَنَّهُمْ ... إِذَا لَمْ يَتُوبُوا لَمْ يَكُوْنُوا ذَوِيْ جَحْدِ
فَمَا كَفَّرَ الشَّيْخُ الإِمَامُ مُحَمَّدٌ ... سِوَى مَنْ دَعَا الأَمْوَاتِ مِنْ سَاكِنِ اللَّحْدِ
وَمَنْ لمْ يَتُبْ مِنْ كُفْرِهِ وَضَلَالِهِ ... وَإِشْرَاكِهِ بِالسَّيِّدِ(٢) الصَّمَدِ الفَرْدِ
وَأَجْرَى دِمَاهُمْ طَاعَةً ... وَتَقَرُّبًا إِلَى اللهِ فِي قَتْلِ المَلَاحِدَةِ اللُّدِّ
فَمَا كُلُّ مَنْ صَلَّى وَزَكَّى مُوَحِدًا ... فَأَبْدِ دَلِيْلًا غَيْرَ ذَا فَهْوَ لَا يُجْدِيْ
وَدَعْنَا مِنَ التَّمْوِيْهِ فَالحَقُّ وَاضِحٌ ... وَلَيْسَ بِهِ لَبْسٌ لَدَى كُلِّ مُسْتَهْدِ
أَلَا فَأَرُوْنَا يَا ذَوِيْ الغَيِّ وَالهَوَى ... كَلَامًا سِوَى هَذِيْ الأَكَاذِيْبِ مُسْتَبْدِ
وَجِيْئُوا (بِتَطْهِيْرِ اعْتِقَادٍ) لِسَيِّدٍ ... إِمَامٍ مُحِقٍّ ذِيْ الدِّرَايَةِ وَالنَّقْدِ
نُقَابِلُ مَا قُلْتُمْ بِمَا فِي كِتَابِهِ ... وَمَا قَالَهُ فِي الاحْتِجَاجِ عَلَى الضِّدِّ
لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ الأَمِيْرَ مُحَمَّدًا ... بَرِيْءٌ مِنَ المَنْظُوْمِ وَالشَّرْحِ وَالرَّدِّ
وَتَسْتَيْقِنُوا أَنَّ الأَكَاذِيْبَ هَذِهِ ... مُلَفَّقَةٌ لَفَّقْتُمُوهَا عَلَى عَمْدِ
وَيَعْلَمَ أَهْلُ العِلْمِ بِاللهِ أَنَّكُمْ ... بَذَلْتُمْ عَلَى تَلْفِيْقِهَا غَايَةَ الجُهْدِ
لِكَيْ تَطْمِسُوا أَعْلَامَ سُنَةِ أَحْمَدَ ... بِتَزْوِيْرِ أَفَّاكٍ(٣) جَهُولٍ وَذِيْ حِقْدِ

* * *

---

(١) الفرد لم يثبت من أسماء الله تعالى، فالحديث الوارد فيه ضعيف، كما سبق التنبيه عليه.

(٢) قال ابن القيم في «بدايع الفوائد» (٣/ ١٧٦): (... السَّيد إذا أطلق عليه تعالى، فهو بمعنى المالك، والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق). انتهى.

(٣) أي: كذاب.

فصل

ثم قال في شرحه لِمَا ذكر من الأبيات المتقدم ذكرها، وقد أجبناه عليها:

قال الله تعالى في المشركين: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة:١١]. فقولنا براءتهم: أي: براءة كل مسلم مصلٍّ مزكٍّ.

[ما كان الناس عليه في زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب]

(فالجواب): أن نقول قد كان من المعلوم عند الخاصة والعامة أن الشيخ محمد ابن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لما تبين في إظهار هذا الدين والدعوة إليه قد كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الإسلام بينهم، وعفت[1] آثار الدين لديهم وانهدت قواعد الملة الحنيفية، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السنة والقرآن، وشب الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد[2]، وأعلام الشريعة مطموسة،

---

(١) أي: أزيلت، وذهبت.

(٢) وللإمام الصنعاني والشوكاني كلام يوازي هذا، فقال الصنعاني في «تطهير الاعتقاد» (ص ٣٥): بعد ذكره لعموم الشرِّ وانتشار الاعتقاد في غير الله: فإن قلت: هذا أمر عمَّ البلاد، واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد، وطبق الأرض شرقًا وغربًا ويمنًا وشامًا وجنوبًا وعدنًا، بحيث لا تجد بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور، ومشاهد، وأحياء يعتقدون فيها، ويعظمونها، وينذرون لها، ويهتفون بأسمائها، ويحلفون بها، ويطوفون بفناء القبور، ويسرجونها، ويلقون عليها الأوراد والرياحين، ويلبسونها الثياب، ويصنعون كلَّ أمرٍ يقدرون عيه من العبادة لها، وما في معناها، من التعظيم، والخضوع، والخشوع، والتذلل، والافتقار إليها، بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلوا عن قبر، أو قريب منه، أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة، يصنعون فيها ما ذكر، أو بعض ما ذكر. ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر، يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة، ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا. قلتُ: إن أردت الإنصاف، وتركت متابعة الأسلاف، وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل، لا ما اتفق عليه العوام، جيلًا بعد جيلٍ وقبيلًا بعد قبيل، فاعلم أن هذه الأمور التي نددندن حول إنكارها، ونسعى في هدم منارها، صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا=

....

= دليل، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دني ومثيل، ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلدته يلقنونه في الطفولة أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون عليه، ويعظمونه، ويرحلون به إلى محل قبره، ويلطخونه بترابه، ويجعلونه طائفًا على قبره، فينشأ وقد قرَّ في قلبه عظمة ما يعظمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولا يسمعون مِنْ أحد عليهم من نكير، بل ترى ممن يتَّسم بالعلم، ويدَّعي الفضل، وينتصب للقضاء، والفتيا، والتدريس، أو الولاية، أو المعرفة، أو الإمارة، والحكومة، معظمًا لما يعظمونه، مكرمًا لما يكرمونه، قابضًا للنذور آكلًا ما ينحر على القبور، فيظن العامة: أن هذا دين الإسلام، وأنه رأس الدِّين والسّنام، ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر، ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر، أن سكوت العالم على وقوع منكر ليس دليلًا على جواز ذلك المنكر).

وقال الشوكاني / في «العذب النمير» (١/ ١٩٤-٢١٩٤-٢١٩٩) «الفتح»: ينبغي أن يعلم السائل عافاه الله أولًا بأن أهل العلم ما زالوا في كل زمان ومكان يرشدون الناس إلى إخلاص التوحيد وينفرونهم عن الوقوع في نوع من أنواع الشرك ويذكرون ذلك في مصنفاتهم المشتهرة بأيدي الناس، ولكن لما كان الشرك أخفى من دبيب النمل كما قاله الصادق المصدوق ﷺ؛ خفي ذلك على كثير من أهل العلم ووقعوا في أمور منه جاهلين عن ذلك، وسرى ذلك الذهول إلى تحرير شيء مما فيه ذلك في المصنفات وفي أشعار كثير من الأدباء، خصوصًا المتصدين لمدح الجناب النبوي ثم المشتغلين بممادح بعض الخلفاء الراشدين، ثم سائر الملوك والسلاطين، فإنه يقع لهم في بعض الأحوال ما يقشعر منه الجلد ويجف له القلب، ويخاف من حلول غضب الله على قارئه فضلًا عن قائله، ولا سبب لذلك إلَّا ما عرّفاك من الذهول في بعض الأوقات، والغفلة تارة والجهل أخرى مع ما قد انضم إلى ذلك مما هو أوكد الأسباب في قبح هذه الأبواب، وهو ما زينه الوسواس الخنّاس لكثير من الناس من تشييد القبور ورفع سمكها، واتخاذ القباب عليها، وتزيين بعضها بالستور الفائقة، وإيقاد الشموع عليها، واجتماع الناس عندها، وإظهار الخضوع والاستكانة وسؤال الحوائج، والدعاء من صميم القلب ثم ورث الآخِر الأول، وتبع الخلف السلف، واقتدى اللاحق بالسابق، فتفاقم الأمر وتزايد الشرُّ، وعظمت المحنة، واشتدت البلية، وصار في كل قطر من الأقطار بل في كل مدينة من المدائن بل في كل قرية من القرى جماعة من الأموات يعتقدهم الأحياء، ويعكفون على قبورهم، وينتسبون إليهم، وصار ذلك عندهم أمرًا مأنوسًا مألوفًا تنبسط إليه نفوسهم وتقبله عقولهم وتستحسنه أذهانهم، فيولد المولود ويكون أول ما يقرع سمعه عند فهم الخطاب هو النداء لأهل تلك القبور من أبويه وغيرهما، وإذا عثر صرخ من يراه باسم واحدٍ من المعتقدين في ذلك المكان، وإذا مرض نذر من يحب شفاءه بجزء من ماله لذلك الميت، وإذا أراد حاجة توسل إلى صاحب ذلك القبر برشوة يبذلها للعاكفين على قبره المحتالين على الناس به، ثم يكبر ذلك المولود وقد ارتسم في فكره وتقرر عنده ما يسمعه من أبويه لما =

....

= في ذلك من التأثير في طبع الصغير، ولهذا قال الصادق المصدوق: «كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه».

فاعرف هذا وافهم هذا السرَّ المصطفوي، فإن الصبي ينطبع بطبع من يتولى تربيته، ويسري إلى أخلاقه ما هو من أخلاق أبويه، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ثم ينفصل هذا الصغير عن أبويه ويفارق عشه الذي دب فيه ودرج منه، فيجد الناس على ذلك الأمر الذي سمع أبويه عليه، وقد يكون أول ممشى يمشيه ومكان يعرفه بعد مكانه الذي ولد فيه هو قبر من تلك القبور المعتقدة، ومشهد من هذه المشاهد التي ابتلي الناس بها فيجد عنده الزحام والضجيج والصراخ والنداء من أبيه ومن هو من أمثاله، وأكبر منه فينضم إلى الاعتقاد الذي قد تلقنه من أبويه ما يوجب تأكيده وتأييده وتشييده، ولا سيما إذا وجد ذلك القبر قد بنيت عليه المباني النفيسة وصبغت جدرانه بالأصبغة الفائقة، ونصبت عليه الستور الرفيعة، وفاحت بجوانبه روائح العود والندّ والعنبر، وسطعت بنواحيه أشعة السرج والقناديل والشموع، وسمع سدنته العاكفين عليه المحتالين على الناس به يعظمونه ويهولونه، ويمسكون بيد زائريه والوافدين إليه، ويدفعون في أقفيتهم؛ فإنه عند هذا يتعاظم اعتقاده ويضيق ذهنه عن تصور ما يستحقه ذلك الميت من عظم المنزلة ورفيع الدرجة فيقع حينئذ في بلية لا ينزعها من قلبه إلا توفيق الله وهدايته، ولطفه وعنايته، أو السيف الذي هو آخر الأدوية وأنفع العقاقير.

وإذا اشتغل هذا الذي نشأ على هذه الصفة بطلب العلم، وجد غالب أهله قد اتفقوا على اعتقاد ذلك الميت وتعظيم شأنه وجعلوا محبته من أعظم الذخائر عند الله، وطعنوا على من خالفهم في شيء من باطلهم بأنه لا يعتقد الأولياء ولا يحب الصلحاء، ورموه بكل حجر ومدر، وألصقوا به كل عيب، فيزداد لذلك الميت محبة وفيه اعتقادًا، وعلى فرض وجود فرد من أفرادهم يلهمه الله الصواب ويهديه إلى الحق، ويرشده إلى فهم ما جاء عن الشارع من النهي عن رفع القبور، وتجصيصها، والكتابة عليها، والتسريج لها، والأمر بتسوية ما هو مشرف منها، والزجر عن جعلها مساجد وأوثانًا، ثم فهم كون الدعاء عبادة، والعبادة مختصة بالله عزوجل، والمنع من دعاء غير الله في السراء والضراء، وتعظيم من سواه والالتجاء إليه في الخير والشرّ، كائنًا من كان من غير فرق بين الأنبياء، والخلفاء الراشدين، وسائر الصحابة، ومن بعدهم من طوائف المسلمين.

فهذا الفرد النادر والغريب الشاذ قد يكتم ما أمره الله به من البيان للناس؛ إما بعذر مسوغ، أو بالتفريط فيما أوجبه الله، محبة للسلامة وميلًا إلى الراحة والدعة واستبقاء للجاه بين العامة والسواد الأعظم من الناس، فيكون علمه محنة له، ونقمة عليه، ويكون وجوده كعدمه، بل يكون الضرُّ بوجوده أكثر؛ لأنه ربما يدخل بداخلهم ونطق الموافقة لهم، فيعتقدون أنه معهم وفي عدادهم، فلا يقبلون من أمثاله ويحتجون عليهم بموافقته، وما أقل من يصدع بالحق ويقوم بواجب البيان من أهل العلم، ولهذا ينزع الله البركة من علومهم ويمحقها محقًا لا يفلحون بعده.

=

....

= وهذا الذي يتصدى للصدع بالحق والقيام بواجب البيان لا يوجد في المدينة الكبيرة، بل الأقطار الواسعة إلا الفرد بعد الفرد، وهم مكثورون بالسواد الأعظم، مغلوبون بالعامة، ومن يلتحق بهم من الخاصة، فقد يتأثر من قيام ذلك الفرد النادر بعض الواقعين في أمر من الأمور لإخلاص التوحيد، وقد لا يتأثر عنه شيء، فمن هذه الحيثية خفي على بعض أهل العلم ما خفي من هذه الأمور ووقع في مؤلفاتهم وأشعارهم ما أشار إليه السائل، وقد صاروا تحت أطباق الثرى، وقدموا على ما قدموا من خير أو شرٍّ، ولم يبق لنا سبيل إلى الكلام معهم والنصح لهم، ولكن يتحتم علينا بيان بطلان ذلك الذي وقعوا فيه، واشتملت عليه مؤلفاتهم وأشعارهم، والإيضاح للأحياء، بأن هذا الذي قاله فلانٌ في كتابه الفلاني أو في قصيدته الفلانية واقع على خلاف ما شرعه الله لعباده، ومخالف لما جاءت به الأدلة، ومستلزم لدخول من عمل به في باب من أبواب الشرك ونوع من أنواع الكفر، والتعريض بذلك في الرسائل التي يكتبها من أوجب الله عليهم البيان والتحذير منه بأبلغ عبارة، والزجر عنه بأوضح بيان حتى يعلم الناس ما فيه، ويتحاموا الوقوع في شيء منه إن بقي لرجوعهم إلى الحق سبيل.

وعلى فرض عدم الرجوع إلى الحق فقد قامت عليهم حجة الله وخلص العالم عن الفرض الذي أوجبه الله عليه، وبرئت ذمته، وظهرت معذرته.

واعلم أن هذه البدعة العظيمة والمحنة الكبرى التي طبقت المشرق والمغرب، ووقع فيها السلف والخلف، أعني الاعتقاد في الأموات، إلى حد يخدش في وجه الإيمان، ويفت في عضد الإسلام أسها ورأسها تشييد القبور والتأنق في بناء القباب عليها، والمبالغة في التهويل على زوارها بكل ما يوجب الروعة ويحصل المهابة، ويؤثر التعظيم من الأمور التي قدمنا الإشارة إليها، ولا ينكر أحدٌ من العقلاء أن هذا الأمر من أعظم محصلات الاعتقادات الفاسدة وموجبات الوقوع في البلايا المخالفة لإخلاص التوحيد، ومن شك في هذا ولم يقبله عقله وكابر الوجدان، فعليه بالتتبع والاستقراء، وأقرب من هذا أن يعمد إلى بعض العامة ويسأله عن ذلك ويكشف ما عنده منه، فإنه سيجد ما ذكرناه عند كل فرد من أفرادهم.

وعند تحرير هذه الأحرف ذكرت واقعة ذكرها أهل التاريخ مع بعض الخلفاء العباسيين، وهي: أنه قدم على أحدهم رسول من بعض أهل الممالك النائية، فاحتفل ذلك الخليفة بجمع أعيان مملكته وأكابرها وجعلهم في الأمكنة التي سيمر الرسول بها ثم أوقف خاصته وهم جمع جم بإيوان كبير، قد بالغ في تحسين فرشه وستوره، وتأنق في كل أموره، وجعل نفسه في مكان يشرف على ذلك الإيوان، على صفة في غاية التهويل والتعظيم، فما زال ذلك الرسول يدخل من مكان إلى مكان ويمر بجماعة جماعة، حتى وصل إلى ذلك الإيوان، فوجده فوق ما قد مرَّ به، فامتلأ مهابة وروعة وتعاورته أسباب التعظيم والتهويل من كل جهة، وطرقته موجبات الجلالة من كل باب، وأقيم بذلك الإيوان رجلان من خدمه الخاص، يمسكان بعضديه فلم ينفسوا من خناقه، ولا أبلعوه ريقه، حتى انفتحت طاقات ذلك المنزل الذي فيه الخليفة، وقد نصبت فيه الآلات البراقة من الذهب والفضة والأحجار النفيسة، من الجواهر =

ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة، وطريقة الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام، وأحاديث الكُهان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجدُّوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعليق على غير الله من الأولياء والصالحين والأوثان والأصنام والشياطين، وعلماؤهم ورؤساؤهم على ذلك مقبلون، ومن بحر الأجاج شاربون، وبه راضون، وإليه مدى الزمان داعون، قد أعشتهم العوائد والمألوفات، وحبستهم الشهوات والإرادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات والآيات البينات، يحتجون بما رووه من الآثار الموضوعات والحكايات المختلفة والمنامات، كما يفعله أهل الجاهلية وغبر

= المعدنية، وسطعت فيه المجامر وفاحت روائح الأطياب الملوكية، وظهر وجه الخليفة وعليه من الثياب ونحوها ما هو الغاية في الحسن والنهاية في البهاء، فعند أن وقعت عين هذا الرسول المسكين على ذلك الخليفة قال للممسكين بيده، أهذا الله؟ فقالا له: بلى، هذا خليفة الله.

فانظر أرشدك الله إلى أي حالة بلغ بهذا المسكين ما رآه من التهويل والتعظيم وانظر الحكمة البليغة في ما ورد عن الشارع من الزجر عن رفع القبور وتجصيصها وتسريحها ونحو ذلك، وإني لأكثر التعجب من تلقي هذه الأمة المرحومة لما ورد عن نبيها الصدق المصدوق ﷺ، من النهي عن ذلك والزجر عنه، والتحذير منه، بعكس ما ينبغي، وخلاف ما يجب، مع مبالغته في ذلك كلية المبالغة، حتى كان من آخر ما قاله في مرضه الذي قبضه الله فيه: «**لا تتخذوا قبري مسجدًا، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». ثم كان أول ما فعلته الأمة من العمل بهذه السنة الصحيحة والقبول لها أن وضعوا على قبره الشريف هذه العمارة، وكان الشروع فيها قبل انقضاء القرن الذي هو خير القرون بعد قرن الصحابة ، ثم انفتح باب الشرِّ إلى جميع أقطار الأرض، وطبَّق مشارقها ومغاربها وبدوها وحضرها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن عظيم اهتمامه ﷺ بهذا الأمر أنه بعث بهدم القبة المشرفة أميرًا من أهله هو علي بن أبي طالب ، كما ثبت في الصحيح أنَّ عليًا قال لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «**أن لا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته، ولا تمثالًا إلا طمسته**». والأحاديث في هذا الباب وفي منع الكتابة والتجصيص والتسريج كثيرة ثابتة من طريق جماعة من الصحابة قد استوفيتها في كثير من مؤلفاتي، وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية.

وحاصله: أن الذي يجب علينا عند الوقوف على شيء مما فيه ما لا يجوز اعتقاده من مؤلفات المتقدمين أو أشعارهم أو خطبهم أو رسائلهم أن يحكم على ذلك الموجود بما يستحقه ويقتضيه، ونوضح للناس ما فيه، ونحذرهم عن العمل به، والركون إليه، ونكل أمر قائله إلى الله مع التأول له بما يمكن، وإبداء المعاذير له بما لا يرده الفهم ويأباه العقل ولم يكلفنا الله سبحانه غير هذا ولا واجب علينا سواه.

الفترات، وكثير منهم يعتقد النفع في الأحجار والجمادات ويتبركون بالآثار والقبور في جميع الأوقات: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر:١٩].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

(فأما بلاد نجد) فقد بالغ الشيطان في كيدهم وجدًّا! وكانوا ينتابون قبر زيد بن الخطاب[١]، ويدعونه رغبًا ورهبًا بفصيح الخطاب، ويزعمون أنه يقضي لهم الحوائج، ويرونه من أكبر الوسائل والولائج[٢].

وكذلك عند قبر يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور[٣]، وذلك كذب ظاهر وبهتان مزور.

وكذلك عندهم نخل فحال، ينتابه النساء والرجال، ويفعلون عنده أقبح الفعال، والمرأة إذا تأخر عنها الزواج، ولم ترغب فيها الأزواج، تذهب إليه فتضمه بيدها وتدعوه برجاء وابتهال، وتقول: يا فحل الفحول: أريد زوجًا قبل الحَوْلِ.

وشجرة عندهم تسمى الطرفية: أغراهم الشيطان بها، وأوحى إليهم التعلق عليها وأنها ترجى منها البركة، ويعلقون عليها الخرق، لعل الولد يسلم من السوء.

وفي أسفل بلدة الدرعية غار في الجبل يزعمون أنه انفلق من الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير: أراد بعض الناس أن يظلمها ويضير، فانغلق الغار، ولم يكن له عليها اقتدار،

---

(١) هو زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزّى بن رباح، أبو عبدالرحمن القرشي العدوي أخو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان أسن من عمر رضي الله عنه، وأسلم قبله، وشهد بدرًا والمشاهد، وكانت رايةُ المسلمين معه يوم اليمامة، ثم قتل فوقعت الراية فأخذها سالم مولى أبي حذيفة، وكان استشهاده في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة، واستشهد يومئذٍ من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم نحو ست مائة. انظر: «السير» (١/ ٢٩٧، ٢٩٨)، و«الإصابة» (٢٨٩٧).

(٢) أي: التي يلجون ويلجئون إليها.

(٣) هو ضرار بن الأزور، واسم الأزور: مالك بن أوس الأسدي، أبو الأزور ويقال: أبو بلال صحابي بطل من الأبطال، اختلف في وفاته فيمن استشهد باليمامة، وقيل: بنجران، وقيل: بدمشق. انظر: «الإصابة» (٤١٩٢)، و«السير» (١/ ٣١٥).

وكانوا يرسلون إلى هذا المكان من اللحم والخبز ما يقتات به جند الشيطان.

وفي بلدتهم رجل يدعي الولاية يسمى تاج: يتبركون به ويرجون منه العون والإفراج، وكانوا يأتون عليه، ويرغبون فيما عنده من المدد بزعمهم ولديه، فتخافه الحكام والظلمة، ويزعمون أن له تصرفًا وفتكًا بمن عصاه وملحمة، مع أنهم يحكون عنه الحكايات الشنيعة، التي تدل على انحلاله عن أحكام الملة والشريعة.

وهكذا سائر بلاد نجد على ما وصفنا من الإعراض عن دين الله والجحد لأحكام الشريعة والرد.

ومن العجب أن هذه الاعتقادات الباطلة، والمذاهب الضالة، والعوائد الجائرة، والطرائق الخاسرة، قد فشت وظهرت، وعمت وطمت، حتى بلاد الحرمين الشريفين.

فمن ذلك: ما يفعل عند قبر (محجوب)، و(قبة أبي طالب)، فيأتون قبره بالسماعات، والعلامات، للاستغاثة عند نزول المصائب، وحلول النوائب(١)، وكانوا له في غاية التعظيم، ولا ما يجب عند البيت الكريم، فلو دخل سارق أو غاصب أو ظالم قبر أحدهما لم يتعرض له أحد، لما يرون له من وجوب التعظيم والاحترام والمكارم.

ومن ذلك: ما يفعل عند قبر ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها في سَرِفْ(٢).

وكذلك: عند قبر خديجة رضي الله عنها(٣)، يفعل عند قبرها ما لا يسوغ السكوت عنه من مسلم يرجو الله والدار الآخرة، فضلًا عن كونه من المكاسب الدينية الفاخرة، وفيه من اختلاط النساء بالرجال، وفعل الفواحش والمنكرات، وسوء الأفعال، ما لا يقره أهل الإيمان والكمال، وكذلك سائر القبور المعظمة المشرفة في بلد الله الحرام مكة المشرفة.

---

(١) في «الضياء الشارق» (ص ٢٤): النواكب.

(٢) سرف: موضع على ستة أميال من مكة، وقيل: تسعة، واثني عشر، تزوج به رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث، وهناك بنى بها، وهناك توفيت سنة (٤٩) هجرية على الصحيح. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٢١٢)، و«الإصابة» (١١٧٨٣).

(٣) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، أول أزواج النبي ﷺ وأول من صدقت ببعثته، ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح. قيل: دفنت بالحجون ونزل النبي ﷺ في حفرتها ولم تكن الصلاة شرعت على الجنازة. انظر «الإصابة» (١١٠٩٢).

وفي الطائف قبر ابن عباس رضي الله عنهما(١): يفعل عنده من الأمور الشركية التي تشمئز منها نفوس الموحدين، وتنكرها قلوب عباد الله المخلصين، وتردها الآيات القرآنية وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين، منها وقوف السائل عند القبر متضرعًا مستكينًا، وإبداء الفاقة إلى معبودهم مستعينًا وصرف خالص المحبة التي هي محبة العبودية، والنذر والذبح لمن تحت ذاك المشهد والبنية(٢)، وأكثر سوقتهم وعامتهم يلهجون بالأسواق: «**اليوم على الله وعليك يا ابن عباس**». فيستمدون منه الرزق والغوث وكشف الضر والبأس.

وذكر محمد بن حسين النُّعمي الزبيدي رحمه الله(٣): أن رجلًا رأى ما يفعل في الطائف من الشعب الشركية والوظائف، فقال: أهل الطائف لا يعرفون الله إنما يعرفون ابن عباس. فقال له بعض من يترشح للعلم: معرفتهم لابن عباس كافية؛ لأنه يعرف الله.

فانظر إلى هذا الشرك الوخيم، والغلو الذميم، المباين للصراط المستقيم، ووازن بينه وبين قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله جلَّ ذكره: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن:١٨] وقد لعن رسول الله ﷺ اليهود والنصارى باتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يعبد الله فيها(٤)، فكيف

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية. قال الحافظ: اتفقوا على أنه مات بالطائف سنة ثمان وستين، واختلفوا في سنه. اهـ. قلت: ذكر قبل ذلك أن في وفاته أقوالًا، قيل: سنه (٦٥). وقيل: (٦٧). وقيل: (٦٨) قال الحافظ عن الأخير: وهو الصحيح في قول الجمهور. انتهى «الإصابة» (٤٧٩٩).

(٢) في الأصل: البنينة. والمثبت من «الضياء الشارق» (ص ٢٥).

(٣) كذا قال المؤلف هنا، وكذا في «الضياء الشرق» (ص ٢٥) والذي يغلب على ظني أنه يريد حسين بن مهدي النعمي المتوفى سنة (١١٨٧) صاحب كتاب «معارج الألباب إلى منهاج الحق والصواب» انظر: ترجمته في «نشر العرف» (١/ ٦١٧)، و«الأعلام» (٢/ ٢٦٠).

ثم بعد هذا يسر الله لي تحقيق الكتاب على (مخطوط) وهو باسم «فقه أهل الحديث والأثر في هدم المشاهد والقباب» وهذا النهي فيه (صـ ٢٠١) من المطبوع. وذكر هناك أشياء كثيرة من هذا الباب.

(٤) يشير إلى الأحاديث التي في الباب وقد جاءت عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم في البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠)، وعن عائشة رضي الله عنها في

بمن عبدالصالحين ودعاهم مع الله، والنصوص في ذلك لا تخفى على أهل العلم.

وكذلك ما يفعل بالمدينة المشرفة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - هو من هذا القبيل، بالبعد عن منهاج الشريعة والسبيل.

وفي بندر جدة: ما قد بلغ من الضلال حده، وهو القبر الذي يزعمون أنه قبر حواء، وصفه لهم بعض الشياطين، وأكثروا في شأنه الإفك المبين، وجعلوا له السدنة والخدم، وبالغوا في مخالفة ما جاء به محمد ﷺ من النهي عن تعظيم القبور والفتنة بمن فيها من الصالحين[1].

وكذلك مشهد (العلوية): بالغوا في تعظيمه وتوقيره وخوفه ورجائه. وقد جرى لبعض التّجار أنه انكسر بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم، وذلك في سنة عشر ومائتين وألف، فهرب إلى مشهد العلوي مستجيرًا ولائذًا به مستغيثًا، فتركه أرباب الأموال ولم يتجاسر أحد من الرؤساء والحكام على هتك ذلك المشهد والمقام، واجتمع طائفة من المعروفين، واتفقوا على تنجيمه[2] في مدة سنين، فنعوذ بالله من تلاعب الفجرة والشياطين.

وأما بلاد مصر وصعيدها وأعمالها: فقد جمعت من الأمور الشركية، والعبادات الوثنية والدعاوى الفرعونية، ما لا يتسع له كتاب، ولا يدنو له خطاب، لاسيما عند

= البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩)، وجاء عن غيرهم، انظرها في: «تحذير الساجد» للإمام الألباني.

(١) كما في الأحاديث السابقة، وأخرج أيضًا مسلم (٩٦٩) عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ: «**ألا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**».

(٢) النجم: الوقت المضروب، وبه سمي المنجم، ونجمت المال: إذا أديته نجومًا. قال زهير في ديات جعلت نجومًا على العاقلة:

ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

تنجيم الدين: هو أن يقدر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة مُشَاهرة، أو مُسَاناة. ومنه تنجم المكاتب، ونجوم الكتابة، وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها وغيرها، فتقول: إذا طلع النجم: حل عليك مالي. أي: الثريا. وكذلك باقي المنازل، فلما جاء الإسلام جعل الله تعالى الأهلة مواقيت لما يحتاجون إليه من معرفة الحج، والصوم، ومحل الديون، وسموها نجومًا اعتبارًا بالرسم القديم الذي عرفوه. واحتذوا حذو ما ألفوه. وكتبوا في حقوقهم على الناس مأجلة. انتهى من «اللسان» مادة: نجم (١٤/ ٦٠، ٦١).

مشهد أحمد البدوي[(١)]، وأمثاله من المعتقدين في المعبودين، فقد جاوزوا بهم ما ادعته الجاهلية لآلهتهم، وجمهورهم يرى له من تدبير الربوبية والتصريف في الكون بالمشيئة والقدرة التامة، ما لم ينقل مثله عن أحد بعد الفراعنة والنماردة[(٢)].

وبعضهم يقول: يتصرف في الكون سبعة.

وبعضهم يقول: أربعة[(٣)].

وبعضهم يقول: القطب يرجعون إليه، وكثير منهم يرى أن الأمور شورى بين عدد ينتسبون إليه، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٥].

وقد استباحوا عند تلك المشاهد من المنكرات والفواحش والمفاسد، ما لا يمكن حصره، ولا يستطاع وصفه، واعتمدوا في ذلك من الحكايات والخرافات والجهالات ما لا يصدر عمن له أدنى مسكة وحظ من المعقولات فضلًا عن النصوص والشرعيات.

وكذلك ما يفعل في بلدان اليمن جارٍ على تلك الطرائق والسنن، ففي صنعاء وبرع والمخا وغيرها[(٤)]، من تلك البلاد ما يتنزه العاقل عن ذكره ووصفه، ولا يمكن

---

(١) هو أحمد بن علي بن إبراهيم الحسني أبو العباس البدوي،منسوب إلى التصوف، توفي سنة (٦٧٥) انظر: «شذرات الذهب» (٥/ ٣٤٥)، و«النجوم الزاهرة» (٧/ ٢٥٢)، و«الأعلام» (١/ ١٨٥) و«حكم الجاهلية» للشيخ أحمد شاكر (صـ١٦٦)، و«المدخل المفصل» للشيخ بكر أبو زيد (١/ ٤٦٨، ٤٦٩).

(٢) انظر من تلك العجائب في: «كرامات الأولياء» للشعراني (١/ ٥١٢-٥١٧).

(٣) ينظر: «الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن»، لشيخ الإسلام ابن تيمية وكتابي«التعليقات الجياد على تطهير الاعتقاد».

(٤) وانظر: التفصيل عما كان من ذلك في البلدان اليمنية من مصدر المؤلف، وهو «تاريخ نجد» لحسين بن غنام (ص ١٩- ٢٠).

أما صنعاء :فهي معروفة مشهورة وهي عاصمة اليمن الآن، وقد تصرف المؤلف في اختصار كلام ابن غنام، فلفظ ابن غنام في هذا الموضع في «تاريخه» (ص ١٩): فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمى الهادي: كانوا يفدون إليه جميعًا يروحون يدعونه ويستغيثون به... إلخ.

وهذا في محافظة صعدة: وقبر الهادي لا يزال إلى اليوم يأتونه من الشيعة زرافات ووحدانًا، وينذرون له، ويتوسلون به، إلى غير ذلك من الأمور الشركية والبدعية. عجل الله بزواله.

=

الوقوف على غايته وكشفه، وناهيك بقوم استخفهم الشيطان، وعدلوا عن عبادة الرحمن إلى عبادة القبور والشياطين، فسبحان من لا يعجل بالعقوبة على الجرائم، ولا يهمل الحقوق والمظالم.

وفي حضرموت والشحر وعدن ويافع[1] ما تستك[2] عن ذكره المسامع، يقول قائلهم: شيء لله يا عيدروس، شيء لله يا محيي النفوس.

وفي أرض نجران[3] من تلاعب الشيطان وخلع ربقة الإيمان ما لا يخفى على أهل العلم بهذا الشأن.

من ذلك رئيسهم المسمى بالسيد، لقد أتوا من طاعته وتعظيمه وتقديمه وتصديره والغلو فيه بما أفضى بهم إلى مفارقة الملة والإسلام والانحياز إلى عبادة الأوثان والأصنام: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

= أما برع: فهو جبل بناحية زبيد باليمن. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٨٤)، و«تاريخ نجد» لابن غنام (ص ١٩).

أما المخا: فقال الحجري في «مجموع بلدان اليمن» (٤/ ٦٩٤-٦٩٥): هو بندر معروف على ساحل البحر الأحمر غربي تعز تبعد عنها نحو ثلاثة مراحل... وممن استوطن المخا أبو الحسن علي بن عمر ابن إبراهيم الصوفي المتوفى سنة (٨٢١) ولعل ما أشار إليه المؤلف كان حول قبر هذا. وبنحو هذا قال ابن غنام في «تاريخه» (ص ٢٠).

(١) في هذه المناطق من جنوب اليمن القبور التي يرجعون إليها كثيرة أشهرها قبر العيدروس في عدن.

وحضرموت: مخلاف في اليمن يقع شرقي عدن بينهما مسيرة شهر، يدعي القبوريون بها قبر النبي هود عليه السلام وقد رد ذلك شيخنا محمد الإمام حفظه الله في رسالة مفردة.

والشحر: ناحية معروفة من ساحل حضرموت.

وعدنٌ: مدينة معروفة مشهورة في جنوب اليمن على ساحل البحر الهندي وهي من أعظم ثغور اليمن، وبها قبر العيدروس، ما زال إلى يومنا ينتابه الصوفية ومن شابههم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويافع: بلد متسع في الجنوب الشرقي من صنعاء على مسافة سبع مراحل فيه بلدان ومزارع. انظر: عن هذه البلدان «مجموع بلدان اليمن» للحجري (١/ ٦٣)، و(٣/ ٤٤٧)، و(٣/ ٥٨٢)، و(٤/ ٧٧٣).

(٢) تستك: أي تنسد وتصم. انظر «الوسيط» (ص ٤٣٩).

(٣) قال الحجري في «مجموع بلدان اليمن» (ص ٧٣٤): نجران بلد مشهور في الشمال الشرقي عن صنعاء على مسافة ثماني مراحل. انتهى.

وكذلك حلب ودمشق وسائر بلاد الشام: فيها من تلك المشاهد والنصب والأعلام ما لا يجامع عليه أهل الإيمان والإسلام من أتباع سيد الأنام، وهي تقارب ما ذكرنا في الكفريات المصرية، والتلطف بتلك الأحوال الوثنية الشركية.

وكذلك الموصل وبلاد الأكراد: ظهر فيها من أصناف الشرك والفجور والفساد.

وفي العراق من ذلك بحره المحيط بسائر الخلجان، وعندهم مشهد الحُسين[(١)] قد اتخذه الرافضة وثنًا، بل ربًّا مدبرًا وخالقًا ميسرًا، وأعادوا به المجوسية، وأحيوا به معاهد اللات والعزى، وما كان عليه أهل الجاهلية[(٢)].

وكذلك: مشهد العباس، ومشهد علي[(٣)]**، ومشهد أبي حنيفة**[(٤)]**، ومعروف الكَرْخِي**[(٥)]**، والشيخ عبدالقادر**[(٦)]، فإنهم افتتنوا بهذه المشاهد رافضتهم وسنتهم،

(١) هو الحسين بن علي بن أبي طالب، قتل عليه رضوان الله في يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء. انظر «الإصابة» (١٧٢٩).

(٢) وما زال الرافضة على ذلك الاعتقاد إلى اليوم وقد ناقش شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٦٨) وما بعدها، موضع دفن الحسين رضي الله عنه، وموضع دفن رأسه. قال (صـ٤٨٠) منه: الثابت هو نقله من كربلاء إلى العراق - يعني: رأس الحسين رضي الله عنه - والذي ذكره العلماء أنه دفن بالمدينة. انتهى.

(٣) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الخليفة الراشد رابع الخلفاء رضي الله عنهم، قتله الخارجي الغادر سنة (٣٥هـ). قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «المجموع» (٤/ ٤٩٩-٥٠٢): وقد تنازع العلماء في (موضع قبره). والمعروف عند أهل العلم أنه دفن بقصر الإمارة بالكوفة ؛ وأنه أُخفي قبره لئلا ينبشه الخوارج الذين كانوا يكفرونه ويستحلون قتله...وأما المشهد الذي بالنجف فأهل المعرفة متفقون على أنه ليس بقبر علي، بل قيل إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علي، ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثمائة سنة ؛ مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم، وحكمهم بالكوفة. وإنما اتخذوا ذلك مشهدًا في ملك بني بويه - الأعاجم - بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة، ورووا حكاية فيها: أن الرشيد كان يأتي إلى تلك، وأشياء لا تقوم بها حجة. انتهى

(٤) هو النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي قال الذهبي في «السير» (٦/ ٤٠٣): توفي شهيدًا مسقيًّا في سنة خمسين ومائة، وله سبعون سنة، وعليه قبة عظيمة ومشهد فاخر ببغداد. والله أعلم.

(٥) هو معروف الكرخي أبو محفوظ البغدادي كان أبواه نصرانيين ثم أسلما وهو علم من أعلام الزهاد، ومات سنة (٢٠٠). انظر: «السير» (٩/ ٣٣٩).

(٦) هو عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي الجيلي الحنبلي، قال الذهبي: الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة توفي سنة (٥٦١هـ) انظر: «السير» (٨/ ٤٣٩).

وعدلوا عن أسنى المطالب والمقاصد، ولم يعرفوا ما وجب عليهم من حق الله الفرد[(١)] الصمد الواحد.

وبالجملة فهم شر تلك الأمصار وأعظمهم نفورًا عن الحق واستكبارًا، والرافضة يصلُّون لتلك المشاهد، ويركعون ويسجدون لمن في تلك المعاهد، وقد صرفوا من الأموال والنذور لسكان تلك الأجداث والقبور ما لا يحصل عشر معشاره للملك العلي الغفور، ويزعمون أن زيارتهم لعلي وأمثاله أفضل من سبعين حجة - تعالى الله وتقدس في مجده وجلاله - ولآلهتهم من التعظيم والتوقير والخشية والاحترام، ما ليس معه من تعظيم الله وتوقيره وخشيته وخوفه شيء للإله الحق والملك العلام[(٢)].

---

(١) لم يثبت هذا من أسماء الله تعالى كما سبق.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «تلخيص الاستغاثة» (٢/ ٥٦٠-٥٦٦): فطائفة من هؤلاء: يصلون إلى الميت، ويدعو أحدهم الميت فيقول: اغفر لي وارحمني ونحو ذلك، ويسجد لقبره. ومنهم: من يستقبل القبر ويصلي إليه مستدبرًا الكعبة، ويقول: القبر قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة. وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهدًا وهو شيخ متبوع، ولعله أمثل أتباع شيخه يقوله في شيخه، وآخر: من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد، يأمر المريد أو من يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل. وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب، ما لا يجده أحدهم في مساجد الله تعالى، التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وآخرون: يحجون إلى القبور، وطائفة: صنفوا كتبًا وسموها مناسك حج المشاهد، كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الإمامية كتابًا في ذلك، وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل. وآخرون: يسافرون إلى قبور المشايخ، وإن لم يسموا ذلك منسكًا وحجًا فالمعنى واحد، ومن هؤلاء من يقول: وحق النبي الذي تحج إليه المطايا، فجعل الحج إلى النبي، لا إلى بيت الله عز وجل، وكثير من هؤلاء: أعظم قصده من الحج قصد قبر النبي ﷺ لا حج البيت، وبعض الشيوخ: المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنَّف كتابًا سماه الاستغاثة بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام، وهذا الضال استعان بهذا الكتاب وقد ذكر في مناقب هذا الشيخ: أنه حج مرة وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده، ثم رجع ولم يذهب إلى الكعبة، وجعل هذا من مناقبه، فإن كان هذا مستحبًّا فينبغي لمن يجب عليه حج البيت إذا حج أن يجعل المدينة منتهى قصده، ولا يذهب إلى مكة؛ فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الأفضل، وهذا لا يفعله عاقل، وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة على طريقة ابن سبعين، قيل عنه: إنه كان يقول البيوت المحجوجة ثلاثة: مكة، وبيت المقدس، والبندر، الذي للمشركين بالهند. وهذا=

....

= لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حق، ودين النصارى حق، وجاء بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته، فقال له: أريد أن أسلك على يديك. فقال: على دين اليهود، والنصارى، أو المسلمين؟!! فقال له: واليهود والنصارى ليسوا كفارًا؟! قال: لا تشدد عليهم، لكن الإسلام أفضل. ومن هؤلاء من يرجح الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت، ومنهم: من يرجح الحج إلى البيت، لكن قد يقول أحدهم: إنك إذا زرت قبر الشيخ مرتين أو ثلاثًا كان كحجة. ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات، يسافرون إليها وقت الموسم، يعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات. كما يفعل هذا في المغرب والمشرق. ومنهم: من يجعل السفر إلى المشهد والقبر الذي يعظمه أفضل من الحج، ويقول أحد المريدين لآخر وقد حج سبع حجج إلى بيت الله العتيق: أتبيعني زيارة قبر الشيخ بالحجج السبع، فشاور الشيخ. فقال: لو بعت لكنت مغلوبًا. ومنهم: من يقول: من طاف بقبر الشيخ سبعًا كان كحجة. ومنهم: من يقول: زيارة المغارة الفلانية ثلاث مرات كحجة. ومنهم: من يحكي عن الشيخ الميت أنه قال: كل خطوة إلى قبره كحجة، ويوم القيامة لا تبع بحجة. وأنكر بعض الناس ذلك، فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ في منامه، وزجره على إنكاره ذلك. وهؤلاء وأمثالهم: صلاتهم ونسكهم لغير الله رب العالمين، فليسوا على ملة إبراهيم إمام الحنفاء، وليسوا من عمار مساجد الله، الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

فعمار مساجد الله لا يخشون إلا الله، وعمار مساجد المقابر يخشون غير الله، ويرجون غير الله، حتى إن طائفة من أصحاب الكبائر الذين لا يتحاشون فيما يفعلونه من القبائح كان إذا رأى قبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة خشي من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك هذا هلال القبة، فيخشون المدفون تحت الهلال، ولا يخشون الذي خلق السماوات والأرض، وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج. وهؤلاء إذا نوظروا خوفوا مناظرهم. كما صنع المشركون بإبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٠-٨٢].

وآخرون: قد جعلوا الميت بمنزلة الإله، والشيخ الحي المتعلق به كالنبي، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات، وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، وكانوا في أنفسهم قد عزلوا الله عن أن يتخذوه إلهًا، وعزلوا محمدًا ﷺ عن أن يتخذوه رسولًا. وقد يجيء الحديث العهد بالإسلام أو التابع لهم، لحسن الظن بهم، أو غيره، يطلب من الشيخ الميت، إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه، أو غير ذلك، فيدخل ذلك السادن، فيقول: قد قلت للشيخ، والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول لله، والله قد بعث رسولًا إلى السلطان فلان، فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارى، وفيه من الكذب والجهل
=

ولم يبق مما عليه النصارى سوى دعوى الولدية[(١)]، غير أن بعضهم يرى الحلول لأشخاص بعض البرية: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات: ١٨٠].

وكذلك جميع قوى الشط والمجرة: على غاية من الجهل.

والمعروف في القطيف والبحرين[(٢)]، من البدع الرافضية[(٣)]، والأحداث

= ما لا يستجيزه كل مشرك ونصراني، ولا يروج عليه. ويأكلون من النذور: وما يؤتى به إلى قبورهم، ما يدخلون به في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

ويعوضون بأنفسهم، ويمنعون غيرهم؛ إذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه، فيمتنع بسبب ذلك عن الدين الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه. والله تعالى لم يذكر في كتابه المشاهد، بل ذكر المساجد فإنها خالصة له، قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ١٧ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ١٨﴾ [التوبة: ١٧-١٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠]. ولم يذكر بيوت الشرك كبيوت الأصنام والمشاهد ولا ذكر بيوت النار. اهـ.

(١) أي: دعوى النصارى أن المسيح ابن الله.

(٢) القطيف: قال الحموي في «المعجم» (٤/ ٣٧٨): بفتح أوله وكسر ثانيه، فعيل من القطف، وهو القطع للعنب ونحوه. وهي مدينة بالبحرين هي اليوم قصبتها وأعظم مدنها.

والبحرين: قال البكري في «معجم ما استعجم» (١/ ٢١١): البحران تثنية بحر وهو بلد مشهور بين البصرة وعمان صالح أهله رسول الله ﷺ وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي. اهـ

(٣) وبدع الرافضة القبورية الشركية لا يستطاع حصرها في كل زمان ومكان حلوا فيه، ففي هذا العصر قد جعلوا لها ما لم يجعلوه للأماكن المقدسة كالكعبة المشرفة؛ فقبر الخميني يسمونه حرمًا، ويطوفون به كما يطاف بالكعبة، ويلوذون به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكذلك القبور والمشاهد في العراق، لا سيما بعد زوال دولة (صدام) فَيَفِدُ إلى تلك القبور والمشاهد ملايين من الناس، ويحصل فيها من المنكرات ما الله به عليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل؛ وليس هذا حدثًا جديدًا فهو من ملتهم من زمن، قال العلامة ابن القيم في: «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٣٥)، دار ابن رجب): وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شَرَّعوا للقبور حجًا ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسماه: «مناسك حج المشاهد»، مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الاسلام، ودخول في دين عباد الأصنام، فانظر إلى هذا التباين العظيم بين =

المجوسية، والمقامات الوثنية، ما يضاد ويصادم أصول الملة الحنيفية.

فمن اطلع على هذه الأفاعيل وهو عارف بالإيمان والإسلام وما فيهما من التفريع والتأصيل تيقن أن القوم قد ضلوا عن سواء السّبيل، وخرجوا عن مقتضى القرآن والدليل، وتمسكوا بزخارف الشيطان، وأحوال الكهان، وما شابه هذا القبيل، وازداد بصيرة في دينه، وقوي بمشاهدة إيمانه ويقينه، وجدَّ في طاعة مولاه وشكره، واجتهد في الإنابة إليه ومداومة ذكره، وبادر إلى القيام بوظائف أمره، وخاف أشد الخوف على إيمانه من طغيان الشيطان وكفره، فليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا.

إذا تحققت ما ذكرته لك أيها المنصف من حال أهل تلك الأزمان وما هم عليه من الشرك بالله من دعاء الصالحين والأولياء والاستغاثة بهم لتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وإزالة الشدات، ومعافاة أولي العاهات والبليات، وإخلاص الدعاء لهم في جميع الطلبات، إلى غير ذلك من أنواع العبادات، فما وجه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة: ١١] على عدم تكفيرهم، وقتالهم ونهب أموالهم، إن كان يرى أن ما صدر من أهل تلك الأزمان ممن أُخذ ماله فيئًا وغنيمة هو الشرك الأكبر وعبادة الصالحين، وهو صريح الرد على الله وعلى رسله وعلى أئمة الدين، وأن ما دعا إليه الشيخ وقرره وبينه هو توحيد رب العالمين الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وأنهم قاموا أشد القيام في رده وإطفائه، وقاتلوا على ذلك بعد قيام الحجة، واعتراف كثير من علمائهم، بأنه الحق، وأنه دين الله، فلا حرج حينئذٍ ولا إثم في أخذ تلك الأموال فيئًا وغنيمة، اقتداء برسول الله ﷺ، وعملًا بدينه وشرعه، وإن كان ما عليه من أخذت أموالهم من عبادة الصالحين، والشرك بالله، والإعراض عن دينه، وقتال أهله، ومعاداة من قام به وهو الإسلام، وهو الحق، وهم مصيبون في ذلك على بينة من الله، فالذم على من حكم على أموالهم بهذا الحكم، والعيب له، وتجهيله يتجه ولا يعاب، فالكلام في الأصل الذي تفرع عنه أخذ

= ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده: من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره ...اهـ.

الأموال وجعلها فيئًا وغنائم، وحينئذٍ فالمعترض بهذا لا يرى أن عبادة الصالحين، ودعاءهم، والتوكل عليهم، والذبح لهم، وتسويتهم بالله في الحب والخوف والرجاء والتعظيم شرك وضلال، يبيح الأموال والدماء، بعد قيام الحجة؛ فلذلك عرض بأخذ الأموال وسفك الدماء، بل ولا يرى ما كانت عليه البوادي، من ترك دين الله، والإعراض عما جاءت به الرسل، وإنكار البعث، والرجوع في الدماء والأموال إلى ما حكمت به أسلافهم وعشائرهم، مع الاستهزاء الصريح بدين الله ورسله، مكفرًا مبيحًا للقتال والمال.

وشبهة هذا الضال وإخوانه من قبل أنهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، ويصلون، ويزكون، والعلماء يكفرون بدون هذا من المكفرات، ويرون أن أموال هؤلاء المرتدين فيءٌ لا يختلفون في ذلك، والله المستعان.

نعم قد كان من بعض هؤلاء من دخل في الإسلام، وبايع على ذلك ثم ارتد على عقبيه، ونكث عهد الله وميثاقه، وقاتل المسلمين، وخرج عن طاعتهم، فقاتلوه على ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾ [التوبة: ١٢].

* * *

فصل

[تضمن بيان وجه قتال الشيخ محمد بن عبدالوهاب لمن لم يلتزم بشرع الله تعالى وتوحيده]

قال الناظم:

وَقَدْ قَالَ خَيْرُ المُرْسَلِيْنَ: «نُهِيتُ عَنْ» ... فَمَا بَالُهُ لَمْ يَنْتَهِ الرَّجُلُ النَّجْدِيُّ

فالجواب أن نقول:

وَقَوْلُكَ فِي مَنْظُوْمِ مَيْنِكَ ضَلَّةً ... وَلَبْسًا وَتَمْوِيْهًا عَلَى الأَعْيُنِ الرُّمْدِ
(وَقَدْ قَالَ خَيْرُ المُرْسَلِيْنَ: «نهيتُ عَنْ» ... فَمَا بَالُهُ لَمْ يَنْتَهِ الرَّجُلُ النَّجْدِيّ)
أَقُوْلُ نَعَمْ هَذِيْ الأَحَادِيْثُ كُلُّهَا ... مُدَوَّنَةٌ مَرْوِيَّةٌ عَنْ ذَوِيْ النَّقْدِ
وَلَيْسَ بِهَا وَالحَمْدُ للهِ حُجَّةٌ ... عَلَى تَرْكِ مُرْتَدٍ عَنِ الدِّيْنِ ذِيْ جَحْدِ
فَمَنْصُوصُهَا فِي تَرْكِ مَنْ أَظْهَرَ الهُدَى ... وَبَاطِنُهُ فِي الاعْتِقَادِ عَلَى الضِّدِ
فَدَلَّتْ عَلَى تَرْكٍ لِمَنْ كَانَ مُظْهِرًا ... مِنَ الدِّيْنِ أَرْكَانًا فَتَدَرَأُ عَنْ حَدٍّ
فَيَجْرِيْ لَهُمْ حُكْمُ الظَّوَاهِرِ جَهْرَةً ... وَبَاطِنُ مَا يُخْفِيْ إِلَى الوَاحِدِ الفَرْدِ
فَإِنْ أَظْهَرَ الكُفْرَ الذِي هُوَ مُبْطِنٌ ... فَلَيْسَ لَهُ عَاصِمٌ مُوجِبٌ يُجْدِيْ
وَلَيْسَ عَلَى الإِطْلَاقِ مَا أَنْتَ مُطْلِقٌ ... فَفِي ذَاكَ تَفْصِيْلٌ يَبِيْنُ لِذِيْ الرُّشْدِ
فَقَدْ هَمَّ خَيْرُ المُرْسَلِيْنَ مُحَمَّدٌ ... بِإِحْرَاقِ مَنْ صَلَّى وَذَاكَ عَلَى عَمْدِ
لأَنَّهُمُو لَمْ يَحْضُرُوا فِي جَمَاعَةٍ ... وَقَدْ فُرِضَتْ عَيْنًا عَلَى كُلِّ مُسْتَهْدِ
وَلَوْلَا الذَّرَارِيْ وَالنِّسَاءُ مُعَلِّلًا ... لأَحْرَقَهُمْ فِيْهَا فَبَاءُوا بِمَا يُرْدِي
وَمَا كَانَ هَمُّ المُصْطَفَى بِضَلَالَةٍ ... وَلَا بَاطِلٌ لَكِنْ بِحَقٍّ وَعَنْ رُشْدِ
وَقَدْ قَتَلَ الفَارُوْقُ مَنْ لَيْسَ رَاضِيًا ... بِحُكْمِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى كَامِلِ المَجْدِ

وَلَـمْ يَنْهَـهُ المَعْـصُومُ عَـنْ قَتْلِ مِثْلِهِ ... وَلَا عَابَـهُ فِـي قَتْلِـهِ ثُـمَّ عَـنْ عَمْـدِ
كَـمَا بَـرَّأَ المَعْـصُوْمُ مِـنْ قَتْـلِ خَالِـدٍ ... جُذَيْمَـةَ لَـمَّا أَخْطَئُـوا بَـاذْلُوا الجَهْـدِ
فَقَـالُوا صَـبَأْنَا قَاصِـدِيْنَ حَقِيْقَـةً ... بِـذَلِكَ أَسْـلَمْنَا وَلَـم يَـدْرِ بِالقَـصْدِ
فَـأَنْكَرَ هَـذَا المُـصْطَفَى وَوَدَاهُمُـو ... جَمِيْعًا فَخُذْ بِـالعِلْمِ عَـنْ كُـلِّ مُـسْتَهْدِ
وَلَمْ يَنْتَـهِ عَـنْ قَتْـلِ مَـنْ كَـانَ خَارِجًـا ... عَلَيْـهِ عَلـي بَـلْ أَبَـادَ ذَوِيْ اللَّـدِ
وَهُـمْ إِنَّـمَا فَـرُّوْا عَـنِ الكُفْـرِ فَاعْتَـدُوا ... وَكَانَتْ صَـلَاةُ القَـوْمِ فِي غَايَـةِ الحَـدِّ
وَيَحْقِـرُ أَصْـحَابُ النَّبِـيِّ صَـلَاتَهُمْ ... مَعَ القَوْمِ مِنْ حُسْنِ الأَدَاءِ مَـعَ الجَهْـدِ
خَـلَا أَنَّـهُ لَـمْ يَأْخُـذِ الـمَالَ مِنْهُمُـو ... وَلَـمْ يَجرِمَنَّـا فِـي خَطَـإٍ وَلَا عَمْـدِ
فَـمَا قُتِـلَ الـشَّيْخُ الإِمَـامُ مُحَمَّـدٌ ... لِمُلْتَـزِمِ الإِسْـلَامِ مِمَّـنْ عَلَـى العَهْـدِ
وَلَكِـنَّمَا تَكْفِيْـرُهُ وَقِتَالُـهُ ... لِعُبَّـادِ أَوْثَـانٍ طُغَـاةٍ ذَوِيْ جَحْـدِ
فَقَاتِـلْ مَـنْ قَـدْ دَانَ بِـالكُفْرِ وَاعْتَـدَى ... وَكَفَّ أَكُـفَّ المُـسْلِمِيْنَ ذَوِيْ الرُّشْـدِ
عَـنِ المُـسْلِمِيْنَ الطَّـائِعِيْنَ لِـرَبِّهِمْ ... وَلَمْ يُـشْرِكُوْا بِالوَاحِـدِ الـصَّمَدِ الفَـرْدِ
وَهَـبْ أَنَّ هَـذَا قَـوْلُ كُـلِّ مُنَـافِقٍ ... يَـصُدُّ عَـنِ التوحيـدِ بالجـدِّ وَالجَهْـدِ
(فَـمَا كُـلُّ قَـوْلٍ بِـالقَبُوْلِ مُقَابَـلٌ ... فَحَقِـقْ إِذَا رُمْـتَ النَّجَـاةَ لِـمَا تُبْـدِيْ)
وَلَا تَلْـقَ لِلْفُـسَّاقِ سَـمْعَكَ وَاتَّئِـدْ ... فَفِيْهِ وَعِيْـدٌ لَـيْسَ يَخْفَـى لِـذِيْ النَّقْـدِ
وَمَـا مَرْبَـدٌ فِـيْ قَوْلِـهِ بِمُـصَدَّقٍ ... فَقَـدْ كَـانَ زِنْـدِيْقًا لَـدَى كُـلِّ مُـسْتَهْدِ
فَهَـذِي تَـصَانِيْفُ الإِمَـامِ شَـهِيْرَةٌ ... مُدَوَّنَـةٌ مَعْلُوْمَـةٌ لِـذَوِيْ الرُّشْـدِ

(ص٥) قال المعترض في شرحه لأبياته: أخرج أحمد، والشافعي في «مسنديهما» من حديث عبدالله بن عدي بن الخيار: أن رجلًا من الأنصار حدثه أنه أتى النبي ﷺ وهو في مجلسه، فسَّاره يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ، فقال: «أليس

يشهد أن لا إله إلا الله؟!» فقال الأنصاري: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له، قال: «أليس يشهد أن محمدًا رسول الله؟!» قال: بلى، ولا شهادة له، قال: «أليس يصلي؟!» قال: بلى، ولا صلاة له، قال: «أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم»[١].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد[٢] في قصة الرجل الذي قال: يا رسول الله اتق الله. وفيه فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال: «لا لعله أن يكون يصلي». فقال خالد: فكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق قلوبهم».

وفي الحديث الآخر: «نهيت عن قتل المصلين»[٣].

فجعل ﷺ إقامة الرجل الصلاة مانعة عن قتله، وأنه نهاه الله عنه.

(فالجواب): أن يقال: سبحان الله ما أعظم شأنه وأعز سلطانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩﴾ [الروم: ٥٩]. أين إيراد هذه الأحاديث مما نحن فيه، فإن الشيخ رحمه الله تعالى، لم يقاتل إلا على أصل الإسلام، والتزام مبانيه العظام، ومن نقل عنه أنه قاتل على غير ذلك، فقد كذب وافترى[٤].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣٩/ ٧٣) (٢٣٦٧٠) والشافعي كما في «مسنده» (١/ ١٣-١٤)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٩٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٠/ ١٦٣)، وسنده صحيح، وصححه شيخنا الإمام الوادعي في «الصحيح المسند» (٧١١) فقال: حديث صحيح وقد سمى معمر الصحابي عبد الله بن عدي كما في «المسند». وأخرجه ابن حبان (٥٩٧١) من حديث عبد الله بن عدي.

(٢) البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٤).

(٣) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٦) (٤٤) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٥٨)، وفي سنده عامر بن عبد الله بن يساف مختلف فيه كما في «اللسان»، وهو إلى الضعف أقرب، وقال ابن عدي بعد أن ذكر عدة أحاديث هذا منها: (وهذه الأحاديث التي أمليتها غير محفوظة). وله شاهد عن أبي هريرة عند أبي داود (٤٩٢٨) وفي سنده أبو سيار القرشي عن أبي هاشم الدوسي، وكلاهما مجهول. ولكن يغني عنه الحديث السابق. وانظر «هداية الرواة» (٤٤٠٧) وقد أخرجه أحمد (٣٦/ ٤٧٥-٤٧٦) (٢٢١٥٤) عن أبي أمامة مرفوعًا: «نهيت عن ضرب أهل الصلاة». وهو حسن في أقل الأحوال. وانظر «الصحيح المسند» لشيخنا.

(٤) وعلى فعل الشيخ قول جمهور العلماء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في «الفتاوى»: إن المرتد يقتل، وإن كان عاجزًا عن القتال، ماخلا الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال؛ فإنه لا =

على أن بعض العلماء يرى القتال على ترك الواجبات(١)، فكيف بما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها؟ وقد كان أهل نجد قبل ظهور هذه الدعوة المحمدية على غاية من الجهالة والضلالة والفقر والعالة، لا يستريب في ذلك عاقل، ولا يجادل فيه عارف، كانوا على غاية من الجهالة في أمر دينهم، جاهلية يدعون الصالحين، ويعتقدون في الأشجار والأحجار والغيران، يطوفون بقبور الأولياء ويرجون الخير والنصر من جهتها، وفيهم من كفار الاتحادية والحلولية وجهالة الصوفية، ما يرون أنه من الشعب الإيمانية والطريقة المحمدية، وفيهم من إضاعة الصلوات، ومنع الزكاة، وشرب المسكرات، ما هو معروف مشهور، فمحا الله بدعوته شعار الشرك ومشاهده، وهدم بيوت الكفر والشرك ومعابده، وكبت الطواغيت والملحدين، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى، بما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والهدى، وكفر من أنكر البعث، واستراب فيه من أهل الجهالة والجفاء، وأمر بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وترك المنكرات والمسكرات، ونهى عن الابتداع في الدين، وأمر بمتابعة السلف الماضين في الأصول والفروع(٢)، ومسائل الدين، حتى ظهر دين الله،

= يقتل عند أكثر العلماء، كأبي حنيفة ومالك وأحمد. اهـ.

وقال أيضًا كما في «الفتاوى» (٢٠/ ١٠٠): المرتد يقتل بالاتفاق، وإن لم يكن من أهل القتال، إذا كان أعمى، أو زمنًا، أو راهبًا. اهـ.

وقال أيضًا (١٨/ ٢٧٤): إذا قيل في المرأة المرتدة: كفرت بعد إسلامها فتقتل قياسًا على الرجل؛ لقول النبي ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا فقتل بها»**. فإذا قيل: لا تأثير لقولك كفر بعد إسلامه، فإن الرجل يقتل بمجرد الكفر وحينئذٍ فالمرأة لا تقتل بمجرد الكفر، فيقول: هذه علة ثابتة بالنص، وبقوله: **«من بدل دينه فاقتلوه»**. وأما الرجل فما قتلته لمجرد كفره بل لكفره وجراءته، ولهذا لا أقتل من كان عاجزًا عن القتال: كالشيخ الهرم، ونحوه، وأما الكفر بعد الإسلام، فعلة أخرى مبيحة للدم، ولهذا قتل بالردة من كان عاجزًا عن القتال: كالشيخ الكبير، وهذا قول: مالك، وأحمد، وإن كان ممن يرى أن مجرد الكفر يبيح القتال: كالشافعي قال: الكفر وحده علة، والكفر بعد الإسلام علة أخرى، وليس هذا موضع بسط هذه الأمور. اهـ.

(١) انظر: «المعلم» للقاضي عياض (١/ ٢٤٣).

(٢) سبق القول عن إطلاق كلمة (الفروع والأصول).

واستعلن واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن، وقام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحددت الحدود الشرعية، وعزرت التعازير الدينية، وانتصب علم الجهاد، وقاتل لإعلاء كلمة الله، أهل الشرك والفساد، حتى سارت دعوته، وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وجمع الله القلوب بعد شتاتها، وتألفت بعد عدوانها، وصاروا بنعمة الله إخوانًا، فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفيافي والصخور، وفتح الله عليهم الأحساء والقطيف[1]، وقهر سائر العرب من عمان إلى مصر، ومن اليمن إلى العراق، ودانت لهم عربها، وأعطوا الزكاة، فأصبحت نجد تضرب إليها أكباد الإبل في طلب الدنيا والدين، وتفتخر بما نالها من العز والنصر والإقبال، كما قال عالم الأحساء وشيخها:

لَقَدْ رَفَعَ المَوْلَى بِهِ رُتْبَةَ العُلى ... بِوَقْتٍ بِهِ يُعْلِي الضَّلَالُ وَيُرْفَعُ
تَجُرُّ بِهِ نَجْدٌ ذُيُولَ افْتِخَارِهَا ... وَحُقَّ لَهَا بِالأَلْمعِيِّ تُرْفَعُ

وهذا في أبيات لا نطيل بذكرها، ولا ينكر ما قررناه إلا مكابر في الحسّيَّات، ومباهت[2] في الضروريات، يرى أن عبادة الصالحين، ودعاءهم، والتوكل عليهم، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، مما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وأنه هو الإسلام.

والمقصود أن هؤلاء المعارضين قَلَبوا الحقائق، وعكسوا القضية، وأرادوا بهذا تنفير الناس عن دين الله، والصد عن سبيله، بما لفقوه من هذه الأكاذيب التي موهوا بها على خفافيش البصائر، وزعموا أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يقاتل أهل الإسلام وينهب أموالهم، وهم يصلون ويزكون، وهم قد بايعوا على الإسلام، وهجروا ما كانوا عليه من الشرك بالله والكفر به، وهذا من الكذب والافتراء.

ويستدل بهذه الأحاديث الواردة في المنافقين، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ كان يقبل من المنافقين علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، مع إخبار الله له بأنهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢﴾ [المنافقون:٢]، وأنهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ

---

(١) انظر: «معجم البلدان» (١/ ١٢).

(٢) من البهت: وهو الكذب.

مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ [التوبة:٧٤].

فعلم أن من أظهر الإسلام والتوبة من الكفر، قُبِلَ ذلكَ مِنْهُ، ولهذا قال ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم»[١] لما استؤذن في قتل ذي الخويصرة[٢]، ولما استؤذن أيضًا في قتل رجل من المنافقين، قال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟» قال: بلى. قال: «أليس يصلي؟» قال: بلى. قال: «أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم»[٣] فأخبر ﷺ: أنه نُهِيَ عن قتل من أظهر الإسلام من الشهادتين والصلاة، وإن ذُكِرَ بالنِّفاق ورمي به وظهرت عليه دلالاته، إذا لم يثبت بحجة شرعية، أنه أظهر الكفر.

وأيضًا: فإنه ﷺ كان يخاف أن يتولد من قتلهم من الفساد أكثر مما في استبقائهم، وقد تبين ذلك حين قال: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»[٤]. وقال: «إذًا ترعد له أنوف كثيرة بيثرب»[٥]؛ فإنه لو قتلهم بما يعلم من كفرهم لأوشك أن يظن الظان أنه إنما قتلهم لأغراض وأحقاد، وإنما قصد الاستعانة بهم على الملك، كما قال: «أكره أن تقول العرب: لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم»[٦].

وأن يخاف من يريد الدخول في الإسلام أن يقتل مع إظهاره الإسلام، كما قتل غيره، وقد كان أيضًا تغضب قبيلته وأناس آخرون، فيكون ذلك سببًا للفتنة، واعتبر ذلك بما جرى في قصة عبدالله بن أُبيّ، لما عرض سعد بن معاذ بقتله، خاصم أناس صالحون، وأخذتهم الحمية[٧]، حتى سكَّتهم رسول الله ﷺ، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ، لما

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) هو التميمي، قيل: اسمه (حرقوص بن زهير السعدي) انظر: «الإصابة» رقم (١٦٦٦) و(٢٤٥٦).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥١٨) ومسلم (٢٥٨٤)، والترمذي (٣٣١٥)، وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٥) معضل: أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٦٥-٦٦٦)، بسند صحيح، عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم به مطولًا، وعبد الرحمن ضعيف جدًّا، وبينه وبين هذه الواقعة مفاوز.

(٦) معضل: ذكره البغوي في: «معالم التنزيل» (٤/ ٦٩) والثعالبي في: «الكشف والبيان» (٦/ ١٧٣)، (سورة التوبة) عن ابن كيسان في سبب نزول الآية (٦٤و٦٥) من (التوبة).

(٧) يشير إلى ما أخرجه البخاري (٢٦٣٧)، ومسلم (٢٧٧٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك، وفيه: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا

استأذنه عمر في قتل ابن أُبيّ(١).

قال أصحابنا: ونحن الآن إذا حققنا مثل ذلك كففنا عن القتل، كما قرر هذا شيخ الإسلام في «الصارم المسلول»(٢).

فإذا تبين لك هذا، علمت أن استدلال هذا المعترض بهذه الأحاديث التي ذكرها في المنافقين، على ترك مقاتلة من كفر بالله وأشرك به من دعاة الأولياء والصالحين والأحجار والأشجار وطواغيت البوادي، الذين يحكمون بأسلاف طواغيتهم وعاداتهم الجاهلية؛ لأجل أنهم يصلون ويزكون استدلال باطل، وهل هذا إلا قلب للحقائق! ولبس للحق بالباطل بهذه الشقاشق! وهذا مما لا يخفى على الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ، فتبين أن هذا مما زوره عليه من لا يعرف دين الإسلام من دين أهل الكفر بالله من عباد الأوثان والأصنام.

[مزيد بيان لوجه قتال الشيخ لمخالفي الشرع والتوحيد]

قال الناظم: (ص ٦)

وَقَــالَ لَهُــمْ لَا مَــا أَقَــامُوْا الــصَّلَاةَ فِي ... أُنَــاسٍ أَتَــوْا كُــلَّ القَبَــائِحِ عَــنْ قَــصْدِ ١١

فالجواب من النظم: أن يقال:

وَقَوْلُــكَ أَيْــضًا فِــي الأئمــة أَنَّهُــمْ ... أُنَــاسٌ أَتَــوْا كُــلَّ القَبَــائِحِ عَــنْ قَــصْدِ

فَقَــالَ لَــهُ بَعْــضُ الــصَّحَابَةِ سَــائِلًا ... نُقَــاتِلُهُمْ حَتَــى يَفِيْئُــوا إِلَــى القَــصْدِ

= خيرًا، وقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي». فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك. فقام سعد بن عبادة ، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحمية، فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على ذلك. فقام أسيد بن الحضير فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا، ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت».

(١) أي: حيث قال له النبي ﷺ: «لايتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه» متفق عليه، عن جابر رضي الله عنهما كما سبق.

(٢) «الصارم المسلول» (١/ ٣٦٢) طبع: دار ابن حزم.

فَقَالَ لَهُمْ: «لَا مَا أَقَامُوا صَلَاتَهُمْ» ... نَهَى عَنْ قِتَالِ القَوْمِ فَاسْمَعْ لِمَا أُبْدِي
أُولَئِكَ قَوْمٌ مُسْلِمُوْنَ أَئِمَّةٌ ... أَتَوا بِمَعَاصٍ مُنْكَرَاتٍ وَلَا تُجْدِي
وَلَمْ يُشرِكُوا بِاللهِ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَلَمْ يَتْرُكُوهَا قَاصِدِيْنَ عَلَى عَمْدِ
وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أَخَّرُوْهَا لِفِسْقِهِمْ ... وَعَدَوَانِهِمْ أَوْ لِلْكَاسِلِ فِي الجِدِّ
وَمَسْأَلَةُ الإِنْكَارِ بِالسَّيْفِ جَهْرَةً ... تَجُرُّ أُمُورًا مُعْضِلَاتٍ وَقَدْ تُرْدِيْ
وَفِيْهَا فَسَادٌ بِالخُرُوْجِ عَلَيْهِمُو ... بَأَنْكَرِ مِمَّا أَنْكَرُوْهُ مِنَ الجُنْدِ
فَمَاذَا عَلَى الشَّيْخِ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ ... إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ مَنْ ذَكَرْتَ بِمَا تُبْدِي
وَلَكِنَّ عَلَى الكُفْرِ البَوَاحِ الذَيْ بِهِ ... أَبَاحَ دِمَاءَ القَوْمِ مَنْ كُلِّ ذِيْ جَحْدِ
فَإِيْرَادُ ذَا فِي ضِمْنِ هَذَا تَعَنُّتٌ ... وَلَبْسٌ وَإِيْهَامٌ عَلَى الأَعْيُنِ الرُّمْدِ

قال الشارح للأبيات المزورة: (ص ٦)

إشارة إلى ما أخرجه مسلم في «صحيحه»[1]، عن أم سلمة، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**يستعمل عليكم فتعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**» فقالوا يا رسول الله: ألا نقاتلهم؟ فقال: «**لا، ما صلوا**» انتهى.

وفي رواية: «**ما أقاموا الصلاة**» فقولنا: وقال لهم لا ضمير قاله (؟)ﷺ، والحديث أشرنا إليه بما ترى كما في قولنا في البيت: (نهيت عن)، ففي البيتين من علم البديع الاكتفا.

(فالجواب) أن يقال: وهذا أيضًا من نمط ما قبله، فإن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، لم يقاتل الأئمة، ويخرج عليهم من أجل تأخيرهم الصلوات، ولا غير ذلك مّن الأمور التي ارتكبوها من الظلم والعدوان، وغير ذلك مما لا يخرجهم من الملة، وإنما قاتل على أصل الإسلام ومبانيه العظام، كما قدمنا بيان ذلك، مما لا فائدة في إعادته، فالاستدلال على ترك قتال الأئمة لأجل أنهم يصلون على ترك قتال من عبد غير الله، واتخذ من دونه الأولياء يدعونهم ويستغيثون بهم، ويتوكلون عليهم،

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨٥٤) (٦٣).

ويذبحون لهم، ويلجئون إليهم في المهمات والملمات، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وإغاثة اللهفات، إلى غير ذلك مما صرفه المشركون لغير فاطر الأرض والسموات، من المغالطة والتمويه وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[حكم من أتى بما ينقض كلمة التوحيد]

(وأما قوله): (ص ٦)

١٢ أَبِنْ لِي أَبِنْ لِي لِم سَفَكْتَ دِمَاءَهمْ ... وَلِمْ ذَا نَهَبْتَ المَالَ قَصْدًا عَلَى عَمْدِ

١٣ وَقَدْ عَصَمُوا هَذَا وَهَذَا بِقَوْلِ لَا ... إِلَهَ سِوَى اللهِ المُهَيْمِنِ ذِيْ المَجْدِ

وقوله في الشرح إشارة: إلى ما في «الصحيحين»[(١)] من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»**. وأخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده، وابن خزيمة في صحيحه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»**[(٢)].

فأخبر ﷺ أن الناس إذا آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، حرمت دماؤهم وأموالهم، وأما قوله إلا بحق الإسلام، فالمراد به ما أباحه الإسلام في الدماء، من قتل نفس مؤمنة بغير حق، ومن زنى وهو محصن، ومن ارتد عن الإسلام، وقطع يد السارق، وقتل السَّاعي في الأرض فسادًا أو نحو هذا، وما أباحه من الأموال كأخذ الزكاة.

فالجواب على ما قاله: في نظمه أن نقول:

وَقَوْلُكَ فِي مَزْبُوْرِ مَا أَنْتَ نَاظِمٌ ... كَأَنَّكَ قَدْ أَفْصَحْتَ بِالحَقِّ وَالرُّشْدِ

---

(١) البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢). وانظر: «الأربعين النووية» بتحقيقي (٨).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٤/ ٢٢١-٢٢٢) (٨٥٤٤) وابن خزيمة (٢٢٤٨) وإسحاق بن راهويه (٢٧٢) وغيرهم وأصله في مسلم (٢١) (٣٣).

(أَبِنْ لِي أَبِنْ لِي لِمَ سَفَكْتَ دِمَاءَهُمْ ... وَلِمَ ذَا نَهَبْتَ المَالَ قَصْدًا عَلَى عَمدِ)
(وَقَدْ عَصَمُوا هَذَا وَهَذَا بِقَوْلِ لَا ... إِلَهَ سِوَى اللهِ المُهَيْمِنِ ذِيْ المَجْدِ)
أَقُوْلُ: نَعَمْ خُذْ فِي الجَوَابِ أَدِلَّةً ... تَدُلُّ عَلَى غَيْرِ المُرَادِ الذِيْ تُبْدِي
فَمَنْ كَانَ صَلَّى وَزَكَّى وَلَم يَجِيْء ... بِمَا يَنْقُضُ الإسْلَامَ مِنْ كُلِّ مَا يُرْدِيْ
فَدَعْوَاكَ فِي قَتْلٍ وَنَهْبٍ تَحَكُّمٌ ... وَزُوْرٌ وَبُهْتَانٌ وَذَلِكَ لَا يُجْدِيْ
وَمَنْ بَدَّلَ الإسْلَامَ يَوْمًا بِنَاقِضٍ ... لِذَلِكَ بِالكُفْرَانِ وَالجَعْلِ لِلْنِّدِ
وَكَالمنْعِ عَنْ بَذْلِ الزَّكَاةِ فَحُكْمُهُ ... كَأَحْكَامِ مُرْتَدٍ عَنِ الدِّيْنِ ذِيْ جَحْدِ
إِذَا قَاتَلُوا بَغْيًا إِمَامًا أَرَادَهَا ... وَذَا قَوْلُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ذَوِيْ الزُّهْدِ
وَلَوْ شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ سِوَى الَّذِيْ ... عَلَى العَرْشِ مِنْ فَوْقِ السَّمَوَاتِ ذِيْ مَجْدِ
فَمَا عِصْمَتُهُمْ مِنْ صَحَابَةِ أَحْمَدَ ... وَلَكِنَّهُمْ قَدْ قَاتَلُوهُمْ عَلَى عَمْدِ
وَسَمُّوهُمُو أَهْلَ ارْتِدَادٍ جَمِيْعَهُمْ ... وَإِجْمَاعُهُمْ حَتْمٌ لَدَى كُلِّ مُسْتَهْدِ
وَمَا فَرَّقُوا بَيْنَ المُقِرِّ وَجَاحِدٍ ... كَمَا هُوَ مَعْلُوْمٌ لَدَى كُلِّ ذِيْ نَقْدِ
وَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْ خِلَافِ مُخَالِفٍ ... لمنْ هُمْ حُمَاةُ الدِّيْنِ بِالجِدِّ وَالجَهْدِ
أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... فَهُمْ قُدْرَةٌ لِلْسَالِكِيْنَ عَلَى القَصْدِ
وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ يُخَالِفُ لَم يَكُنْ ... يُقَارِبُهُمْ هَيْهَاتَ مَا الشَّوْكُ كَالوَرْدِ
وَهُمْ فِي جَمِيْعِ الدِّيْنِ أَهْدَى طَرِيْقَةً ... وَأَقْرَبُ لِلْتَّقْوَى وَأَقْوَمُ فِي الرُّشْدِ
وَأَيْضًا بَنُو القِدَاحِ قَدْ كَانَ أَمْرُهُمْ ... شَهِيْرًا وَمَعْرُوْفًا لَدَى كُلِّ ذِيْ نَقْدِ
وَأَجمعَ أَهْلُ العِلْمِ مِنْ كُلِّ جَهْبَذٍ ... عَلَى كُفْرِهِمْ وَالحَقُّ فِي ذَاكَ مُسْتَبْدِ
وَقَدْ أَظْهَرُوْا لَفْظَ الشَّهَادَةِ جَهْرَةً ... وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ أَفْضَلُ مَنْ يَهْدِيْ
وَقَدْ أَبْطَنُوا لِلْكُفْرِ لَكِنْ تَظَاهَرُوْا ... بِمَا أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ مَا لَيْسَ بِالمَجْدِيْ

فَلَمَّا أَبَانُوا بَعْضَ أَشْيَاءَ خَالَفُوا بِهَا ... الـشَّرْعَ بَـاءُوا بِالخَـسَارَةِ وَالطَّـرْدِ
فَمَـنْ كَـانَ هَـذَا حَالُـهُ فَهْـوَ كَـافِرٌ ... حَـلَالَ دَمٍ وَالـمَالَ يُنْهَـبُ عَـنْ قَـصْدِ
وَذَاكَ بِـإِجْمَاعِ الـصَّحَابَةِ كُلِّهِـمْ ... وَهَـذَا بِـإِجْمَاعِ الْهُـدَاةِ ذَوِي الرُّشْـدِ
وَأَمَّـا البُغَـاةُ الخَـارِجُوْنَ فَحُكْمُهُـمْ ... إِذَا خَرَجُـوْا أَوْ قَاتَلُونَـا عَلَـى عَمْـدِ
نُقَـاتِلُهُمْ حَتَّـى يَفِيْئُـوا إِلَـى الْهُـدَىْ ... وَلَا نَأْخُـذُ الأَمْـوَالَ نَهْبًـا كَـمَا تُبْـدِيْ
وَمَهْـمَا يَقُـلْ فِيْنَـا العَـدُوُّ فَـإِنَّهُمْ ... يَقُوْلُـوْنَ: مَعْرُوْفًـا وَآخَـرَ لَا يُجْـدِيْ
فَـمَا كَـانَ مَعْرُوْفًـا مِـنَ الـدِّيْنِ وَاضِـحًا ... كَإِجْمَاعِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ذَوِيْ الرُّشْـدِ
عَلَـى قَتْـلِ مُرْتَـدٍ وَأَخْـذٍ لِمَالِـهِ ... وَمَـانِعِ حَـقِّ الـمَالِ مِـنْ غَيْرِمَـا جَحْـدِ
فَـمَا فَرَّقُـوا بَـيْنَ المُقِـرِّ وَجَاحِـدٍ ... وَلَا بَـيْنَ مُرْتَـدٍ إِلَـى الجُعْـلِ لِلْنِّـدِّ
وَإِجْمَاعُ أَهْلِ العِلْمِ مِـنْ بَعْـدِ عَـصْرِهِمْ ... عَلَى قَتْـلِ جَهْـمٍ وَالمَرِّيْـسِي وَالجَعْـدِ
وغَيْلَانَ بَـلْ كَفَّـرُوا العُبَيْـدِيِيْنَ وَالـذِّيْ ... عَلَى رَأْيِ جَهْمٍ فِي الـتَّجَهُّمِ وَالجَحْـدِ
وَكُلُّ كَفُوْرٍ مِـنْ ذَوِيْ الـشِّرْكِ وَالـرَّدَى ... فَتَكْفِيْـرُهُمْ عَنَّـا صَـحِيْحٌ بِـلَا رَدٍّ
وَمَـا لَفَّـقَ الأَعْـدَاءُ مِـنْ قَتْـلِ مُـسْلِمٍ ... وَنَهْبَـةِ أَمْـوَالِ تُجَـلُّ عَـنِ العَـدِّ
فَمَحْـضُ أَكَاذِيْـبٍ وَتَزْوِيْـرِ آفِـكٍ ... وَظُلْـمٍ وَعُـدْوَانٍ وَذَلِـكَ لَا يُجْـدِيْ

(وأما ما ذكر) في شرحه من الأحاديث المرفوعة فهو حق، ولكن الشأن كل الشأن فيمن أتى بما يناقضها، ومن المعلوم أنه قد أجمع العلماء على أن من قال: لا إله إلا الله ولم يعتقد معناها، ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النَّفي والإثبات.

قال القاضي عياض(١): اختصاص عصمة المال والنفس ممن قال: (لا إله إلا الله)، تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد بذلك مشركو العرب، وأهل الأوثان،

(١) «إكمال المعلم» (١/ ٢٤٦).

فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقول: (لا إله إلا الله)، إذا كان يقولها في كفره[١]. انتهى ملخصًا.

فإن كان هذا المعترض، بهذه الأحاديث يرى أن ما قدمناه من حال الشيخ مع أهل نجد وغيرهم ممن عدل بالله سواه وأشرك به غيره، ممن صرف خالص حق الله للأنبياء والأولياء والصالحين والأحجار والأشجار وغير ذلك، مما قد أوضحناه فيما تقدم أنه ليس بشرك، ولا كفر مخرج من الملة، فهذا ما عرف الإسلام العاصم للدم والمال، ولا عرف الكفر المبيح لذلك، وإن كان يرى أنه كفر يخرج من الملة، وإن كانوا مع ذلك يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون، ويزكون، فما الموجب لهذا الشنآن، والاعتراض بما لا حقيقة له؟!

[حقيقة الأمر عن قتال الشيخ لأهل نجد ونحوهم]

فإذا تحققت هذا: فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يقاتل من قاتل من أهل نجد وغيرهم، إلا من أقام على كفره، وجد في إطفاء نور الله، وإنكاره توحيده، ومن جحد البعث من بواديهم وأعرابهم، ولم يكفر إلا بعد قيام الحجة، وظهور الدليل على الإيمان بالله ورسله، ووجوب الكفر بما عبد من دونه، فالخصومة في الأصل الأصيل وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وقد ظهر واشتهر عند الخاص والعام، براءة الشيخ من تكفير المسلمين، وقتلهم ونهب أموالهم، وإنما قتاله وتكفيره لمن كفر بالله، وأشرك به، وأن دعوته إلى طاعة الله ورسوله، ويصرح بأن من عرف الإسلام ودان به فهو المسلم، في أي زمان ومكان، ويشهد الله كثيرًا في رسائله، ويشهد أولي العلم من خلقه، أن أعداءه إن جاءوه عن الله، أو عن رسوله، بدليل يرد شيئًا من قوله، ويحكم بخطئه فيه، ليقبلنه على الرأس والعين، ويترك ما خالفه، أو عارضه، وهذا معروف عنه بحمد الله، وإنما يرميه بمثل هذا البُهت[٢]، وينسبه إليه، من جعل زوره وقدحه في أهل العلم والإيمان جسرًا يتوصل منه، ويعبر إلى ما انطوى عليه، وزينه له الشيطان من عبادة الصالحين، والتوسل بهم، وعدم الدخول تحت أمر أولي العلم، وترك القبول منهم، والاستغناء

(١) ينظر «إكمال المعلم» شرح حديث رقم (٢٠-٢٧).

(٢) أي: الكذب.

بما نشأ عليه أهل الضلال، واعتادوه من العقائد الضالة، والمذاهب الجائرة، كهذا الرجل الذي يسمى: مربد بن أحمد، وكذلك عبدالرحمن النجدي، فإن هذين الرجلين قد شَرَقَا بدين الله ورسوله، لمَّا ظهر ودخل فيه الناس أفواجًا، فغاظهما ذلك؛ لما أَلِفَاهُ واعتاداه من العقائد الضالة، وبغيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده.

[من أقوال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في منهجه وقتاله]

وقد قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته إلى حمد التويجري(١)، بعد كلام سبق: بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا، بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في إلاهيته بعد ما تبين له الحجة على بطلان الشرك، وكذلك نكفر من حسنه للناس، أو أقام الشبه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها، وقاتل من أنكرها، وسعى في إزالتها. والله المستعان. انتهى المقصود منه.

وقال في رسالته إلى السويدي البغدادي(٢): وما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة! فيا عجبًا كيف يدخل هذا في عقل عاقل، وهل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟! - إلى أن قال: - وأما التكفير، فأنا أكفر من عرف دين الرسل، ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه، وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفره وأكثر الأمة - ولله الحمد- ليسوا كذلك. انتهى.

فإذا علمت هذا وتحققته، فقول هذا المعترض في ديباجة شرحه: أنه قَدِمَ إليه عبدالرحمن النجدي برسائل جمعها ابن عبدالوهاب، في وجه تكفير أهل الإيمان وقتلهم ونهبهم وقوله في النظم:

٥ وَقَدْ جَاءَ مِنْ تَأْلِيفِهِ بِرَسَائِلِ ... يُكَفِّرُ أَهْلَ الأَرْضِ فِيْهَا عَلَى عَمْدِ

علمت أن هذا كذب وزور وبهتان، يريدون به الصَّد عن سبيل الله، ويبغونها عوجًا: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢١﴾ [يوسف:٢١].

(١) انظر «مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (٣/ ق ٢/ ٣٤) الرسالة العاشرة.

(٢) انظر المصدر السابق (٣/ ق ٢/ ٢١) الرسالة الخامسة.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته للشريف: وأما الكذب والبهتان مثل قولهم: أنَّا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وأنَّا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، وكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون الناس به عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصَّنم الذي على قبة عبدالقادر(١)، والصَّنم الذي على قبر أحمد البدوي(٢) وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله، أو لم يهاجر إلينا ولم يُكَفِّر ويقاتل: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور:١٦].

[منهج الشيخ محمد موافق لقواعد الشرع وأقوال علماء الأمة]

فإذا كان هذا كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فيمن عَبَدَ الصنم الذي على القبور، إذا لم ييسر له من يعلمه ويبلغه الحجة، فكيف يطلق التكفير لجميع أهل الأرض، ويقاتلهم على ذلك وينهب أموالهم، وهل يتصور هذا عاقل عرف حال الشيخ، وما جاء به، ودعا إليه؟ بل لا يعرف له قول انفرد به عن سائر، الأمة بل ولا عن أهل السنة والجماعة منهم وجميع أقواله في هذا الباب، أعني ما دعا إليه من توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العمل والعبادات، مجمع عليه عند المسلمين، لا يخالف فيه إلا من خرج عن سبيلهم، وعدل عن منهاجهم: كالجهمية(٣)، والمعتزلة(٤)، وغلاة عباد القبور، بل

(١) سبق التعريف به.

(٢) هو أحمد بن علي المتوفى سنة: (٦٧٥) تقدمت ترجمته.

(٣) الجهمية هم أتباع: الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، تلميذ الجعد بن درهم، وهو أول من ابتدع القول بخلق القرآن، ومن معتقدات الجهمية:

* نفي الأسماء والصفات، لأن في إثباتها تشبيه، وكذلك نفي الرؤية.
* عدم علم الله للأشياء قبل خلقها.
* أن الإنسان مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار.
* أن الجنة والنار يفنيان.
* أن الإيمان واحد لا يتفاوت.

وغير ذلك من الضلال، وقد كفرهم خمسمائة عالم من أئمة السنة، انظر عنهم «الملل والنحل» للشهرستاني (صـ٣٦)، و«الحور العين» لنشوان (صـ٢٠٨)، و«اعتقادات فرق المسلمين والكافرين» للرازي (صـ٦٨)، وكتب التاريخ حوادث سنة (١٢٨).

(٤) المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وسموا معتزلة لأن واصل بن عطاء لما أظهر =

قوله مما أجمعت عليه الرسل، واتفقت عليه الكتب، كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ما جاءوا به وقصدوه.

ولا يكفر إلا على هذا الأصل بعد قيام الحجة المعتبرة، فهو في ذلك على صراط مستقيم، متبع لا مبتدع، وهذا كتاب الله وسنة رسوله، وكلام أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى، معروف مشهور، مقرر في كتبهم، في حكْم من عدل بالله وأشرك به، وتقسيمهم للشرك إلى أكبر وأصغر، فالحكم على المشرك الشرك الأكبر بالكفر مشهور عند الأمة، لا يكابر فيه إلا جاهل لا يعرف ما الناس فيه من أمر دينهم، وما جاءت به الرسل، وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم، وحكى الإجماع عليها، وأنها من ضروريات الإسلام، كما ذكره تقي الدين ابن تيمية، وابن القيم الجوزية، وابن عقيل، وصاحب الفتاوى البزازية، وصُنْعُ الله الحلبي، والمقريزي الشافعي، ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي، ومحمد بن إسماعيل الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني، وغيرهم من أهل العلم[1].

* * *

= بدعته طرده الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ فاعتزل عند سارية من سواري المسجد، وانضم إليه عمرو بن عبيد، فسموا من يومئذ المعتزلة، وهم أيضًا: قدرية، وهم يسمون أنفسهم: (أهل العدل والتوحيد). وهم: في الأسماء والصفات جهمية عند التحقيق، كما نصَّ على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية يقولون:

* بأن القرآن مخلوق.

* وبأن الله لا يرى في الآخرة.

* وبأن الله لم يخلق ولم يقدر المعاصي، وأنها من قدرة العباد، ولهم أقوال غير ذلك. انظر «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٥)، و(٧/ ٣٣١)، و(١٢/ ٣١١-٣١٢)، و«تلبيس إبليس» (٢/ ٣٩٧)، و«التنبيه والرد» (صـ٤٩)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٥٣).

(١) انظر: «منهج ابن تيمية في مسألة التكفير» (١/ ٤٩) وما بعدها للدكتور عبد المجيد بن سالم، وكتاب «التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد» لعلوي السقاف. و«تطهير الاعتقاد» (صـ٦٠) وما بعدها، و«شرح الصدور» للشوكاني (صـ١١٣) بتحقيق العلامة العباد حفظه الله.

[سبب انتهاك الشيخ محمد بن عبدالوهاب لدماء أقوام وأموالهم]

إذا تمهد هذا، فالذي أوجب للشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سفك دمائهم ونهب أموالهم، ما ارتكبوه من الأحداث التي أحدثوها في الإسلام[1] مما قد أوضحناه فيما تقدم بيانه.

وقد درج على ذلك أهل العلم في كل زمان، وقد عقد الفقهاء في كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهبهم بابًا مستقلًا في حكم أهل الأحداث التي توجب الردة[2]، وسمَّاه أكثرهم: باب الردة. وعرَّفوا المرتد: بأنه الذي يكفر بعد إسلامه وذكروا أشياء دون ما نحن فيه من المكفرات، حكموا بكفر فاعلها، وإن صلَّى وصام، وزعم أنه مسلم.

هو الشيخ عثمان بن أحمد بن عثمان النجدي ت ١٠٩٧هـ المعروف بابن قائد النجدي وحاشية مشهورة على متن منتهى الإرادات

ولعثمان نجاة الخلف في اعتقاد السلف مطبوع

وقال الشيخ عثمان الحنبلي صاحب «حاشية المنتهي» في عقيدته: تتمة الإسلام الإتيان بالشهادتين، مع اعتقادها والتزام الأركان الخمسة، إذا تعينت، وتصديق الرسول ﷺ فيما جاء به، ومن جحد ما لا يتم الإسلام بدونه، أو جحد حكمًا ظاهرًا، أو أُجْمع على تحريمه، أو حِلِّهِ إجماعًا قطعيًا أو ثبت جزمًا - كتحريم لحم الخنزير - أو حل خمر، ونحوهما كفر، أو فعل كبيرة، وهي ما فيها حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو داوم على صغيرة، وهي ما عدا ذلك فسق. انتهى.

وبما ذكرناه يتبين لكل منصف: أن كلَّ ما لَفَّقَهُ هؤلاء الجهلة، من دعوى تكفير الأمة، وسفك دمائهم، ونهب أموالهم، كذب وزور وبهتان، وأنه: ﴿ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٣٩].

* * *

---

(١) في (الأصل): الإسلام في.

(٢) من كتب الأحناف: ينظر: «بدائع الصانع» (٧/ ١٣٤) ونحوها. طبع دار الكتاب العربي.

من كتب الحنابلة: «المغني» لابن قدامة المقدسي (٤/ ٣٧٠) ونحوها، و«الفروق» لابن مفلح (٦/ ١٦٤) ونحوها.

من كتب الشافعية: «روضة الطالبين» للإمام النووي (٧/ ٢٨٣-٢٨٤) ونحوها.

من كتب المالكية: «المختصر» لخليل بن إسحاق (صـ٢٨١) وغيرها كثير.

فصل

[يتضمن أمورًا منها حكم دم المسلم]

(وأما قوله في نظمه): (ص ٧)

وَقَـــالَ ثَـــلَاثٌ لَا يَحِـــلُّ بِغَيْرِهَـــا ... دَمُ المُسْلِمِ المَعْصُوْمِ فِيْ الحِلِّ وَالعَقْدِ
وَقَـــالَ عَلِـــيٌّ فِـــيْ الخَـــوَارِجِ إِنَّهُـــمْ ... مِنَ الكُفْرِ فَـرُّوْا بَعْـدَ فِعْلِهِـمُ المُـرْدِيْ
وَلَـمْ يَحْفِـرِ الأُخْـدُوْدَ فِـيْ دَارِ كِنْـدَةَ ... لِيَحْـرِقَهُمْ فَـافْهَمْ إِذَا كُنْـتَ تَـسْتَهْدِيْ

(وجوابه أن يقال):

وَقَوْلُــكَ تَمْوِيْهًـا وَإِلْـزَامُ مُفْتَـرٍ ... بِـمَا لَـم يَكُـنْ مِنَّـا بِفِعْـلٍ وَلَا عَقْـدِ

والبيتين قبله:

أَقُـوْلُ نَعَـمْ هَـذَا هُـوَ الحَـقُّ وَالهُـدَى ... وَنَحْنُ عَلَى ذَا الأَمْرِ نَهْـدِيْ وَنَـسْتَهْدِيْ
وَلَـم نَتَجَـاوَزْ فِـي الأُمُـوْرِ جَمِيْعِهَـا ... بِحَمْدِ وَلِيِّ الحَمْدِ مَنْصُوصَ مَا تُبْـدِيْ
وَلَكِـنْ أَطَعْـتَ الكَاشِـحِيْنَ وَمَيْـنَهُمْ ... بِتَزْوِيْـرِ بُهْتَـانٍ عَلَـى العَـالِمِ المَهْـدِيْ
بِأَنَّـا قَتَلْنَـا وَاسْـتَبَحْنَا دِمَـاءَهُمْ ... وَأَمْـوَالَهُمْ هَـذِيْ مَقَالَـةُ ذِيْ الحِقْـدِ
وَحَاشَـا وَكَـلَّا مَـا لِهَـذَا حَقِيْقَـةٌ ... وَلَـيْسَ لَـهُ أَصْـلٌ يُقَـرَّرُ فِـي نَجْـدِ
(ص ٧)

(وأما قوله في شرح البيت الأول) إشارة: إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أنه ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق» أخرجه الشيخان بألفاظ[1]، وهذا هو الذي أشار إليه ﷺ بقوله: «إلا بحق الإسلام»[2].

---

(١) البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) (٢٥) (٢٦) وانظر «الأربعون النووية» بتحقيقي (١٤).

(٢) هذه اللفظة انفرد بها البخاري (٢٥).

(والجواب أن نقول): وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه، ولم نتجاوز - ولله الحمد والمنة- نص الحديث، فما وجه الاستدلال به على ما لم يكن، ولم يصدر إلا بأكاذيب زنادقة شبَّهوا بها على عباد الله، ونفروا بها عن الدخول في دين الله، خفافيش[(١)] البصائر، الذين هم أتباع كل ناعق، لم يلجئوا إلى علم وثيق، وأيضًا فإن الزكاة حق المال، كما قاله صديق الأمة، ووافقه على ذلك جميع الصحابة، وسيأتي الكلام على ذلك في محله، إن شاء الله تعالى[(٢)].

[أثر علي بن أبي طالب في الخوارج: «من الكفر فروا»]
[وما يتعلق بقتل من ارتكب مكفراً ونحو ذلك]

(وأما قوله) في شرح البيت الثاني: إشارة إلى ما رُوِيَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه سُئِلَ عن الخوارج: أكفارٌ هُمْ؟ فقال: مِنَ الكُفْرِ فَرُّوا، فقيل: فما هم؟ قال: هم إخواننا بالأمس، بغوا علينا[(٣)].

فلم يكفر الخوارج، مع تكفيرهم له، وقتلهم لعباد الله، وتكفيرهم لمن ليسوا على بدعتهم من عباد الله، وللعلماء فيهم أقوال واسعة مستوفاة في «فتح الباري»[(٤)].

(والجواب أن يقال): قد ثبت هذا عن علي رضي الله عنه، وهو الحق الذي ندين الله به، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون إليه إلا كما يعود السهم إلى فوقه**»[(٥)] ومع ذلك نقاتلهم، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ في غير ما حديث، وهم يقولون: لا إله إلا الله، ويشهدون أن محمدًا رسول الله، ويصلون ويزكون، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم مع صلاتهم، فلم تعصمهم: (لا إله إلا الله)،

---

(١) الخفش: ضعف البصر، وضيق في العين، وقيل: صغر في العين خلقة، وقيل: فساد في العين، واحمرار تضيق له العيون من غير وجع ولا قرح. اهـ من «اللسان» مادة: خفش. (٤/ ١٥٣). ومراد المؤلف معنوي لا لفظي.

(٢) انظر ما يأتي.

(٣) صحيح عن علي أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩١) و(٥٩٢) و(٥٩٣) و(٥٩٤) والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٧٣-١٨٢) من عدة أوجه عن علي رضي الله عنه.

(٤) «فتح الباري» شرح حديث (٦٩٣٠).

(٥) تقدم تخريجه.

ولا فعل الصلاة، ولا بذل الزكاة؛ لمروقهم من الدِّين، ولما أحدثوا من البدعة، وقتالهم أهل الإسلام، فكان هذا من الأدلة على قتال من أحدث حدثًا يوجب قتاله، حتى يرجع عن ذلك، وإن كان يقول: لا إله إلا الله، ويصلي ويزكي، فليس كلُّ مَنْ صلَّى وزكى، ينفعه قول لا إله إلا الله، كما أنها لا تنفع المنافقين، وقد هَمَّ ﷺ بغزو بني المصطلق، لَمَّا مَنعُوا الزكاة، وكان الرجل كاذبًا عليهم، حتى أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ الآية [الحجرات: ٦][1].

---

(١) حسن لغيره: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٩) فقال: حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثنا أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فيرسل إلي رسول الله ﷺ رسولًا لإبان كذا وكذا، ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبّان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله، فدعا بسروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع فأتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه، إذ استقبل البعث، وفصل من المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث فلما غشيهم، قال لهم: إلى من بعثتم قالوا: إليك. قال: ولم؟! قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله. قال: لا، والذي بعث محمدًا بالحق، ما رأيته بتة، ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي». قال: لا، والذي بعثك بالحق، ما رأيته، ولا أتاني، وما أقبلت، إلا حين احتبس عليَّ رسول رسول الله ﷺ خشيت، أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله. قال: فنزلت الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات: ٦-٨].

قلت: وهذا سند ضعيف من أجل عيسى والد دينار تفرد بالرواية عنه ولده. وقال ابن المديني: لا أعرفه. وذكره ابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢١٨) وجود إسناده السيوطي في «الدر المنثور».

قلت: هو سند ضعيف لكن لسبب النزول فيه شواهد كثيرة، يحسن بمجموعها منها:

=

ل (وأما قوله): في شرح البيتين بعده من إحراق علي رضي الله عنه للغلاة، الذين غلوا فيه، وكان كبيرهم عبدالله بن سبأ فحق[1]؛ لأنهم ادعوا فيه الإلهية، فاستتابهم عليٌّ ثلاثة أيام، فلما لم يتوبوا خدَّ لَهُمُ الأخاديد عند باب كندة، فقذفهم فيها، وكلام أهل العلم فيهم معروف مشهور، وهذا من الأدلة أيضًا على كفر من أحدث حدثًا في الإسلام يخرجه من الملة، ويبيح قتله، وإن كان مع ذلك يقول: لا إله إلا الله، ويصلِّي، ويزكي.

(رقم ١٠) (وأما قوله): فاعجب لجعل ابن عبدالوهاب فعل علي رضي الله عنه دليلًا له على قتله المسلمين المصلين المزكين الموحدين، ذكره في رسالته دليلًا على قتله عباد الله ونهبهم.

(فالجواب أن نقول): لا، ما جعل الشيخ محمد بن عبدالوهاب فعل علي رضي الله عنه دليلًا له على قتل المسلمين المزكين الموحدين، حاشا وكلا، بل هذا من الكذب والظلم والعدوان، الذي لا يستجيزه ولا يحكيه عن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب من يؤمن بالله واليوم الآخر، وإنما جعله دليلًا على كفر من غلا في نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء، وجعل فيه نوعًا من الآلهية، والرسالة التي أشار إليها هذا المعترض معروفة مشهورة، والكلام الذي ذكره فيها الشيخ محمد رحمه الله كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - ونحن نسوقه بلفظه؛ لتعلم أن هذا جاهل

= ١- ما أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٦-٧) رقم (٤) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٣٥)، ومن طريقه أبو نعيم في «المعرفة» (٥٤٥٣)، وغيرهم من طريق يعقوب بن كاسب، أخبرنا عيسى بن الحضرمي بن كلثوم بن علقمة بن ناجية، عن جده كلثوم عن أبيه، قال: بعث إلينا رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط يصدق أموالنا... فذكره. قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١١٠): رواه الطبراني بإسناد في أحدهما يعقوب بن حميد بن كاسب، وثقه ابن حبان، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات. اهـ.

قلت: يعقوب بن حميد حديثه صالح في الشواهد، فحسب.

٢- عن جابر عند الطبراني في «الأوسط» (٣٧٩٧)، وفي سنده عبد الله بن عبد القدوس ضعيف.

٣- عن أم سلمة عند الطبري في «تفسيره» والطبراني في «الكبير» (٢٣/ رقم ٩٦٠) وفي سنده موسى بن عبيدة الربذي ضعيف، وثابت مولى أم سلمة مجهول حال.

٤- مرسل صحيح الإسناد إلى قتادة عند الطبري في «تفسيره».

وشواهد أخرى كلها تدل على ثبوت سبب النزول حتى نقل الحافظ في «الإصابة» في ترجمة (الوليد بن عقبة) عن ابن عبد البر أنه قال: لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أنها نزلت فيه. يعني: الوليد .

(١) انظر عن خبر الإحراق كتابي «توضيح النبأ» (ص ٧١-٨٤) الطبعة الثانية.

مزور، لم يعرف كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته «السنية»، لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين، وأمره ﷺ بقتالهم.

قال: (فإذا كان على عهد النبي ﷺ وخلفائه، ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، حتى أمر ﷺ بقتالهم، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يمرق أيضًا من الإسلام في هذه الأزمنة، وذلك بأسباب: منها الغلو الذي ذمَّهُ الله في كتابه، حيث يقول: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء:١٧١]. وعلي بن أبي طالب حرَّق الغالية، فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة، فقذفهم فيها، واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق، وهو قول أكثر العلماء، وقصتهم معروفة عند العلماء[1].

وكذلك الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه، فكل من غلا في نبيٍّ أو رجلٍ صالحٍ وجعل فيه نوعًا من الإلهيّة، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو أجبرني، وأنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكل هذه شرك وضلال، يستتاب صاحبها، فإن تاب وإلا قُتِلَ؛ فإن الله تَعَالَىٰ إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ ليعبد وحده لا شريك له، لا يجعل معه آلهة أخرى، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا معتقدين أنها تخلق الخلائق، أو تنزل المطر، أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو صورهم، ويقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فبعث الله رسوله ﷺ ينهى أن يُدْعَى أحد من دونه، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦﴾ الآية [الإسراء: ٥٦].

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وعزيرًا والملائكة. ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ آيات ثم قال: وعبادة الله وحده لا شريك له، هي أصل الدين، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزلت به الكتب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ

(١) انظر كتابي «توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ» (صـ٧١-٨٤).

اَعْبُدُواْ اَللَّهَ وَاَجْتَنِبُواْ اَلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاَعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

وكان ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته، حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: «أجعلتني لله ندًا بل: ما شاء الله وحده»[1].

ونهى عن الحلف بغير الله وقال: «من حلف بغير الله فقد كفر - أو - أشرك»[2].

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٢٨٣)، والبخاري في «الأدب» (٧٨٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ رقم ١٣٠٠٥)، من طريق الثوري، وأخرجه النسائي (٩٨٨)، وابن ماجه (٢١١٧)، من طريق عيسى بن يونس، وأحمد (١/ ٢١٤)، من طريق هيثم، وابن أبي شيبة (٩/ ١١٧)، من طريق علي بن مسهر، وغيرهم كثير، كلهم عن الأجلح عن يزيد الأصم عن ابن عباس.

والأجلح مختلف فيه، وهو إلى الضعف أقرب، وخالف هؤلاء الجماعة السابقة ذكرهم القاسم بن مالك - وهو لين - فرواه عن الأجلح عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا كما عند النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٧).

قلت: وهذه رواية منكرة. وانظر «الصحيحة» (١٣٩).

(٢) ضعيف: فيه مجهول، أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، وأبو داود (٣٢٥١)، وأحمد (٢/ ٣٤-٨٦-١٢٥)، وابن حبان (٤٣٥٨)، والحاكم (١/ ١٨)، من طريق سعد بن عبيدة قال: كنت عند ابن عمر فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر: ويحك لا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر...».

حسنه الترمذي، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وأعله البيهقي (١٠/ ٢٩) بأن سعد بن عبيدة لم يسمع هذا من ابن عمر وبين ذلك بما أخرجه أحمد (٢/ ١٢٥) (٨٤) من طريق شعبة عن منصور عن سعد بن عبيدة قال: كنت جالسًا عند عبد الله بن عمر فجئت سعيد بن المسيب وتركت عنده رجلًا من كندة فجاء الكندي مروعًا فقلت: ما وراءك. قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمر آنفًا، فقال: أحلف بالكعبة. فقال: احلف برب الكعبة، فإن عمر كان يحلف بأبيه، فقال له النبي ﷺ: «لا تحلف بأبيك فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك».

وتابع شعبة على هذا التفصيل شيبان كما عند أحمد (٢/ ٦٩)، وسمى الرجل :(محمدًا الكندي) ومحمد الكندي مترجم في «الجرح والتعديل»، وذكر أنه مجهول، وأخرج الحديث أحمد (٤/ ٦٠) من طريق الأعمش عن سعد بن عبيدة قال: كنت مع ابن عمر في حلقة، قال: فسمع رجلًا في حلقة أخرى وهو يقول: لا وأبي، فرماه ابن عمر بالحصى، فقال: إنها كانت يمين عمر فنهاه النبي ﷺ، وقال: «إنها شرك».

ولكن إذا اختلف الأعمش مع منصور، فالقول قول منصور، كما نص على ذلك جمع من أهل العلم منهم ابن معين وأبو حاتم، ولكن للحديث طريق أخرجها أحمد (٢/ ٦٧) من طريق موسى بن عقبة عن =

وقال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا[(١)].

وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»[(٢)].

= سالم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف بغير الله...» فقال فيه: قولًا شديدًا. وسنده صحيح. بقي أنه لم يثبت بيان القول الشديد هذا. والله أعلم. انظر «الإرواء» (٢٥٦١).

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٧٢) ومن طريقه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤٠-٢٤١) عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: اللهم ... الحديث.

وهذا مرسل صحيح الإسناد إلا أنه مختلف فيه على زيد بن أسلم.

* فرواه معمر وابن عجلان كما عند عبد الرزاق (١٥٨٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥)، عن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ كذا معضلًا.

* وخالفهم عمر - ابن صهبان- كما عند البزار (١/ ٢٢٠) (٤٤٠) ومن طريقه ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٤٢-٤٣) من طريق عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا به.

قال ابن عبد البر: وقد أسند حديثه هذا - يعني: مالكًا- عمر بن محمد وهو من ثقات أشراف أهل المدينة، وهو عمر بن محمد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهذا الحديث صحيح عند من قال بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند لإسند عمر بن محمد له، وهو ممن تقبل زيادته، وبالله التوفيق.

وتعقب عليه في هذا الإمام ابن رجب في «فتح الباري» (٢/ ٤٤١): فقال وعمر هذا هو ابن صهبان جاء منسوبًا في بعض نسخ «مسند البزار» وظن ابن عبد البر أنه عمر بن محمد بن العمري والظاهر أنه وهم. اهـ.

ويزيد هذا قول الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٨): رواه البزار وفيه عمر بن صهبان وقد أجمعوا على ضعفه. اهـ

قلت: فيكون رفعه منكر جدًّا.

ويتحصل من هذا الخلاف:

أن مالكًا أرجح من رواه عن زيد بن أسلم، فيكون أصح طرقه، مرسل عطاء بن يسار.

ولهذا المرسل شاهد أخرجه ابن سعد (٢/ ٢٤١-٢٤٢)، والحميدي (١٠٢٥)، وأحمد (٢/ ٢٤٦)، وأبو يعلى (٦٦٨١)، وغيرهم من طريق حمزة بن المغيرة الكوفي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**.

وجميع رجاله ثقات غير حمزة بن المغيرة وهو المخزومي الكوفي، فقال ابن معين: ليس به بأس. وذكره ابن حبان في «الثقات».

فسنده هذا حسن.

والحديث بمجموع طرقه صحيح والله أعلم. وصححه الشيخ الألباني في «تحذير الساجد» (صـ٢٥).

وقال: **«لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا وصلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني»**[(١)].

ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا الصلاة عندها.

وذلك لأنه من أكبر أسباب عبادة الأوثان، وتعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلَّم على النبي ﷺ عند قبره، أن لا يتمسح بحجرته، ولا يقبلها؛ لأنه إنما يكون ذلك لأركان البيت، فلا يشبَّه بيت المخلوق ببيت الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين، ورأسه الذي لا يقبل الله عملًا إلا به، ويغفر لصاحبه، ولا يغفر لمن تركه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٦] الآية.

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، وأعظم آية فيه آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[(٢)].

والإله: هو الذي تَأْلَهُهُ القلوب عبادةً له، ورجاءً له، وخشية، وإجلالًا[(٣)]. انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهذا كله كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ذكره الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته، لما ارتد أهل حريملاء، وكان مربد بن أحمد من أهل حريملاء، وهو الذي غر هؤلاء بأكاذيبه وبهتانه، وصدقه من تصدى لإنشاء هذه المنظومة وشرحها، والأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يذكر مثل هذا الكلام السامج المتناقض،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وغيره وصححه الشيخ الألباني.

(٢) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣)، وأبو داود (٣١١٦)، والبزار (٢٦٢٦)، واللفظ له، من طريق صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه به، وصالح أرجو أن يكون صالحًا للاحتجاج، فقد روى عنه جمع من الثقات، ووثقه ابن حبان، وللحديث شواهد كثيرة فصلتها في تخريج «رياض الصالحين» ولله الحمد برقم: (٩١٧)، وانظر: مسند أحمد تحت رقم: (٩٤٦٦)، ورقم: (٦٥٨٦)، ورقم: (٢١٩٩٨).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٨٣-٤٠٠) بتصرف.

وينسب كلام شيخ الإسلام إلى الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع ما فيه من التَّدليس والتّلبيس، وحذف ما يعود عليه بالهدم والرد.

واستدلال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه- وكذلك الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن من غلا في نبي: كعيسى، أو وليٍّ كعلي بن أبي طالب، أو رجل صالح كالشيخ عدي بن مسافر[1] وغيرهم، أنه كافرٌ يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. من أَوْضح الواضحات، وأدل الدلائل على كفر من غلا كغلو هؤلاء، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب محبةً، وإجلالًا، وتعظيمًا، وحبًا، ورجاءً، وخوفًا، ودعاءً، واستغاثةً، واستعانةً، وتوكلًا، وخشيةً، ورغبةً، ورهبةً، إلى غير ذلك من أنواع العبادات، التي لا تصلح إلا لله، فمن صرف منها شيئًا لغير الله فقد أشرك ذلك الغير في عبادة الله، شاء أم أَبى، وإن سمَّى ذلك تشفعًا وتوسلًا، فإن الحقائق لا تتغير بتغير أسمائها، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنما قاتل وكفَّر هذا الضرب من الناس بعد بلوغ الحجة وإقامتها عليهم، وإن كانوا مع هذا يتلفظون بالشهادتين، ويصلون، ويزكون، فإنها لا تنفعهم مع الكفر بالله، والإشراك به سواه، والله المستعان.



(١) هو عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري أبو الفضائل من ذرية مروان بن الحكم الأموي ولد في بعلبك، وتوفي في جبل الهكارية في الموصل، وكان متصوفًا نسبت إليه طائفة العدوية، وانتشرت طريقته في أهل السواد والجبال، وغلى أتباعه في اعتقادهم فيه، وأحرق قبره سنة (٨١٧هـ) فاجتمع العدوية عليه واتخذوه قبلة لهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل. ومما ينبغي أن يعلم أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد خص أتباعه بنصيحة في مؤلف مفرد سماه: «الوصية الكبرى»، وهي مطبوعة ضمن «مجموع الفتاوى» وطبعت مفردة أكثر من مرة، وبها فوائد قيمة. انظر «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٢١).

فصل

[تضمن إجماع الصحابة والتابعين على قتل المختار ابن أبي عبيد]

قال الناظم: (ص١٠)

وَقَدْ قُلْتُ فِيْ المُخْتَارِ أَجْمَعَ كُلُّ مَنْ   حَوَى عَصْرَهُ مِنْ تَابِعِي ذَوِيْ رُشْدِ
عَلَى كُفْرِهِ هَذَا يَقِيْنًا لِأَنَّهُ   تُسَمَّى نَبِيًّا لَا كَمَا قُلْتَ فِي الجَعْدِ

(والجواب) أن نقول:

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا التَّهَوُّرِ كُلِّهِ   مَقَالَكَ فِي هَمْطٍ وَخَرْطٍ عَلَى عَمْدِ
وَأَبْدَيْتَ جَهْلًا فِي نِظَامِكَ وَالَّذِيْ   شَرَحْتَ بِهِ المَنْظُوْمَ مِنْ جَهْلِكَ المُرْدِيْ
كَقَوْلِكَ عَنْ بَحْرِ العُلُوْمِ مُحَمَّدٍ   إِمَامِ الهُدَىْ المَعْرُوْفِ بِالعِلْمِ وَالنَّقْدِ
(وَقَدْ قُلْتَ فِي المُخْتَارِ أَجْمَعَ كُلَّ مَنْ   حَوَى عَصْرِهِ مِنْ تَابِعِيٍّ ذَوِيْ رُشْدِ)
(عَلَى كُفْرِهِ هَذَا يَقِيْنًا لِأَنَّهُ   تَسَمَّى نَبِيًّا لَا كَمَا قُلْتَ فِي الجَعْدِ)
((فَذَلِكَ لَمْ يُجْمِعْ عَلَى قَتْلِهِ وَلَا سِوَي   خَالِدِ ضَحَّى بِهِ وَهُوَ عَنْ قَصْدِ))
أَقُوْلُ لَعَمْرِيْ قَدْ تُجَارِيْ بِكَ الهَوَى   إِلَى جَحْدِ مَعْلُوْمٍ مِنَ الدِّيْنِ مُسْتَبْدِ
وَيَعْلَمُ هَذَا بِالضَّرُوْرَةِ أَنَّهُ   بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ كُلِّ مُسْتَهْدِ
وَأَوْرَدْتَ هَمْطًا لَا يَسُوْغُ لِعَالِمٍ   حِكَايَتُهُ فِيْ شَرْحِ مَنْظُوْمِكَ الْمُرْدِيْ
وَتَنْقُضُ مَا أَبْرَمْتَهُ بِتَهَوُّرٍ   يَعُوْدُ عَلَى مَا قُلْتَ بِالرَّدِّ وَالهَدِّ
وَحَقَّقْتَ فِيْ المُخْتَارِ مَا قَالَ شَيْخُنَا   بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ كُلِّ ذِيْ نَقْدِ
عَلَى كُفْرِهِ لَمَّا تَنَبَّأَ وَبَعْدَهُ   تَنَاقَضَ مَا حَقَّقْتَ بِالهَدِّ وَالرَّدِّ
عَلَى أَنَّ ذَا الإِجْمَاعَ عَنْ مِثْلِ مُصْعَبٍ   وَكَابْنِ الزُّبَيْرِ الفَاضِلِ العَلَمِ الفَرْدِ

وَكَالفَاجِرِ الحَجَاجِ مَنْ كَانَ ظَالِمًا ... وَعَبْدِالمَلِكِ الشَّهْمِ ذِيْ العِلْمِ وَالمَجْدِ
وَأَنَّ أُوْلَاءِ القَوْمِ لَيْسُوا بِحُجَّةٍ ... وَلَيْسُوا ذَوِيْ عِلْمٍ وَلَيْسُوا ذَوِيْ رُشْدِ
وَطَلَّابُ مُلْكٍ لَا لِدِيْنٍ وَلَا هُدَى ... وَأَرْبَابُ دَوْلَاتٍ وَدُنْيَا ذَوِيْ حِقْدِ
فَعَنْ مِثْلِهِمْ لَا يَسْتَجِيْزُ مُحَقِّقٌ ... حِكَايَةَ إِجْمَاعٍ يُقَرَّرُ عَنْ عَمْدِ
فَنَاقَضَ مَا قَدْ قَالَ فِيْ النَّظْمِ أَوَّلًا ... بِمَا قَالَهُ فِيْ الشَّرْحِ بِالهَمْطِ ذَوِيْ اللَّدِّ
وَمَا هَكَذَا يَحْكِيْ ذَوُوْ العِلْمِ وَالهُدَى ... وَلَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ بِمَا يُبْدِيْ
وَأَغْفَلَ ذِكْرَ التَّابِعِيْنَ ذَوِيْ التُّقَى ... خُلَاصَةَ أَهْلِ العِلْمِ فِيْ الحِلِّ وَالعَقْدِ
لِيُوْهِمَ ذَا جَهْلٍ غَبِيًّا بِأَنَّمَا ... حِكَايَةَ إِجْمَاعِ الأَئِمَّةِ لَا يُجْدِي
فَقُلْ لِلْغَبِيِّ الفَدْمِ لَوْ كُنْتَ مُنْصِفًا ... خَلِيًّا مِنْ الأَغْرَاضِ وَالغِلِّ وَالحِقْدِ
لَمَا حِدْتَ عَنْ نَهْجِ الأَئِمَةِ كُلِّهِمْ ... وَجِئْتَ بِهَذْرٍ لَا يُفِيْدُ لَدَى النَّقْدِ
وَوَاللهِ مَا أَدْرِيْ عَلَامَ نَسَبْتَ مَا ... تُلَفِقُهُ مِنْ جَهْلِكَ الفَاضِحَ المُرْدِيْ
إِلَى الشَّيْخِ وَالشَّيْخُ المُحَقِقُ لَمْ يَقُلْ ... بِإِجْمَاعِ أَعْيَانِ المُلُوْكِ وَلَا الجُنْدِ
وَلَكِنْ حَكَى إِجْمَاعَ كُلِّ مُحَقِّقٍ ... مِنَ السَّلَفِ المَاضِيْنَ مِنْ كُلِّ ذِيْ مَجْدِ
كَمَا هُوَ مَعْلُوْمٌ لَدَى كُلِّ عَالِمٍ ... وَلَوْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ لَأَنْصَفْتَ فِي الرَّدِّ
وَقَوْلُكَ فِيْ الجَعْدِ بْنِ دِرْهَمَ إِنَّهُ ... عَلَى قَتْلِهِ لَم يُجْمِعِ النَّاسَ عَنْ قَصْدِ
فَذَا فِرْيَةٌ لَا يَمْتَرِيْ فِيْهِ عَارِفٌ ... وَفِيْهِ مِنَ الإِغْضَاءِ مَا لَيْسَ بِالمَجْدِيْ
عَلَى خَالِدِ القِسْرِيِّ إِذْ كَانَ عَامِلًا ... لِمَرْوَانَ هَذَا قَوْلُ مَنْ لَيْسَ ذَا نَقْدِ
فَإِجْمَاعُ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ بَعْدِ قَتْلِهِ ... عَلَى أَنَّهُ مُسْتَوْجِبٌ ذَاكَ بِالحَدِّ
وَقَدْ شَكَرُوْا هَذَا الصَّنِيْعَ لِخَالِدٍ ... كَمَا هُوَ مَعْلُوْمٌ لَدَى كُلِّ مُسْتَهْدِ
وَمَا أَحَدٌ فِيْ عَصْرِ خَالِدِ لَمْ يَكُنْ يَرَى ... قَتْلَهُ بَلْ قَرَّرُوْا ذَاكَ عَنْ قَصْدِ

وَأَحْسَنُ قَصْدٍ رَامَهُ خَالِدُ الرِّضَى ... بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ ذِيْ العَرْشِ وَالمَجْدِ
وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ القَيِّمِ الثِّقَةُ الرِّضَى ... عَلَى ذَاكَ إِجْمَاعَ الهُدَاةِ ذَوِيْ الرُّشْدِ
وَذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ عَالِمٍ ... فَقَدْ قَالَ بِالكُفْرِ الصَّرِيْحِ عَلَى عَمْدِ
وَأَظْهَرَ هَذَا القَوْلَ بَلْ كَانَ دَاعِيًا ... وَلَا شَكَّ فِيْ تَكْفِيْرِهِ عَنْ ذَوِيْ النَّقْدِ
فَدَعْنَا مِنَ التَّمْوِيْهِ فَالحَقُّ وَاضِحٌ ... وَإِجْمَاعُ أَهْلِ العِلْمِ كَالشَّمْسِ مُسْتَبِدِ
وَمَا كَانَ قَصْدًا سَيِّئًا قَتْلُ خَالِدٍ ... لِجَعْدٍ عَدُوِّ اللهِ ذِيْ الكُفْرِ وَالجَحْدِ
كَمَا قُلْتَهُ ظَنًّا وَإِفْكًا وَفِرْيَةً ... عَلَى أَنَّهُ قَدْ غَارَ للهِ مِنْ جَعْدِ
فَنَالَ بِهِ شُكْرًا وَفَوْزًا وَرِفْعَةً ... فَنَرْجُوْ لَهُ الزُّلْفَى إِلَى جَنَّةِ الخُلْدِ

(ص ١١)

قال المعترض في شرحه: فمن العجب استدلاله بقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي[١]، وأنه أجمع التابعون مع بقية الصحابة على قتله، ووجه التّعجب من أن المختار طالب ملك، فغلب على الكوفة ونواحيها، وكان عبدالله بن الزبير[٢] قد ادعى الخلافة لنفسه بمكة، وغلب على الحجاز واليمن، وبعث أخاه مصعبًا[٣] إلى العراق؛ ليأخذها له فقتل مصعب بن الزبير المختار بن أبي عبيد، كما قتل بعد ذلك عبدالملك مصعب بن الزبير[٤]، وقتل الحجاج[٥] عبدالله بن الزبير، فهؤلاء أقوام طلاب ملك

---

(١) تقدم التعريف به.

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، أحد العبادلة الأربعة، وأبوه حواري رسول الله ﷺ وأمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين. انظر «الإصابة» (٤٧٠٠).

(٣) هو مصعب بن الزبير بن العوام أمير العراقيين، قال الذهبي: كان فارسًا شجاعًا، حارب المختار وقتله، وأمه هي: الرباب بنت أنيف الكلبية، وكان يسمى من سخائه (آنية النحل) ولا رواية له، قتل رَحِمَهُ اللَّهُ يوم نصف جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين، وله أربعون سنة. اهـ. بتصرف «السير» (٤/ ١٤٠-١٤٣).

(٤) يعني: ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو الوليد، ذكره الذهبي في «السير»: وقال: ذكرته لغزارة علمه كان من رجال الدهر ودهاة الرجال وكان الحجاج من ذنوبه، توفي في شوال سنة ست وثمانين عن نيف وستين سنة. انظر «السير» (٤/ ٢٤٦-٢٤٩).

(٥) هو الحجاج بن يوسف، قال الذهبي في «السير» (٤/ ٣٤٣): أهلكه الله في رمضان سنة خمس وتسعين =

ودنيا، ولا يستدل بأفعالهم عاقل، ولا يقال في أفعالهم أجمع الناس على فلان منهم، وإلا لزمه أن أجمع الناس على قتل عبدالله بن الزبير، بل هؤلاء أقوام يسفكون الدماء لطلب الملك، فأفعالهم دولية، فليس لعاقل ولا عالم أن يجعل أفعالهم قدوة إلى آخره.

(والجواب أن يقال): قد ثبت إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عبيد، ومن اتبعه، ووافقت في النظم على إجماعهم على كفره وقتله، ثم نقضتُ ذلك في الشرح، تعجب غير متعجب ولا قول مصيب؛ وذلك أن المختار طالب ملك فغلب على الكوفة ونواحيها، وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهما على زعمك طالب ملك، فبعث أخاه مصعبًا إلى الكوفة فأخذها، وقتل المختار بن أبي عبيد، ومراد هذا الجاهل المركب، أن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما لم يقتل المختار لأجل كفره، ولأجل أنه ادعى النبوة، وإنما قتله لأجل طلب الملك، وهذا كذب وافتراء، وقلة حياء.

وملخص القصة في ذلك: أنه لما مات معاوية بن يزيد، ولم يستخلف أحدًا فتغلب على الحجاز عبدالله بن الزبير، وعلى دمشق وأعمالها مروان بن الحكم، وبايع أهل خرسان سالم بن زياد، حتى يتولى على الناس خليفة، وبايع أهل البصرة عبدالله بن الحارث بن نوفل المعروف ببسة، وأمه هند بنت أبي شعيب، فأقام فيهم أربعة أشهر ثم لزم بيته، ثم خرج نجدة بن عامر الحنفي باليمامة، وخرج بنو محوز في الأهواز وفارس وغير ذلك، ثم استفحل أمر ابن الزبير بالحجاز وما والاها، وبايعه الناس بعد موت يزيد بيعة عامة هناك، واستناب على المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير، وأمره بإجلاء بني أميه، فأجلاهم، فدخلوا إلى الشام، وفيهم مروان بن الحكم، وابنه عبدالملك، ثم بعث أهل البصرة إلى ابن الزبير بعد حروب جرت بينهم، وفتن كثيرة

= كهلًا، وكان ظلومًا، جبارًا، ناصبيًّا، خبيثًا، سفاكًا للدماء. وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن. قد سقت من سوء سيرته في «تاريخي الكبير»، وحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله. فنسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله. فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه. وأمره إلى الله. وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء.

منتشرة يطول استقصاؤها، غير أنهم في أقل من ستة أشهر أقاموا عليهم نحوًا من أربعة أمراء من بينهم، ثم اضطربت أمورهم، ثم بعثوا إلى ابن الزبير وهو بمكة يخطبونه لأنفسهم، فكتب إلى أنس بن مالك ليصلِّ بهم، وبايعه عبدالله بن جعفر، وعبدالله بن علي بن أبي طالب، وبعث إلى ابن عمر، وابن الحنفية، وابن عباس ليبايعوه فأبوا عليه، وبويع في رجب بعد أن أقام الناس نحو ثلاثة أشهر بلا إمام، وبعث ابن الزبير إلى أهل الكوفة عبدالرحمن بن يزيد الأنصاري على الصلاة، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبدالله على الخراج، واستوثق له المصران جميعًا، وأرسل إلى مصر فبايعوه، واستناب عليها عبدالرحمن بن جحد، وأطاعت له الجزيرة، وبعث على البصرة الحارث بن عبدالله بن ربيع، وبعث إلى اليمن فبايعوه، وإلى خراسان فبايعوه، وإلى الضحاك بن قيس بالشام فبايعه، وبايعه النعمان بن بشير بحمص، وبايع له زفر بن عبدالله الكلابي بقنسرين، وبايع له نائل بن قيس بفلسطين، ثم اختلف الأمر على ابن الزبير، واجتمع أهل الشام على مروان، ثم في سنة ست وستين وثب المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب بالكوفة؛ ليأخذ بثأر الحسين بن علي فيما يزعم.

والمقصود أن ابن الزبير قد أعطاه الطاعة، وبايعه عامة أهل مكة، والمدينة واليمن وأكثر العراق، وثبتت له الولاية في التغلب، وبايعه أهل الحل والعقد، ومع ذلك لم يتوقف أحد من أهل العلم عن طاعته والانقياد له فيما تسوغ طاعته فيه، من أركان الإسلام وواجباته، فلما خرج المختار بن أبي عبيد، وادعى أنه يأخذ بثأر الحسين، فاجتمع عليه خلق كثير لذلك، ثم لما ادعى النبوة أرسل إليه عبدالله بن الزبير أخاه مصعبًا في جيش كثيف فقتله[1]، وقد أجمع المسلمون على كفره، ولم ينقل عن أحد من العلماء أنه توقف في كفره وقتله[2]، وإذا أجمع التابعون مع بقية الصحابة على ذلك وقتله أحد الأعيان المشهورين بالفضل والعلم والدين والعبادة، فأي طعن في ذلك على قاتله، وإن كان طالب ملك إذا كان قد خرج عن طاعته، وشق العصا،

(١) انظر: تفاصيل هذه الأحداث في «تاريخ الطبري»، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، و«البداية والنهاية»، وفيات سنة (٦٢) وما بعدها.

(٢) انظر: «السير» (٣/ ٥٣٨ ٥٣٩).

وفارق الجماعة، وادعى مع ذلك النبوة.

وأي طعن على من نقل إجماع العلماء على ذلك، وهو معروف مشهور في كتب أهل العلم، ولا يطعن بهذا إلا جاهل مركب، وله في ذلك شيء من الأغراض النفسانية، والأهواء العصبية، فنعوذ بالله من رين الذنوب وانتكاس القلوب.

وأما قتل عبدالملك بن مروان لمصعب بن الزبير، وقتل الحجاج لعبدالله بن الزبير، فظلم وعدوان، وهؤلاء طلاب ملك ودنيا، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لم يذكر إجماع هؤلاء، إنما ذكر إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار وقتله، فذكر هؤلاء الملوك وإدخالهم في كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، تعنت وتحكم وإيهام، ولبس للحق بالباطل؛ ليوهم من لا معرفة لديه أنه لم يجمع على كفر المختار وقتله إلا هؤلاء الملوك؛ ليتوجه الطعن على الشيخ بذلك، ولا يقول هذا إلا من أعمى الله بصيرة قلبه.

(وأما قوله) : وإلا لزمه أن أجمع الناس على قتل عبدالله بن الزبير.

(جوابه أن يقال): هذا تفريع فاسد على تأصيل باطل، فإن المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة، وزعم أنه يوحى إليه، فأجمع التابعون مع بقية الصحابة على كفره وعلى قتله. وأما عبدالله بن الزبير فهو ابن حواري رسول الله ﷺ وهو من أفضل أهل زمانه، ومن العلماء العاملين. وقد اشتهر بالعلم والدين والصلاح، وله من الفضائل المأثورة والمحامد المشهورة، والعبادة والجهاد في سبيل الله ما لا يحصى ولا يدرك له حد ولا أقصى، فقياس أحدهما على الآخر من أبطل القياس وأفسده؛ لأن المختار مجمع على كفره، وعلى قتله، لادعائه النبوة، وعبدالله بن الزبير قد ثبتت له الولاية بالغلبة، وبايعه أهل الحل والعقد، فقتله الحجاج ظلمًا وعدوانًا، والحجاج من أظلم الناس وأفجرهم، والمختار من أكفر[1] الناس، وقاتله من أفاضل التابعين، فالقياس فاسد، والاعتبار كاسد، والله المستعان.

وأما قول المعترض: المخلط الذي لم يأت الأمر من بابه، ولا أقر الحق في نصابه، إذ لا فكرة ثاقبة، ولا رواية صائبة وقولنا لا كما قلت في الجعد إشارة إلى قوله في

(١) في الأصل: من كفر الناس.

رسالته أنه أجمع التابعون ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم، هذا كلامه في رسالته فادعى الإجماع على قتل جعد كما ادعاه على قتل المختار وهو كله باطل فإنه لم يجمع المسلمون على قتل الجعد.

(**فالجواب أن يقال لهذا**) **الجاهل الأحمق**: نعم ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته إجماع التابعين ومن بعدهم، على كفر الجعد بن درهم وقتله، كما ذكر ذلك أهل العلم، وادعى الإجماع على ذلك كما ادعاه على كفر المختار بن أبي عبيد وقتله، ولا يشك في ذلك من له أدنى إلمام بإجماع العلماء وما قاله أهل العلم في ذلك، ودعواه أن هذا باطل كلام من لا يعقل ما يقول، فهلا ذكر أحدًا من العلماء قال ذلك، وأنكره ولن يجد إلى ذلك سبيلًا، ولو قال ذلك أحد كان قوله مردودًا مخالفًا لما أجمع عليه أئمة السلف رحمهم الله، وقد ذكر [إجماع][1] أهل السنة على قتل الجعد وعلى كفره شمس الدين بن قيم الجوزية، وقد ذكرت في نظمك أنه الأوحد الذي أتى بنفيس القول في كل ما يبدي، فمن نفيس ما يبدي رحمه الله تعالى في قوله: في «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»[2]:

وَلِأَجْلِ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدٌ[3] الـ قِسْرِيُّ يَوْمَ ذَبَائِحِ القُرْبَانِ

---

(١) ساقطة من (الأصل): والسياق يقتضي إثباتها.

(٢) (صـ ٢٤) رقم البيت (٥٠-٥٢)، وانظر «شرح الكافية الشافية» لابن عيسى (١/ ٥٥-٥٧).

(٣) قصة قتل خالد بن عبد الله القسري للجعد بن درهم قصة مشهورة، تناقلها العلماء في كتب التاريخ والعقائد، فممن ذكرها شيخ الإسلام في مواضع من كتبه، من ذلك «منهاج السنة» (١/ ٣٠٩)، و(٥/ ٣٢٢)، ومذكورة في «مجموع فتاويه» (١٢/ ٥٠٤)، وفي «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٢٤٤)، وابن القيم أيضًا في مواضع من كتبه، من ذلك ما سبق في «الكافية الشافية».

وله طريقان الأولى: أخرجها البخاري في «خلق أفعال العباد» (٣)، وفي «التاريخ» (١/ ٦٤) (٣/ ١٥٨)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٣)، و«الرد على بشر» (١/ ٥٨٠)، والخلال في «السنة» (١٦٩٠)، والنجار في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» (٧٢)، والآجري في «الشريعة» (٦٩٤)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٥-٢٠٦)، وفي «الأسماء والصفات» (٥٦٣)، وغيرهم من طرق عن القاسم بن محمد نا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال: شهدت خالد بن عبد الله القسري، وقد خطبهم في يوم أضحى بواسط، فقال: «ارجعوا أيها الناس فضحوا، تقبل الله منكم، فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علوًّا كبيرًا قال: ثم نزل فذبحه» قال أبو رجاء - قتيبة بن سعيد -: وكان =

إِذْ قَــالَ إِبْـرَاهِيْمُ لَـيْسَ خَلِيْلُـهُ ... كَــلَّا وَلَا مُوسَــى الكَلِـيْمُ الـدَّانِ
شَـكَرَ الـضَّحِيَّةَ كُـلُّ صَـاحِبِ سُـنَّةٍ ... للهِ دَرُّكَ مِــنْ أَخِــيْ قُرْبَــانِ

فذكر رَحِمَهُ اللهُ إجماع أهل السنة على استحسان قتل خالد للجعد، وأن جميع أهل السنة شكروه على هذا الصنيع، وأخبر أن قتله لأجل أنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، فقتله لأجل ذلك، لا لأجل شيء من المقاصد التي يرميه بها من قل نصيبه من العلم والدين، وأنه إنما قتله لغير ذلك من المقاصد السيئة، وإذا أجمع أهل السنة على قتله، فماذا عسى أن يكون قاتله من عمال بني أمية أو من غيرهم إذا حسن قصده؟ والحامل على ذلك الغيرة لله، من كفر هذا الملحد المفتري على الله، فليس علينا من تحامل هذا المعترض، إذ جعل ذلك مطعنًا بأن قاتله قد كان عامل مروان، فإن هذا لا يذكره من له علم وفضل ودين.

وحاشا لله أن يكون هذا الكلام الساقط المتناقض كلام الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني؛ فإنه لا يليق بمنصبه وجلالته وإمامته في الدين وعلو قدره.

وأما ما ذكره من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه -، في «المنهاج»[1] من حال الجعد بن درهم، وقتل خالد له، فقد ذكر في «الرسالة الحموية»[2] أن أصل

= الجهم يأخذ هذا الكلام من الجعد بن درهم. هذا لفظ البيهقي.

وعبد الرحمن بن محمد، قال الذهبي: لا يعرف، وقال الحافظ: مقبول، وأبوه محمد بن أبي حبيب هو الجرمي، قال أبو حاتم: لا أعرفه، ونقل الذهبي عن ابن منده أنه جهله، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وجده هو حبيب بن أبي حبيب واسمه يزيد الجرمي البصري الأنماطي قال يحيى القطان: كان رجلًا من التجار، ولم يكن في الحديث بذاك، وقال الذهبي: فيه لين.

الثانية: قال الذهبي في «العلو» (١/ ٣٣٠) قرأت في كتاب «الرد على الجهمية» لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي صاحب التصانيف: حدثنا عيسى بن أبي عمران الرملي، نا أيوب بن سويد، عن السري بن يحيى قال: خطبنا خالد القسري وقال: انصرفوا إلى ضحاياكم فإني مضح بالجعد... وذكر القصة.

وفي سنده عيسى بن أبي عمران قال أبو حاتم: يدل حديثه على أنه غير صدوق، قال ابن أبي حاتم: فتركت حديثه.

وأيوب بن سويد متروك قال ابن معين: ليس بشيء يسرق الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة، وضعفه أحمد.

(١) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٣٠٨-٣٠٩).

(٢) «الفتوى الحموية الكبرى» (ص ٢٤٣-٢٤٨).

مقالة التعطيل إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين؛ فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام من أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس على العرش حقيقة، وإنما استوى بمعنى استولى ونحو ذلك، أول ما ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم[١]، وأخذها عنه الجهم بن صفوان[٢]، وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه، وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان[٣]، وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر[٤]، الذي سحر النبي ﷺ، وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل: من أرض حران، وكان قبلهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود والكنعانيين، الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم... إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولم يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لم يجمع الناس على قتله، كما ذكر هذا المعترض، بل قرره وذكر أنه أول من أظهر مقالة التعطيل، وأنه إنما أخذ هذه المقالة من اليهود والفلاسفة والصابئين، فما وجه الاستدلال بكلام شيخ الإسلام على ما يدعيه، من عدم الإجماع على قتله، وشيخ الإسلام لم يذكر ما يدل على مطلوبه، بل ذكر ما يناقضه ويدل على كفره، ووجوب قتله، اللهم إلا ما استراح إليه هذا المعترض من كلام شيخ الإسلام، من أن الجعد كان معلم مروان، فكان ماذا؟! وهذا لا يستدل به عاقل فضلًا عن العالم، والله المستعان.

(ت ١٢) (وأما قوله): فهذا الذي قتل الجعد عامل من عمال بني أمية، قتله من غير مشاورة عالم من علماء الدين، فكيف يقول ابن عبدالوهاب أنه قتل بإجماع التابعين؟ فأين الحياء من رب العالمين في نسبة الإجماع لهذا الفعل إلى التابعين؟ وهو فعل عامل من عمال الجبارين؟

(١) وهو من الموالي، أصله من خرسان، كان مؤدبًا لمروان الحمار، وكان ضالًا، بلغ من الضلال عتيًا. انظر «اللسان» و«السير» (٥/ ٤٣٣).

(٢) أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي، هو رأس الجهمية، وإليه تنسب، قُتِلَ لا / في سنة (١٢٨) على يد سلم بن أحوز نائب مرو. انظر: «اللسان»، و«السير» (٦/ ٢٦).

(٣) المعروف بيان بن سمعان. انظر «اللسان» لابن حجر و«منهاج السنة» لابن تيمية (٢/ ٥٠٢-٥٠٣).

(٤) الذي سحر النبي ﷺ. انظر: «الفتح» شرح حديث (٥٧٦٣)، ومسلم حديث (٢١٨٩).

(والجواب أن يقال): لهذا الجاهل الذي ينطق بما لا يعقل، قد كان خالد بن عبدالله القسري من عمال بني أمية، وقد غضب لله، وغار من كفر عدو الله الجعد بن درهم؛ حيث زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولا كلم موسى تكليمًا، فقتله غضبًا لله، وغِيْرَةً وحمية، فأقره على ذلك، وشكره عليه جميع أهل السنة، فكان إجماعًا، ولا يلزم من ذكر الإجماع على مسألة أو قضية أو فتوى، أن يبعث إلى جميع الأمة ويشاورهُمْ على فعلها، ولا يكون إجماعًا إلا ما كان كذلك، وهذا لم يقله أحد من العلماء، بل الذي ذكر أهل العلم أن الصحابي، أو الواحد من العلماء، إذا قال قولًا، أو قضى بقضيته، فانتشرت وظهرت، ولم يكن لها مخالف من الصحابة، أو فعل ذلك أحد من التابعين، ولم يعرف له مخالف، أن ذلك إجماع[١]، وقد اشتهر قتل خالد بن عبدالله القسري لجعد عدو الله، ولم ينكره أحد من التابعين، ولا من بعدهم من العلماء، ولم يعرف في ذلك مخالف، فكان إجماعًا[٢]، والطرق التي يعرف بها الإجماع القطعي معروفة عند أهل العلم، مقررة في محلها، لا تخفى على مثل شيخنا، فإذا احتج بالإجماع قبل منه وأخذ عنه؛ فإن القول ما قالت حذام[٣]، ولا يقدح في مثل حكاية الإجماع على قتل الجعد إلا رَجُلٌ مغموصٌ بالنفاق، قد غاظه وأمرضه ما فعل أمراء الإسلام، من قتل أعداء الله ورسوله، وقد أقره على ذلك، وشكره عامة علماء أهل السنة.

وأما تعليله (بأنه من عمال الجبارين) فهو تعليل بارد.

وأما علم هذا المفتون أن أكثر ولاة أهل الإسلام، من عهد يزيد بن معاوية حاشا عمر بن عبدالعزيز وما شاء الله من بني أمية قد وقع منهم ما وقع من الجرأة والحوادث العظام والخروج والفساد في ولاية أهل الإسلام، ومع ذلك فسيرة الأئمة

(١) وهو ما يسمى في كتب الأصول بالإجماع السكوتي، وقد قال بحجيته جمع من أهل العلم منهم أحمد وبعض الشافعية كأبي إسحاق الإسفرائيني، وأكثر الحنفية، والسرخسي والنسفي. انظر «مختصر» ابن اللحام (صـ٧٧)، وكشف «الأسرار على أصول البزدوي» (/ ٢٢٩)، و«أصول السرخسي» (١/ ٣٠٣)، و«كشف الأسرار» للنسفي (٢/ ١٨٠).

(٢) ولما قتل سعيد بن جبير تألم الناس وأنكروا ذلك الفعل، دل ذلك على أن سكوتهم فيما سواه ممن قتل رضا بذلك والله أعلم.

(٣) في (الأصل): حزام. والصواب المثبت.

الأعلام والسادة العظام معروفة مشهورة لا ينزعون يدًا من طاعتهم فيما أمر الله به ورسوله من شرائع الإسلام، وواجبات الدين.

وأضرب لك مثلًا بالحجاج بن يوسف الثقفي(١)، وقد اشتهر أمره في الأمة بالظلم والغشم والإسراف في سفك الدماء، وانتهاك حرمات الله، وقتل من قتل من سادات الأمة كسعيد بن جبير، وحاصر ابن الزبير(٢)، وقد عاذ بالحرم الشريف، واستباح الحرمة، وقتل ابن الزبير، مع أن ابن الزبير قد أعطاه الطاعة، وبايعه أهل مكة والمدينة واليمن، وأكثر سواد العراق، والحجاج نائب عن مروان، ثم عن ولده عبدالملك، ولم يعهد أحد من الخلفاء إلى مروان، ولم يبايعه أهل الحل والعقد، ومع ذلك لم يتوقف أحد من أهل العلم في طاعته والانقياد له، فيما يسوغ طاعته فيه من أركان الإسلام وواجباته، وكان ابن عمر ومن أدرك الحجاج من أصحاب رسول الله ﷺ لا ينازعونه ولا يمتنعون من طاعته، فيما يقوم به الإسلام، ويكمل به الإيمان، وكذلك من في زمانه من التابعين: كابن المسيب(٣)، والحسن البصري(٤)، وابن سيرين(٥)، وإبراهيم التيمي(٦)، وأشباههم ونظرائهم من سادات الأمة، واستمر العمل على هذا بين علماء

(١) سبق ترجمته.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) سعيد هو ابن المسيب بن حزن بن أبي وهب أو محمد القرشي المخزومي الثقة الجليل، سيد التابعين، ولد لسنتين، وقيل: لأربع سنين مضت من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مات على الصحيح في سنة (٩٤)، انظر «التهذيب» و«السير» (٤/ ٢١٧) وما بعدها.

(٤) الحسن البصري هو ابن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، ولد لسنتين بقين من خلافة عمر، واسم أمه خيرة، وكان سيد أهل زمانه ثقةً، وعلمًا، وعملًا، قال الذهبي: ما عاش محمد بن سيرين بعد الحسن إلا مائة يوم. اهـ. مات في أول رجب من سنة (١١٠) انظر «التهذيب»، و«السير» (٤/ ٥٦٣- وما بعدها).

(٥) وهو محمد بن سيرين أبو بكر البصري، كان أبوه من سبي جرجرايا تملكه أنس بن مالك رضي الله عنه، ثم كاتبه على ألوف من المال فوفاه، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وكان رحمه الله إمامًا ثابتًا جليلًا في العلم والعمل والسنة، وتوفي بعد الحسن بمائة يوم سنة (١١٠). انظر: «التهذيب»، و«السير» (٤/ ٦٠٦- وما بعدها).

(٦) إبراهيم هو ابن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران، كان إمامًا حافظًا كبير الشأن كثير

الأمة، وأئمتها، يأمرون بطاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيله، مع كل إمام برٍّ وفاجر، كما هو معروف في كتب أصول الدين والعقائد.

وكذلك بنو العباس استولوا على بلاد المسلمين قهرًا بالسيف، لم يساعدهم أحد من أهل العلم والدين، فقتلوا خلقًا كثيرًا وجمًّا غفيرًا من بني أمية وأمرائهم ونوابهم، وقتلوا ابن هبيرة أمير العراق، وقتلوا الخليفة مروان، حتى نقل أن السفاح قتل في يوم واحد ثمانين من بني أمية، ووضع الفرش على جثثهم، وجلس عليها ودعا بالمطاعم والمشارب، ومع ذلك فسيرة الأئمة كالأوزاعي(١)، ومالك(٢)، والزهري(٣)، والليث بن سعد(٤)، وعطاء بن أبي رباح(٥)، مع هؤلاء الملوك لا تخفى على من له

= المحاسن، قال العجلي: لم يحدث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ وقد أدرك منهم جماعة، ورأى عائشة. توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (٩٦). انظر: «التهذيب» و«السير» (٤/ ٥٢٠).

(١) الأوزاعي: هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو الأوزاعي كان يسكن بمحلة الأوزاع بدمشق، ولد ببعلبك في حياة بعض الصحابة سنة (٨٨)، وكان من الأخيار الفضلاء علماء الحديث والفقه، وتوفي ببيروت في شهر رجب من سنة (١٥٩)، انظر «التهذيب» و«السير» (٧/ ١٠٧- وما بعدها).

(٢) مالك: هو ابن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث أبو عبد الله الأصبحي المدني، وأمه هي عالية بنت شريك الأزدية، ولد على الأصح في سنة (٩٣) في العام الذي مات فيه أنس بن مالك رضي الله عنه، وطلب العلم وصار إمامًا من أئمة المسلمين، تأهل للفتيا وجلس للإفادة وله (٢١) عامًا وكان له جلالة وتعظيم بين الناس، قال مصعب بن عبد الله فيه:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة	**والسائلون نواكس الأذقان**
عز الوقار ونور سلطان التقى	**فهو المهاب وليس ذا سلطان**

وعمَّر رَحِمَهُ اللهُ (٨٩) سنة، وتوفي سنة (١٧٩)، انظر: «التهذيب» و«السير» (٨/ ٤٣- وما بعدها).

(٣) الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب أبو بكر القرشي الزهري تابعي إمام جليل متفق على جلالته وإتقانه، توفي في السابع عشر من رمضان من سنة (١٢٤). انظر: «التهذيب» و«السير» (٥/ ٣٢٦- وما بعدها).

(٤) والليث هو ابن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمي. ولد في مصر سنة (٩٤) وكان إمامًا حافظًا فقيهًا محدثًا، توفي في شعبان سنة (١٧٥). انظر: «التهذيب» و«السير» (٨/ ١٢٢).

(٥) وعطاء بن أبي رباح هو ابن أسلم أبو محمد القرشي مولاهم، كان من مولدي الجند، بمحافظة تعز من اليمن ونشأ بمكة في أثناء خلافة عثمان، وكان ثقة إمامًا مفتيًا للحرم عاش (٨٨) عامًا، وتوفي سنة (١١٤). انظر: «التهذيب» و«السير» (٥/ ٧٨).

مشاركة في العلم والاطلاع.

والطبقة الثانية من أهل العلم: كأحمد بن حنبل[1]، ومحمد بن إسماعيل (البخاري)، ومحمد بن إدريس (الشافعي)[2]، وأحمد بن نوح، وإسحاق بن راهويه[3]، وإخوانهم وقع في عصرهم من الملوك ما وقع من البدع العظام، وإنكار الصفات، ودعوا إلى ذلك، وامتحنوا فيه، فقتل من قتل: كمحمد بن نصر، ومع ذلك فلا يعلم أن أحدًا منهم نزع يدًا من طاعة ولا رأى الخروج.

والمقصود أنه إذا فعل من عمال هؤلاء الملوك الظلمة أمرًا يحبه الله ورسوله، يجب على كل مسلم إعانته عليه، وحضّه على فعل ما أمر الله به ورسوله، وكان فيه إعزاز الإسلام وأهله، وقمع الشِّرك وأهله، ومحقُ آثار البدع وأهلها ومن أحدثها؛ فإنه لا يعابُ على فعل ما أمر الله به ورسوله؛ لكونه عاملًا من عمال الظلمة الجبَّارين، فكيف إذا أقره على ذلك كافة علماء السنة، وشكروه على هذا الصَّنيع؟! فلا يعيب بهذا إلا رجل جاهل، لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم، ولا يعيب على الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنقل إجماع أهل السنة على ذلك إلا معتوه، مصاب في عقله مغموص بالنفاق والله المستعان.

[مسائل في الإجماع]

(وأما قوله): فلذلك قلنا:

فَذَلِكَ لَمْ يُجْمَعْ عَلَى قَتْلِهِ وَلَا سِوَى ... خَالِدِ ضَحَّى بِهِ وَهُوَ عَنْ قَصْدِ

---

(١) أحمد هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، أبو عبد الله الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، قال الذهبي: هو الإمام حقًّا وشيخ الإسلام صدقًا. اهـ. ولد في ربيع أول سنة أربع وستين ومائة، وتوفي سنة (٢٤١). انظر: «التهذيب»، و«السير» (١١/ ١٧٧ - وما بعدها).

(٢) والشافعي هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب أبو عبدالله القرشي ثم المطلبي المكي غزي المولد.
قال الذهبي: الإمام عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة. اهـ. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة آخر يوم من رجب ودفناه يوم الجمعة، فانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة أربعة ومائتين. انظر: «السير» (١٠/ ٥ - وما بعدها).

(٣) ابن راهويه هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم التميمي ثم الحنظلي المروزي نزيل نيسابور، ولد في سنة إحدى وستين ومائة. يعني: قبل مولد أحمد بثلاث سنين. وتوفي سنة (٢٣٨). انظر: «السير» (١١/ ٣٥٨ وما بعدها).

على أن ابن عبدالوهاب خالف إمامه الإمام أحمد بن حنبل، في دعوى الإجماع؛ فإن أحمد يقول: من ادعى الإجماع فهو كاذب[1]؛ ولذلك قلنا:

وَقَـدْ أَنْكَـرَ الإِجْـمَاعَ أَحْمَـدُ قَـائِلًا ... لِمَـنْ يَدَّعِيـهِ قَـدْ كَـذَبْتَ بِـلَا جَحْـدِ

رَوَى ذَلِـكَ ابْـنُ القَـيِّمَ الأَوْحَـدُ الـذَي ... أَتَى بِنَفِيْسِ العِلْـمِ فِـي كُـلِّ مَـا يُبْـدِي

(فالجواب) أن يقال:

وَدَعْـوَاكَ فِـيْ الإِجْـمَاعِ إِنْكَـارُ أَحْمَـدَ ... فَـذَاكَ لِأَمْـرٍ قَـدْ عَنَـاهُ مِـنَ الـضِّدِّ

يَــرَوْنَ أُمُــوْرًا مُحْــدَثَاتٍ وَيَــذْكُرُوْا ... عَلَى ذَلِـكَ الإِجْـمَاعِ مِـنْ غَيْـرِ مَـا نَقْـدِ

فَـأَنْكَرَهُ لَا مُطْلَقًـا فَهُــوَ قَـدْ حَكَـى ... عَلَى بَعْضِ مَا يَرْوِيْهِ إِجْمَاعَ مَـنْ يَهْـدِيْ

كَـمَا ذَكَـرَ ابْـنُ القَـيِّمِ الأَوْحَـدُ الـذِّيْ ... أَتَى بِنَفِيْسِ العِلْـمِ فِـيْ كُـلِّ مَـا يُبْـدِيْ

(١) ليس المراد نفي وجود الإجماع بالكلية ففي: «المسودة» (٢/ ٦١٧-٦١٩) بعد ذكره لنصوص أحمد في نفي الإجماع، قال القاضي: وظاهر هذا الكلام أنه قد منع صحة الإجماع، وليس هذا على ظاهره، وإنما قال هذا على طريق الورع، لجواز أن يكون هناك خلاف لم يبلغه، أو قال هذا في حق ما ليس له معرفة، بخلاف السلف؛ لأنه قد أطلق القول بصحة الإجماع في رواية عبدالله وأبي الحارث، وادعى الإجماع في رواية الحسن بن ثواب، فقال: أذهب في التكبير من غداة يوم عرفة، إلى آخر أيام التشريق، فقيل له: إلى أي شيء تذهب؟ فقال: بالإجماع، عمر، وعلي، وعبدالله بن مسعود، وعبد الله بن عباس. قال شيخنا قلت: الذي أنكره الإمام أحمد، دعوى إجماع المخالفين بعد الصحابة، أو بعدهم وبعد التابعين، أو بعد القرون الثلاثة المحمودة، ولا يكاد يوجد في كلامه احتجاج بإجماع بعد عصر التابعين، أو بعد القرون الثلاثة مع أن صغار التابعين أدركوا القرن الثالث، وكلامه في إجماع كل عصر إنما هو في التابعين، ثم هذا منه نية عن دعوى الإجماع العام النطقي، وهو كما قال: الإجماع السكوتي أو إجماع الجمهور من غير علم بالمخالفة، فإنه قال في القراءة خلف الإمام، ادعى الإجماع في نزول الآية، وفي عدم الوجوب في صلاة الجهر، وإنما فقهاء المتكلمين، كالمريسي، والأصم يدعون الإجماع ولا يعرفون إلا قول أبي حنيفة ومالك ونحوهما، ولا يعلمون أقوال الصحابة والتابعين، وقد ادعى الإجماع في مسائل الفقه غير واحد من مالك، ومحمد بن الحسن، والشافعي وأبي عبيد في مسائل، وفيها خلاف لم يطلعوه، وقد جاء الاعتماد على الكتاب والسنة والإجماع في كلام عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود، وغيرهما، حيث يقول كل منهما: أقضي بما في كتاب الله، فإن لم يكن فبما في سنة رسول الله، فإن لم يكن فبما أجمع عليه الصالحون، وفي لفظ: بما قضى به الصالحون، وفي لفظ: بما أجمع عليه الناس، لكن يقتضي تأخير هذا عن الأصلين، وما ذاك إلا لأن هؤلاء لا يخالفون الأصلين.

عَلَى قَتْلِ جَعْدٍ فِيْ قَصِيْدَتِهِ التِيْ ... أَبَانَ بِهَا شَمْسَ الهِدَايَةِ وَالرُّشْدِ
وَفِيْهَا حَكَى الإِجْمَاعَ فِيْ غَيْرِ مَوْضِعٍ ... وَفِيْ غَيْرِهَا مِنْ كُتْبِهِ عَنْ ذَوِيْ النَّقْدِ
وَقَدْ كَانَ مِنْ سَادَاتِ أَصْحَابِ أَحْمَدَ ... وَيُحْكَي مِنَ الإِجْمَاعِ أَقْوَالَ ذِيْ المَجْدِ
وَقَدْ ذَكَرُوا الإِجْمَاعَ بَعْضَ ذَوِيْ النُّهَى ... فَسَلْ عَنْهُ أَهْلَ الإِصَابَةِ مِنْ نَجْدِ (؟)
وَذَلِكَ لَا يَخْفَى لَدَى كُلِّ عَالِمٍ ... فَفِيْ كُتْبِ الإِجْمَاعِ ذَاكَ بِلَا عَدِّ
فَمَا وَجْهُ هَذَا اعْتِرَاضٌ بِنَفْيِهِ ... وَقَدْ كُنَّ مَعْلُوْمًا لَدَى كُلِّ مُسْتَهْدِ

قال الشارح لأبياته: قال محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، في كتابه «أعلام الموقعين» في الجزء الأول، في أثناء كلامه: وصار من لا يعرف الخلاف من المقلدين، إذا احتج عليه بالقرآن والسنة، قال: هذا خلاف الإجماع، وهذا هو الذي أنكره أئمة الإسلام، وعابوا من ناحية على من ارتكبه وكذبوا من ادعاه، فقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبدالله: من ادعى الإجماع فهو كاذب[1]. انتهى بألفاظه.

وهذا ينقله أحد الأئمة من أهل أصول الفقه، فنقله ابن الحاجب في «مختصر المنتهى» وغيره[2]، وقال ابن حزم في شرحه «المحلى»: أن من ادعى الإحاطة بالإجماع كذب، وإذا عرفت هذا عرفت أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كذَّب بنص إمامه.

(والجواب أن يقال): لهذا الجاهل الإجماع الذي نفاه الإمام أحمد وكذب من ادعاه: الإجماع الذي يدعيه أهل البدع، مما يخالف الكتاب والسنة، فأما ما وافق الكتاب والسنة فحاشا وكلا؛ كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فيما نقله عنه، حيث قال: وصار من لا يعرف الخلاف من المقلدين إذا احتج عليه بالكتاب والسنة قال: هذا خلاف الإجماع. وهذا هو الذي أنكره أئمة الإسلام وعابوه من كل ناحية على من ارتكبه وكذبوا من ادعاه.

فأي دليل فيما نقلته على من يحكي إجماع أهل السنة والجماعة، وإنما عابوا

---

(١) «أعلام الموقعين» (١/ ٣٠).

(٢) «مختصر ابن الحاجب مع رفع الحاجب» لعبد الوهاب السبكي (٢/ ١٤٤).

وكذبوا دعوى من ادعى ما يخالف الكتاب والسنة، وقد كان من المعلوم بالضرورة أن أهل العلم والأئمة الراسخين يحكون ويحتجون به لأنفسهم، وينصرون به أقوالهم، وقد جمع ابن هبيرة[١]، وابن حزم[٢] مسائل الإجماع مرتبة على أبواب الفقه، وحكوها من أنفسهم لأنفسهم، وفي كتب الفقه كـ«الإقناع»، و«المغني»[٣]، و«الفروع»، و«المقنع»، من ذكر الإجماع والاحتجاج (به) ما لا يخفى على صغار الطلبة، والطرق التي يعرف بها الإجماع القطعي معروفة عند أهل العلم، مقررة في محلها، لا تخفى على مثل شيخنا، فإذا احتج بالإجماع قبل منه، وأخذ عنه؛ فإن القول ما قالت حذام[٤].

ومن الطرق التي يعرف بها الإجماع كون الحكم معلومًا بالضرورة من دين الإسلام، فإذا عرفت هذا، علمت يقينًا أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يخالف إمامه؛ لأن نص إمامه أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ فيمن حكى إجماعًا يخالف الكتاب والسنة، وقد حكى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ الإجماع على أن هذه الآية وهي قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤] إنها نزلت في الصلاة، وحكى ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «أعلام الموقعين»[٥] قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد، كائنًا من كان، وقد

---

(١) هو الوزير الفاضل: يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة أبو المظفر الشيباني، توفي سنة (٥٦٠) وكتابه أصله أنه مقدمة لكتابه «الإفصاح عن معاني الصحاح» ثم طبع مفردًا في مجلدين، واعتنى فيه بما أجمع عليه الأئمة الأربعة، وما اختلفوا فيه. انظر ترجمته في «السير» و«وفيات الأعيان» (٣/ ٣١٥). طبع إحياء التراث.

(٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم يصل نسبه إلى يزيد بن أبيه أبي سفيان بن حرب. توفي سنة (٤٥٦)، انظر عنه «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٨٤-٢١١).

(٣) وقد جُمِعَتْ الإجماعات من المغني في كتاب سماه جامعه «البرق اللماع فيما في المغني من اتفاق وافتراق وإجماع» وجمع الإجماعات الإمام أبو الحسن بن القطان كتابه «الإقناع في مسائل الإجماع» طبع في مجلدين، وطبع في مجلد ما نقله الإمام ابن عبد البر من إجماعات في كتابه «التمهيد» وأيضًا طبع في مجلد ضخم ما نقله شيخ الإسلام في كتبه من إجماعات وجمع بعض المعاصرين: «الموسوعة في الإجماع» في مجلدات.

(٤) في الأصل: حزام.

(٥) «أعلام الموقعين» (١/ ٧) وكتاب «جماع العلم» للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (صـ١، ٢).

كان من المعلوم عند أهل العلم أن الإجماع هو الأصل الثالث، وأن الأمة لا تجتمع على ضلالة[١].

وما أظن أن هذا الكلام يصدر من مثل الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن هذا الكلام الذي نقله عن ابن القيم في «الإعلام» لا يدل على ما ادعاه من نفي الإجماع مطلقًا، فكيف يحتج به هذا الرجل وهو لا يدل على مقصوده بشيء من الدلالات، والله أعلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فصل

[تضمن قتال أهل الردة وهل أجمعوا عليه]

(وأما قوله):

كَدَعْوَاه فِي أَنَّ الصَّحَابَةَ أَجْمَعُوْا ... عَلَى قَتْلِهِمْ وَالسَّبْيَ وَالنَّهْبِ وَالطَّرْدِ
لِمَنْ لِزَكَاةِ المَالِ قَدْ كَانَ مَانِعًا ... وَذَلِكَ مِنْ جَهْلٍ بِصَاحِبِهِ يُرْدِي

فالجواب أن يقال:

وَقَوْلُكَ فِيمَا قَالَهُ الشَّيْخُ حَاكِيًا ... عَلَى ذَلِكَ الإِجْمَاعِ مِنْ غَيْرِ مَا جَحْدِ
(وَذَلِكَ فِيْ أَنَّ الصَّحَابَةَ أَجْمَعُوْا ... عَلَى قَتْلِهِمْ وَالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالطَّرْدِ)
(لِمَنْ لِزَكَاةِ المَالِ قَدْ كَانَ مَانِعًا) ... نَعَمْ قَدْ ذَكَرْنَا فِي الجَوَابِ وَفِيْ الرَّدِّ
جَوَابَكَ عَمَّا قَدْ ذَكَرْتَ مُفَصَّلًا ... فَرُدَّهُ تَجِدْ طَعْمًا أَلَذَّ مِنَ الشَّهْدِ
حَكَي ذَاكَ عَنْ شَيْخِ الوُجُوْدِ أَخِيْ التُّقَى ... إِمَامِ الهُدَى السَّامِيْ إِلَى ذَرْوَةِ المَجْدِ
وَذَاكَ أَبو العَبَّاسِ أَحْمَدُ ذُوْ النُّهَى ... وَفِيْ ذَاكَ مَا يَكْفِيْ لِمَنْ كَانَ ذَا رُشْدِ

---

(١) يشير إلى ما أخرجه الحاكم (١/ ١١٦)، والترمذي (٢١٦٦)، من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لا يجمع الله أمتي - أو قال: هذه الأمة- على ضلالة أبدًا ويد الله مع الجماعة». هذا لفظ الحاكم وسنده صحيح، وصححه شيخنا في «الصحيح المسند» والشيخ الألباني في «هداية الرواة» (١٧١)، وللحديث طرق وشواهد ذكرتها في شرحي «شرح المحلي على الورقات في أصول الفقه» والحمد لله.

[كفر مانعي الزكاة]

قال الشارح لأبياته: قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته عن الشيخ ابن تيمية، أنه قال في الكلام على كفر مانعي الزكاة[(١)]: والصحابة لم يقولوا هل أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها؟ هذا لم يعهد من الصحابة والخلفاء، بل قال الصديق: والله لو منعوني عناقًا[(٢)] كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ، لقاتلتهم على منعها[(٣)]. فجعل المُبيح للقتل مجرد المنع لا جحد الوجوب.

وقد روي أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب، لكن بخلوا بها، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة، وهي قتل مقاتلهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، والشهادة على قتلاهم بالنار، وسموهم جميعهم أهل الردة[(٤)]، وكان من أعظم

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥١٨-٥١٩).

(٢) وفي رواية: «عقالًا» قال القرطبي في «المفهم» (١/ ١٨٩): اختلف في العقال على أقوال: أولها أنه الفريضة من الإبل رواه ابن وهب عن مالك، وقاله النضر بن شميل. وثانيها: أنه صدقة عام. قاله الكسائي. وثالثها: أنه كل شيء يؤخذ في الزكاة. أنعام وثمار لأنه يعقل عن مالكه قاله أبو سعيد الضرير. ورابعها: هو ما يأخذه المصدق من الصدقة بعينها، فإن أخذ عوضها قيل: أخذ نقدًا. خامسها: أنه اسم لما يعقل به البعير. قاله أبو عبيد... والأشبه بمساق قول أبي بكر أن يراد بالعقال ما يعقل به البعير؛ لأنه خرج مخرج التقليل. والله أعلم. انظر «الفتح» شرح حديث (٦٩٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) **قال القرطبي في «المفهم»** (١/ ١٨٦-١٨٧): ويحصُلُ من قضية أبي بكر وعمر: أن سبيَ أولاد المرتدين لم يكن مجمعًا عليه، وأن عمر إنما وافق أبا بكر ظاهرًا وباطنًا، على قتال الجميع لا غيره، وأما سبيُ الذراري فلم يوافق عليه عمر باطنًا، لكنه ترك العمل بما ظهر له، والفتيا به، لما يجب عليه من طاعة الإمام وموافقته، فلما وُلِّيَ عَمِلَ بما كان عنده ، هذا هو ما ظهر لأبي بكر، ثم تغير اجتهاده؛ لأنَّ ذلك يلزم منه خرق إجماع الصحابة السابق؛ فإنهم كانوا قد أجمعوا مع أبي بكر على السبي، وعملوا بذلك من غير مخالفةٍ ظهرت من أحد منهم، ولا إنكارٍ ظاهرٍ، غير أنهم منقسمون في ذلك إلى من ظهر له جواز ذلك، فسكت لذلك، ومنهم من ظهر له خلاف ذلك، فسكت بحكم ترجيح قول الإمام العدل المجتهد على رأيه، ولوجوب اتباع الإمام على ما يراه، والعمل به، فإذا فقد ذلك الإمام، تعين على ذلك المجتهد أن يعمل على ما كان قد ظهر له، لكن بعد تجديد النظر، لا أنه يعتمد على ذلك الرأي الأول، من غير إعادة البحث ثانيةً؛ لإمكان التغيير على ما بينته في علم الأصول.

وقد حكى بعض الناس أن الإجماع انعقد بعد أبي بكر على أن المرتد لا يسبى، وليس ذلك بصحيح؛ =

فضائل الصديق عندهم أن ثبته الله عند قتالهم، ولم يتوقف؛ كما توقف غيره، فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله، وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة، فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم. انتهى ما نقله ابن عبدالوهاب عن ابن تيمية.

ثم قال: فتأمل كلامه في تكفير المعين والشهادة عليه، إذا قتل بالنار، وسبي ذراريهم وأولاده[1] عند منع الزكاة. انتهى.

ثم قال: ومن أعظم ما يجلو الإشكال في مسألة التكفير والقتال، لمن قصده اتباع الحق، إجماع الصحابة على قتال مانعي الزكاة، وإدخالهم في أهل الردة، وسبي ذراريهم، وفعلهم فيهم ما صح عندهم، وهو أول قتال وقع في الإسلام على من ادعى أنه من المسلمين. انتهى.

(قلت): لا أدري كيف هذا النقل، فالذي قاله القاضي عياض اليحصبي[2] العلامة المالكي في شرحه لمسلم المسمى بـ«الإكمال»[3] وقال غيره من علماء السنة وفحول الرجال: إن الذين خالفوا الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ كانوا ثلاثة أصناف:

* صنف عادوا إلى عبادة الأصنام.

* وصنف اتبعوا مسيلمة والأسود العنسي. وكل واحد منهما ادعى النبوة قبل موت رسول الله ﷺ. فصدَّق مسيلمة أهل اليمامة وجماعة من غيرهم.

وصدق الأسود أهل صنعاء وجماعة غيرهم، فقتل الأسود قبل وفاته ﷺ، وبقي بعض من آمن به فقاتلهم عمال أبي بكر رضي الله عنه.

وأما مسيلمة فجهز إليه أبوبكر الصديق رضي الله عنه الجيوش، وكان أميرهم خالد بن الوليد، فقتلوا مسيلمة بعد حرب شديدة.

= لوجود الخلاف في ذلك، كما قد حكيناه عن أصبغ، ولأنه يؤدِّي إلى تناقض الإجماعين، وهو محال، كما يعرف في الأصول، ولمـا اعتقد بعض الأصوليين في هذه المسألة إجماعين متناقضين، رأى أن المخلصَ من ذلك: اشتراط انقراض العصر في صحّة الإجماع، فلم ينعقد عند هذا القائل فيها إجماع أولًا وآخرًا، لأن عصر الصحابة لم يكن انقرض في زمن عمر.

(١) كذا في (الأصل)، ولعلها (وأولادهم).

(٢) في الأصل: (الحصبي).

(٣) انظر «إكمال المعلم» (١/ ١٨٧-١٨٩).

* وصنف ثالث استمروا على الإسلام، إلا أنهم جحدوا الزكاة، وتأولوا بأنها خاصة بزمنه ﷺ، وهم الذين ناظر عُمَرُ أبا بكر في قتالهم.

وهذا معروف في البخاري وغيره[(١)]، وفيه أن أبا بكر رضي الله عنه لم يقل بكفر من منع الزكاة، وأنه بمنعه إياها ارتد عن الإسلام؛ إذ لو كان هذا رأيه وأنهم كفار، لم يطالبهم بالزكاة، بل يطالبهم بالإيمان والرجوع، ولقال لعمر لما ناظره أنهم كفار، بل قال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة[(٢)].

وهو صريح أن قتالهم لمنعهم الزكاة، ولذا قال: والله لو منعوني عناقًا... الحديث.

وهذا في «صحيح البخاري» وغيره[(٣)]، وإنما قاتلهم الصديق رضي الله عنهما لما أصروا على منعها، ولم يعذرهم بالجهل؛ لأنهم نصبوا القتال، فبعث إليهم من دعاهم إلى الرجوع، فلما أصروا قاتلهم، ولم يكفرهم، ثم اختلف الصحابة فيهم بعد الغلبة عليهم: هل تقسم أموالهم وتسبى ذراريهم كالكفار، أو لا تقسم أموالهم ولا تسبى الذرية كالبغاة.

فذهب أبوبكر رضي الله عنه إلى الأول. وذهب عمر رضي الله عنه إلى الثاني، ووافقه غيره بعد خلافته، وأرجع إلى من كان سباهم أبوبكر وأرجع إليهم أموالهم[(٤)]، كما ذكره بسنده العلامة أبوعمر بن عبد البر في كتابه «التمهيد»[(٥)].

قال الحافظ ابن حجر[(٦)]: واستقر الإجماع على رأي عمر رضي الله عنه. وقال: إن تسمية هؤلاء أهل الردة تغليبًا مع الصنفين الأولين، وإلا فليسوا بكفار. انتهى.

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة كما سبق.

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة كما سبق.

(٣) سبق.

(٤) سبق بيان ذلك نقلًا عن القرطبي رحمه الله.

(٥) ذكره في «التمهيد» (٤/ ٢٣١-٢٣٣).

(٦) الذي في «الفتح» (١٢/ ٣٥٠) دار السلام: حديث (٦٩٢٤): استقر الإجماع عليه يعني على رأي عمر في حق من جحد شيئًا من الفرائض، بشبهة فيطالب بالرجوع، فإن نصب القتال قوتل، وأقيمت عليه الحجة، فإن رجع وإلا عومل معاملة الكفار حينئذٍ. ويقال إن أصبغ من المالكية استقر على القول الأول فعد من ندرة المخالف. اهـ.

وبه عرفت ما في نقل الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن ابن تيمية، وأنه مخالف لما في «الصحيحين» ولما قاله العلماء، وأنه لا إجماع على تكفير مانعي الزكاة، ولا على سبي ذراريهم، ولا على نهب أموالهم، فدعواه الإجماع من الصحابة باطلة، بل ليس في الصحابة من كفر مانع الزكاة، ولذا قلنا: إن دعواه في الإجماع على قتل الجعد بن درهم كدعواه الإجماع من الصحابة على ما ذكر، وزدناه إيضاحًا بقولنا. اهـ.

(فالجواب أن نقول): ما نقله هذا المعترض عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى ثابت عنه، لكنه أسقط من كلام شيخ الإسلام قوله في مانعي الزكاة:

«فكفر هؤلاء وإدخالهم في أهل الردة، قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة».

وهذا يهدم أصله، فلذلك حذفه.

وما نقله الشيخ عن شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه معروف مشهور عنه؛ لا يستريب فيه عارف، وهو الحق الصواب، الذي ندين الله به، كما هو معروف في السير والتواريخ وغيرها، ولا عبرة بقول هذا المعترض، وتشكيكه في هذا النقل فيما لا شك فيه.

فإن عدم معرفته بإجماع العلماء على قتل المختار بن أبي عبيد، ونسبة ذلك إلى أعيان الملوك، الذين لا يصلحون لذكر الإجماع، وقوله ومقصوده بذلك أن الشيخ يحكي الإجماع عن مثل هؤلاء، فلا يُعَوَّلُ على نقله، ولا يلتفت إليه، مع أن الشيخ لم ينقل إلا إجماع التابعين مع بقية الصحابة، وكذلك دعواه أن الإجماع لم ينعقد على قتل الجعد بن درهم[1]، وقد ذكر ذلك ابن قيم الجوزية في «الكافية الشافية»[2] عن كافة أهل السنة، وأنهم شكروه على هذا الصنيع، ثم لم يكتف بما ذكره من الخرافات، حتى عمد إلى ما هو معلوم مشهور في السير والتواريخ وغيرها من كتب أهل العلم، من إجماع الصحابة على تكفير أهل الردة، وقتلهم وسبي ذراريهم ونسائهم، وإحراق بعضهم بالنار[3]، والشهادة على قتلاهم بالنار،

---

(١) تقدم.

(٢) سبق الإشارة إليه.

(٣) يشير إلى فعل علي بن أبي طالب بالسبئية. المتقدم ذكره.

وأنهم لم يفرقوا بين الجاحد والمقر، بل سموهم كلهم أهل الردة؛ لأجل أن القاضي عياض ومن بعده ممن خالف الصحابة وحكم بمفهومه ورأيه، مما يعلم أهل العلم من المحققين الذين لهم قدم صدق في العالمين أن هذا تحكم بالرأي؛ فإن من أمعن النظر في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، علم وتيقن صحة ما قاله، وموافقته لصريح كلام الصحابة وإجماعهم؛ فإن الشهادة على قتلاهم بالنار، واستباحة أموالهم، وسبي ذراريهم، من أوضح الواضحات على ارتدادهم، مع ما ثبت من تسميتهم أهل الردة جميعًا، ولم يسيروا مع مانعي الزكاة بخلاف سيرتهم مع بني حنيفة، وطليحة الأسدي وغيره من أهل الردة، ولم يفرقوا بينهم.

ومن نقل ذلك عنهم فقد كذب عليهم، وافترى، ودعوى أن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يقل بكفر من منع الزكاة، وأنهم بمنعهم إياها لم يرتدوا عن الإسلام دعوى مجردة، فأين الحكم بالشهادة على أن قتلاهم في النار، هل ذاك إلا لأجل ارتدادهم عن الإسلام بمنع الزكاة، ولو كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لا يرون أن ذلك ردة وكفرًا بعد الإسلام لما سبوا ذراريهم، وغنموا أموالهم، ولساروا فيهم بحكم البغاة الذين لا تسبى ذراريهم وأموالهم، ولم يجهزوا على جريحهم، وقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أخشى لله وأتقى، من أن يصنعوا هذا الصنيع بمسلم (ممن) لا يحل سبي ذراريهم وأخذ أموالهم وهل هذا إلا غاية الطعن على الصحابة، وتسفيه رأيهم وما أجمعوا عليه، وتعليله بأنه لو كان يرى أنهم كفار لم يطالبهم بالزكاة، بل يطالبهم بالإيمان والرجوع تعليل بارد لا دليل عليه، فإنهم لم يكفروا ويرتدوا بترك الإيمان بالله ورسوله وسائر أركان الإسلام وشرائعه، فيطالبهم بالرجوع إلى ذلك، وإنما كان ارتدادهم بمنع الزكاة وأدائها، والقتال على ذلك، فيطالبهم بأداء ما منعوه، وأركان الإسلام.

فلما لم ينقادوا لذلك، وقاتلوا كان هذا بسبب ردتهم، وعمر أَجَلُّ قدرًا ومعرفة وعلمًا، من أن يعارض أبا بكر أو يقره على خلاف الحق، فإنه لما ناظره أبوبكر وأخبره أن الزكاة حق المال، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق[1].

(١) متفق عليه عن أبي هريرة كما سبق.

وقد كان من المعلوم أن من جحد الصلاة أو تركها تهاونًا وأصر على ذلك أنه كافر[(١)].

فلذلك قال أبوبكر: والله لأ قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.

فمن جحد الزكاة ومنعها كان كمن جحد الصلاة وامتنع عن فعلها وبذلك تعرف عمق علم الصحابة، وأنهم أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيه ولإظهار دينه.

وأما دعواه أن أبا بكر دعاهم إلى الرجوع فلما أصروا قاتلهم، ولم يكفرهم فدعوى مجردة، وتحكم بلا علم، فأين إدخالهم في أهل الردة وسبي نسائهم وذراريهم وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار لولا كفرهم وارتدادهم فإنهم لو كانوا مسلمين عندهم لما ساروا فيهم سيرة أهل الردة، بل كان يمكنهم أن يسيروا فيهم سيرتهم في أهل البغي والخروج عن الطاعة، وأما اختلافهم بعد ذلك ودعواه أن الصحابة اختلفوا فيهم بعد الغلبة عليهم، هل تقسم أموالهم وتسبى ذراريهم كالكفار، أو لا تقسم أموالهم، ولا تسبى ذراريهم كالبغاة، فذهب أبو بكر رضي الله عنه إلى الأول، وذهب عمر رضي الله عنه إلى الثاني، فلو كان هذا ثابتًا صحيحًا عن الصحابة رضي الله عنهم لما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الإجماع على قتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، وأنهم سموهم كلهم أهل الردة.

وشيخ الإسلام رحمه الله من أعلم الناس بأحوال الصحابة، وبأحاديث رسول الله ﷺ من غيره، وكان إليه المنتهى في ذلك. قال الإمام الذهبي في «معجم شيوخه»[(٢)]: هو شيخنا وشيخ الإسلام، وفريد العصر، علمًا، ومعرفة، وشجاعة، وذكاء، وتنويرًا إلاهيًا، وكرمًا، ونصحًا للأمة، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه وكتابته، وخرج ونظر في الرجال والطبقات، وحصل ما لم يحصله غيره، وبرع في تفسير القرآن، وغاص في دقائق معانيه، بطبع سيال، وخاطر

---

(١) انظر عن هذه المسألة كتاب «حكم تارك الصلاة» لابن القيم ورسالة الشيخ الألباني أيضًا في ذلك، بتقديم علي الحلبي.

(٢) انظر: «معجم الشيوخ الكبير» (٤٠)، «المعجم المختص» (صـ٢٥)، وانظر أيضًا: «ذيل تاريخ الإسلام» (صـ ٣٢٤- ٤٣٠) فقد وصفه هناك بأوسع مما نقل المؤلف هنا.

وقاد إلى مواضع الإشكال ميال، واستنبط شيئًا لم يسبق إليها، وبرع في الحديث، وحفظه، فقل من يحفظ ما يحفظ من الحديث، مع شدة استحضاره له وقت الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب، وفتاوى الصحابة والتابعين، وأتقن العربية أصولًا وفروعًا، ونظر في العقليات، وعرف أقوال المتكلمين، ورد عليهم، ونبه على خطئهم، وحذر منه، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأُوذِيَ في الله تعالى من المخالفين، وأخيف في نصرة السنة المحفوظة، حتى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكبت أعداءه، وهدى به رجالًا كثيرًا من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالبًا، وعلى طاعته، وأحيى به الشام، بل الإسلام، بعد أن كاد ينثلم، خصوصًا في كائنة التتار، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام، أني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى هو مثل نفسه، لما حنثت. انتهى.

تاريخ ابن الوردي ٢-٣٧٧

وقال ابن الوردي في «تاريخه» – وقد عاصره ورآه –: وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفته بفنون الحديث مع حفظه لمتونه الذي انفرد به، وهو عجبًا في استحضاره واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند؛ حيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث – ولكن الإحاطة لله تعالى – غير أنه يغترف فيه من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي، وأما التفسير فسلم له... (قال:) وله الباع الطويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، قل أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها المذاهب الأربعة، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنف فيها، واحتج لها بالكتاب والسنة، وبقي سنين يفتي بما قام الدليل (عليه) عنده ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية.

وكان دائم الابتهال كثير الاستغاثة، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يديمها، لا يداهن ولا يحابي، محبوبًا عند العلماء والصلحاء، والأمراء والتجار والكبراء. انتهى ملخصًا.

وإذا كانت هذه حاله عند أهل العلم بالحديث والجرح والتعديل، وأنه كان إليه المنتهى في هذه الحقائق علمًا وعملًا ومعرفة وإتقانًا وحفظًا، وقد جزم بإجماع

الصحابة فيما نقله عنهم في أهل الردة، تبين لك أنه لم يكن بين الصحابة خلاف قبل موت أبي بكر رضي الله عنهما، ولم يعرف له مخالف منهم، بعد أن ناظرهم ورجعوا إلى قوله، ولو ثبت خلافهم قبل موت أبي بكر وبعد الغلبة على أهل الردة، كما زعم ذلك من زعمه - لذكر شيخ الإسلام - ولم يجزم بإجماعهم على كفر مانعي الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وقد اختلفوا، هذا ما لا يكون أبدًا.

وسيأتي كلامه في «المنهاج» قريبًا إن شاء الله تعالى.

وإنما أرجع عمر إلى من كان سباهم أبوبكر أموالهم وذراريهم بعد أن أسلموا ورجعوا إلى ما خرجوا عنه، تطييبًا لقلوبهم ورأيًا رآه، ولم يكن ذلك إبطالًا لما أجمع عليه الصحابة قبل ذلك، كما أرجع رسول الله ﷺ إلى هوازن ذراريهم؛ لما أسلموا تطييبًا لقلوبهم[1]، وكما رأى رضي الله عنه أن لا تباع أمهات الأولاد، كما رأى أن لا تجتمع ذِمِّيَّة ومؤمنة تحت رجل، وكما رأى في الطلاق بلفظ واحد، أن يجيزه عليهم عقوبة لما تتابعوا في الطلاق المحرم، ولم يطلقوا للسنة، فأجازها عليهم عقوبة وتأديبًا لهم. ولم تجمع الأمة على كل ما ذكرنا، بل لم يزل الخلاف واقعًا بين الأمة، كما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في «الهدي النبوي» وفي «إغاثة اللهفان» وفي «إعلام الموقعين».

والمقصود: أن ما ذكره هذا المعترض من عدم الإجماع لا يصح، وأن ذلك إن كان صدر من عمر رضي الله عنه فهو رأي رآه بعد أن دخلوا في الإسلام، وأما قول ابن حجر: أن تسمية هؤلاء أهل الردة تغليبًا مع الصنفين الأولين، وإلا فليسوا بكفار. انتهى

فهذا تأويل منه، وليس بأبشع ولا أشنع مما تأولوه في الصفات[2]، وقد ثبت ذلك في الكتاب والسنة؛ لأنهم رأوا ذلك مستحيلًا في عقولهم. وإذا كان صدر منهم ذاك في صفات رب العالمين، وتأولوها بما لا يليق بجلال الله وعظمته، فكيف لا يتأولون ما صدر من الصحابة، مما يخالف آراءهم، وتحيله عقولهم.

وقد بينا ما في ذلك من الوهم والغلط على الصحابة بمجرد ما فهموه ورأوا أنه الحق.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٨-٤١٩) عن مروان والمسور بن مخرمة رضي الله عنه. وانظر «البداية والنهاية» (٧/ ٥ وما بعدها).

(٢) قد جُمِعَتْ تأويلاته للصفات في «فتح الباري» في رسالة مفردة.

وإذا ثبت الإجماع عن الصحابة بنقل الثقات، فلا عبرة بمن خالفهم، وادعى الإجماع على ما فهمه، وليس ما نقله عنهم بلفظ صريح يدل على عدم تكفيرهم، وإنما بدعاوى مجردة عن الدليل، ولم يخالف الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ ما في البخاري، وإنما ذكر ذلك عياض من عند نفسه بمجرد مفهومه من الحديث، والمخالف له ينازعه في ذلك الفهم، كما قدمناه، ولم يزل الخلاف واقعًا بين الأمة والحق، مع من وافق الدليل من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وما نقله الشيخ محمد عن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن مخالفًا لما في «الصحيحين» بل كان موافقًا لهما، وقد ثبت إجماع الصحابة كما ذكر ذلك العلماء في السير والتواريخ، كما ثبت إجماع التابعين مع بقية الصحابة على قتل المختار، وعلى كفره، وكما أجمع العلماء على كفر الجعد بن درهم وعلى قتله[1]، وقد ظهر عدم علمك ومعرفتك بالإجماع، ونقله فلا نسلم لك صحة ما نقلته لعدم علمك وإدراكك الأمور على ما هي عليه.

فصل

[مناقشة إجماع الصحابة على كفر مانعي الزكاة]

(وأما قوله): (ص ١٦)

فَقَدْ كَانَ أَصْنَافُ العُصَاةِ ثَلَاثَةً ... كَمَا قَدْ رَوَاهُ المُسْنِدُونَ ذَوُوا النَّقْدِ

وقد جاهد .... إلى آخره

(فالجواب أن نقول):

وَقَوْلُكَ فِيمَا قَالَهُ الشَّيْخُ حَاكِيًا ... عَلَى ذَلِكَ الإِجْمَاعِ مِنْ غَيْرِ مَا جَحْدِ

(فَقَدْ كَانَ أَصْنَافُ العُصَاةِ ثَلَاثَةً ... كَمَا قَدْ رَوَاهُ المُسْنِدُوْنَ ذَوُوْا النَّقْدِ)

(وَقَدْ جَاهَدَ الصِّدِّيقُ أَصْنَافَهُمْ ... وَلَمْ يُكَفِّرْ مِنْهُمْ غَيْرَ مَنْ ضَلَّ عَنْ رُشْدِ)

أَقُوْلُ لَعَمْرِيْ مَا أَصَبْتَ وَلَمْ تَسِرْ ... عَلَى مَنْهَجِ الصِّدِّيْقِ ذِيْ الرُّشْدِ وَالمَجْدِ

---

(١) تقدم.

فَسِيرَتُهُ مَعَ صَحْبِ أَحْمَدَ كُلِّهِمْ ... مُقَرَّرَةٌ مَعْلُومَةٌ عِنْدَ ذِي النَّقْدِ
فَكَفَّرْ مَنْ قَدْ آمَنُوا بِطُلَيْحَةٍ ... وَبِالأَسْوَدِ العَنْسِيِّ ذِيْ الكُفْرِ وَالجَحْدِ
مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابَ وَالكُلُّ كَافِرٌ ... سِوَى الأَسَدِيِّ لَمَّا أَنَابَ إِلَى الرُّشْدِ
وَطَائِفَةٌ قَدْ اسْلَمُوْا لَكِنْ اعْتَدَوْا ... بِمَنْعِ زَكَاةِ المَالِ قَصْدًا عَلَى عَمْدِ
فَنَازَعَهُ الفَارُوْقُ فِيْهِمْ مُعَلِّلًا ... فَنَاظَرَهُ الصِّدِّيْقُ ذُو الجِدِّ وَالجَهْدِ
فَآبَ إِلَى مَا قَدْ رَآهُ وَأَجْمَعُوْا ... جَمِيْعًا عَلَى قَتْلِ الغُوَاةِ ذَوِيْ الطَّرْدِ
وَسَمَّوْهُمُ أَهْلَ ارْتِدَادٍ جَمِيْعُهُمْ ... وَمَا فَرَّقُوْا بَيْنَ المُقِرِّ وَذِيْ الجَحْدِ
وَلَا بَيْنَ مَنْ يَدْعُوْ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ ... كَمَا هُوَ مَعْلُوْمٌ لَدَى كُلِّ مُسْتَهْدِ
فَإِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ فَعَنْ صَحْبِ أَحْمَدَ ... أَبِنْ ذَلِكَ التَّفْرِيْقَ بِالسَّنَدِ المُجْدِيْ
وَإِلَّا فَدَعْنَا مِنْ خِلَافِ مُخَالِفٍ ... لِإِجْمَاعِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ذَوِيْ الرُّشْدِ
فَمَا غَيْرُهُمْ أَهْدَى طَرِيْقًا وَلَمْ يَكُنْ ... يُقَارِبُهُمْ تَاللهِ مَا الشَّوْكُ كَالوَرْدِ
وَمَنْ رَدَّ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ بِالذِيْ ... يَرَاهُ الخُلُوْفُ القَاصِرُوْنَ عَلَى عَمْدِ
فَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... وَنُقْصَانِهِ فِيْ الدِّيْنِ وَالعَقْلِ وَالعَقْدِ
فَمَا صَحَّ بَعْدَ الاجْتِمَاعِ اخْتِلَافُهُمْ ... وَكَيْفَ وَقَدْ كَانُوْا جَمِيْعًا ذَوِيْ رُشْدِ
وَدَعْنَا مِنْ التَّأْوِيْلِ فَهُوَ ضَلَالَةٌ ... فَلَيْسَ لَهُ فِيْنَا مُسَاغٌ وَلَا يُجْدِيْ
وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الآنِ أَحْسِبُ أَنَّهُ ... تَوَهَّمَ صِدْقَ المُفْتَرِيْ مِنْ ذَوِيْ الحِقْدِ
كَقَوْلِكَ إِذْ سَمَّوْهُمُو أَهْلَ رِدَّةٍ ... لِذَلِكَ تَغْلِيْبًا وَذَا لَيْسَ بِالمُجْدِيْ
فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ النِّظَامَ وَجَدْتُهُ ... مَعَ الشَّرْحِ فِيْ غَيٍّ وَبَغْيٍ عَلَى عَمْدِ
فَلَمْ تَعْرِفْ الكُفْرَ المُبِيْحَ لِقَتْلِهِمْ ... وَسَبْيٍ وَنَهْبِ المَالِ مِنْ غَيْرِ مَا رَدِّ
وَلَمْ تَعْرِفْ الإِسْلَامَ حَقًّا وَكَوْنُهُ ... لَهُمْ عَاصِمًا مِنْ كُلِّ مَا كَانَ قَدْ يُرْدِيْ

فَيَـا أَيُّهَـا الغَـاوِيْ طَرِيْقَـةَ رُشْـدِهِ ... ثَكِلَتْكَ مَنْ غَـاوٍ قَفَـى أَثَـرَ ذِيْ الحِقْـدِ

وَصَـدَّقَ مَـا بِعِتَـادِهِ مَـنْ تَـوَهَّمَ ... بِلَـبْسٍ وَتَمْوِيْـهٍ وَهَمْـطٍ بِـلَا رُشْـدِ

أَفِـقْ عَـنْ مَـلَامٍ لَا أَبَـا لَـكَ لَـمْ يَكُـنْ ... بِحَـقٍّ وَلَا صِـدْقٍ وَلَا قَـوْلِ ذِيْ نَقْـدِ

فَنَفْيُـكَ لِلْإِجْـمَاعِ لَـيْسَ مُحَقَّقًـا ... نَعَمْ قَدْ ذَكَرْنَا فِيْ الجَوَابِ وَفِيْ الرَّدِّ

جَوَابَـكَ عَـمَّا قَـدْ ذَكَـرْتَ مُفَـصَّلًا ... فَـرُدُّهُ تَجِـدْ طَعْـمًا أَلَـذَّ مِـنَ الـشَّهْدِ

حَكَى ذَاكَ عَنْ شَيْخِ الوُجُوْدِ أَخِيْ التُّقَى ... إِمَامَ الهُدَى السَّامِيْ إِلَـى ذِرْوَةِ المَجْـدِ

وَ ذَاكَ أَبو العَبَـاسِ أَحْمَـدُ ذُوْ النُّهَـى ... وَفِيْ ذَاكَ مَا يَكْفِيْ لِمَـنْ كَـانَ ذَا رُشْـدِ

(ص ١٦)

(قال الشارح): وقد عرفت مما حققناه معنى البيتين، وتيقنت أن لا إجماع من الصحابة إلا على كفر مسيلمة والعنسي وعلى قتالهم.

وأما ما نعوا الزكاة فلم يكفرهم أحد من الصحابة، ولا أجمعوا على سبي ولا نهب، بل رد عمر رضي الله عنه ذلك، والشيخ محمد نقل ذلك مستدلًا بها على كفر من لديه من المسلمين وغير من لديه، وإباحة الدماء والأموال، وهذا جهل لا يخفى على الجهال، فضلًا عن العلماء والعقال.

(والجواب أن يقال) لهذا الجاهل المركب الذي لا يدري ولا يدري أنه لا يدري: قد عرفنا، وقد كان من المعلوم أنهم أجمعوا على ذلك، وأنهم سبوا ذراريهم وغنموا أموالهم. وتحققنا عدم علمك ومعرفتك بالإجماع، وإذا جهلت وتحامقت بنفيك الإجماع على كفر المختار بن أبي عبيد، والجعد بن درهم، وهو أشهر عند أهل السنة والجماعة من نار على علم، وواضح[1] من الشمس في نحر الظهيرة، فكيف لا تنفي إجماع الصحابة على كفر ما نعي الزكاة، وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم، وقد كان من المعلوم أنهم أجمعوا على ذلك، وأنهم سبوا ذراريهم وغنموا أموالهم، وشهدوا على قتلاهم بالنار؛ كما هو مذكور مشهور في كتب أهل العلم، وقد قدمنا ما فيه الكفاية.

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: (وأوضح)

(وأما قوله): والشيخ محمد نقل ذلك مستدلًّا بها على كفر من لديه من المسلمين وغير من لديه... إلى آخره.

(فالجواب أن يقال): نعم، نقل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ذلك مستدلًّا به على كفر من ارتد عن الإسلام بعد الدخول فيه، فإنهم كانوا قبل دعوة الشيخ على الكفر بالله والإشراك به، من دعاء الأولياء والصالحين والأحجار.

[حال الناس في بلاد نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ]

وقد بينا ذلك فيما مضى، ونزيد ذلك إيضاحًا بما ذكره الإمام العلامة أبوبكر حسين بن غنام رَحِمَهُ اللَّهُ في «تاريخه»[1] قال في أثناء كلامه: وقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم؛ والكل على تلك الأحوال مقيم، وفي ذلك الوادي مسيم: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة: ٤٨].

وقد مضوا قبل بدو نور الصواب، يأتون من الشرك بالعجاب، وينسلون إليه من كل باب، ويكثر منهم ذلك عند قبر زيد بن الخطاب، ويدعونه لتفريج الكرب بفصيح الخطاب[2]، ويسألونه كشف النوب من غير ارتياب: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس:١٨] وكان ذلك في الجيلة مشهورًا، وبقضاء الحوائج مذكورًا.

وكذلك قربوه في الدّرعية يزعمون أن فيها قبورًا أصبح فيها بعض الصحابة مقبورًا، فصار حظهم في عبادتها موفورًا، فهم في سائر الأحوال عليها يعكفون: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات:٨٦] وكان أهل تلك التربة أعظم في صدورهم من الله خوفًا ورهبة، وأفخم عندهم رجاء ورغبة، فلذلك كانوا في طلب الحاجات بهم يبتدون: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف:٢٢].

وفي (شعب غبيرا): يفعل من الهجر والمنكر، ما لا يعهد مثله ولا يتصور، ويزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور[3]، وذلك كذب محض وبهتان مزور، مثله لهم

---

(١) انظر «تاريخ نجد» (صـ ١٤ وما بعدها).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) هو ضرار بن الأزور، واسم الأزور: مالك بن أوس بن جذيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة الأسدي، =

إبليس وصور، ولم يكونوا به يشعرون.

وفي(**بليدة الفدا**): ذَكَرُ النخل المعروف بالفحال، يأتونه النساء والرجال، ويغدون عليه بالبكور والآصال، ويفعلون عنده أقبح الفعال، ويتبركون به ويعتقدون، وتأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج، ولم تأتها لنكاحها الأزواج، وتقول: يا فحل الفحول، أريد زوجًا قبل أن يحول الحول هكذا صح عنهم القول: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام:٤٣].

و(**شجرة الطرفية**): تشبث بها الشيطان واعتلق، فكان ينتابها للتبرك طوائف وفرق، ويعلقون فيها إذا ولدت المرأة ذكرًا الخرق؛ لعلهم عن الموت يسلمون.

وفي (**أسفل الدرعية**): غار كبير، يزعمون أن الله تعالى فلقه في الجبل لامرأة، تسمى بنت الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها، فصاحت ودعت الله، فانفلق لها الغار بإذن العلي الكبير، وكان الله تعالى لها من ذلك السوء مجيرًا، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويهدون: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات:٩٥-٩٦].

ثم ذكر في جميع قرى نجد[١] من ذلك ما لا يحصى ولا يعد؛ وكذلك في الحرمين، وفي سواد العراق، وبغداد، والمجرة، والموصل، والشام، ومصر، والحجاز، واليمن، ما هو معروف معلوم مذكور في التاريخ.

وقد اشتهر ذلك، وبلغ مشارق الأرض ومغاربها، واستفاض ما كان عليه أهل نجد من الكفر بالله والشرك به، قبل دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ودعوته الخلق إلى التوحيد لله وعبادته، وترك عبادة ما سواه، فاستجاب من استجاب لله رغبة في الحق، وجاهد في الله من أبى الدخول في دين الإسلام، حتى دخلوا في دين الله أفواجًا، وقد شهد بذلك الخاص والعام، وأقر به الموافق والمخالف، فالحق ما شهدت به الأعداء.

= أبو الأزور صحابي فاضل رضي الله عنه اختلف في وفاته. انظر «الإصابة» (٤١٩٢).

(١) وقد سبق.

[تاريخ مختصر لنجد]

وقد رأيت في حال تسويد هذا الجواب تاريخًا لبعض المؤرخين من النصارى في سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف ما نصه:

نجد بعد الرسالة

ومن بعد أن بعث الحكيم ﷺ بالهدى والحق، وانتشر الدين الإسلامي في هاتيك الربوع، عم بلاد نجد من جملة ما عم، فصار أهلها على هذه الطريقة المثلى، بيد أن الحوادث التي طرأت على قادة الأمة من بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، شغلتهم عن مشارفة تلك البلاد، فأهملوها، هذا من جهة.

ومن الجهة الأخرى أن الحروب والمنازعات والاختلافات شغلت أهل نجد، عن الإمعان في حقائق دينهم، فمرت عليهم السنين الطويلة، وهم يحبون في الإيمان والاعتقاد، إلى أن وصل الحال بهم إلى درجة أصبحوا فيها وقد تعددت فيهم الأوهام والخرافات والاعتقادات الباطلة بالشجر والحجر والنجم وعبادات القبور، والعكوف عليها، والاعتقاد بأهلها النفع والضر، إلى غير ذلك مما لأهل العراق فيه اليوم النصيب الأوفر، والحظ الأكبر، رغمًا عن انتشار العلم فيه، وبقي أهل نجد في هذه الحالة، وليس لهم سوى الحرب والضرب، والاعتقاد الضار بالإنسان دينًا، ودنيا، وأُخْرَى، وليس لهم من الدين الحق إلا الاسم، وذلك إلى زمن الشيخ محمد ابن عبدالوهاب.

نجد في زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب

نشأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في بلدة العيينة، في حضن والده عبدالوهاب بن سليمان، فرباه أحسن تربية، ولقنه العلم هو بنفسه، وكان والده حينئذٍ قاضيًا في بلدة العيينة، من قبل حاكمها الأمير عبدالله بن محمد بن أحمد المعمري.

[بداية رحلته رحمه الله]

ولما كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب كثير المطالعة، والتدبر، والتفكر، شديد الشوق إلى العلم وطلبه، حدثته نفسه بأن يسير في طلب العلم إلى بلاد أخرى، فحج ثم

سار إلى المدينة، فاتصل بالشيخين عبدالله بن إبراهيم مؤلف كتاب «العذب الفائض في علم الفرائض»(١) والشيخ محمد حياة السِّنْدي المدني، فأقام عندهما مدة، ثم رجع إلى نجد، ومن هناك سار إلى البصرة فبغداد، وهو في هذه الأثناء يتزود الكفاية من علم التوحيد والفقه وسائر العلوم.

ثم حاول المسير إلى الشام، فمصر، ولكن صده عارض في الطريق، فرجعَ أدراجه إلى بلاده حاملًا من زاد العلم ما لم يتيسر لأحد غيره في وقته، ثم ذهب لرؤية والده، وكان يؤمئذٍ في حريملاء.

[وسبب تحول الوالد إلى هذه البلاد]:

هو أنه في غياب الشيخ محمد تَـوَفَّى اللهُ الأميرَ عبدالله، وخلفه في الإمارة ابنه محمد، فعزل والد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان عن القضاء، وأقام مكانه أحمد بن عبدالله بن عبدالوهاب، ورحل عبدالوهاب القاضي إلى حريملاء، ولما ثبت قدمه عند والده، باشر الشيخ تزييف الخرافات والبدع والأضاليل، وشمَّر عن ساعده لإبادة الأوهام المضرة بالدين، وأخذ ينشر الاعتقاد الصحيح، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

هرب الشيخ محمد رَحِمَهُ اللهُ من بلدة حريملاء

كانت حريملاء في عهد الشيخ، بلدة لا ترجع إلى أمير، ولا إلى إمارة، بل كانت كورة، تتقاذفها صوالجة قبيلتين، وهما: قبيلة العبيد، وقبيلة أخرى.

فاتفق يومًا أن الشيخ زجر بعض السفهاء، من قبيلة العبيد، عن ارتكاب بعض المخازي الدالة على سوء الأخلاق، فعمد هؤلاء إلى إهانته، بل إلى قتله، وأرادوا إتمام الأمر بالفعل، فساروا إليه ليلًا، وتسوروا الجدار، وبينما هم في هذا الفعل، إذ صاح صائح في المحلة، فظن هؤلاء المفسدون أن الصياح عليهم فهربوا، وكفاه الله شرهم، ولما أسفر الصباح رحل إلى بلدة العيينية، وكان محمد الأمير قد توفاه الله، وقبض على زمام الإمارة من بعده عثمان بن حمد بن معمر، فتلقاه الأمير عثمان بالتحية والترحاب

---

(١) هو كتاب نافع ومفيد مطبوع متداول.

والإكرام التام، وهناك أخذ يبث حقائق التوحيد، والأمير عثمان يتعاهده بحفظ حياته ونصره على أعدائه.

حكاية الشجرة والقبة

وقد طلب الشيخ من الأمير أن يقطع شجرة كانت تعبد في البلدة، وأن يهدم قبة زيد بن الخطاب رضي الله عنه، فتمنع الأمير وبعد ذلك أَلحَّ الشيخ عليه، وأقنعه فأذن له في الآخر، ثم طلب إليه أن يسير هو أيضًا معه، فسار الأمير مع الشيخ، ومعهما ستمائة فارس، ولما وصلوا إلى المحل المطلوب، قُطِعَتِ الشجرة، وهُدِّمَتِ القبة، وكانت قرب بلدة الجُبَيْلَة، فكان ذلك العمل من أخطر الأعمال التي أتاها الشيخ، فلما فعل الشيخ هذا الفعل الأول اشتهر أمره، ونَبُهَ ذكره.

[لقاؤه بالأمير محمد بن آل سعود رحمه الله]

فبلغ خبره أمير الأحساء سليمان بن محمد، وكان ذا قوة وبأس شديد، فبعث إلى عثمان بن محمد بن معمر، يتهدده بقطع رواتبه عنه، والسير إليه، إن لم يطرد الشيخ من بلاده، فأذن حينئذٍ الشيخ عثمان للشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يسافر إلى حيث يريد، فاختار الشيخ الذهاب إلى بلدة الدِّرعية، فسار وسيَّر الشيخ عثمان معه جماعة تحافظ عليه من أعدائه، حتى وصل الدرعية، فحل ضيفًا عند عبدالله بن عبدالرحمن بن سويلم - أحد أعيانها - ثم علم بعض كبار الدرعية، فزاروه، فلما اطلعوا على مبدئه استحسنوه وأحبوه، ثم أرادوا أن يسعوا عند أميرها محمد بن سعود؛ لينزله ضيفًا عنده، فتخوفوا، ففاوضوا بذلك أخاه ثنيان، وزوجته، وأخاه مشاري، فاتفق الجميع على تحقيق ما في الأمنية، فتم الأمر، وذلك أن الأمير لما دخل قصره وقابل زوجته، اجتمع به أخواه، فعرضا عليه الأمر مع زوجة الأمير، وأشاروا عليه بإكرامه واحترامه، فسار إليه برجله، ثم أخذه من عند عبدالله السالف الذكر، وجاء به إلى قصره، فاحتفى به أحسن الاحتفاء، وأعزه، وقام مؤيدًا لدعوته بكل قوته، فأخذ الناس يغدون إلى الدرعية أفواجًا أفواجًا، فازدادت بذلك قوة الأمير بل تضاعفت، وشرع يكاتب بلدان نجد وقراها، ويدعوها إلى طريق الحق، وما لبث أيامًا قلائل إلا وأصغت له القبائل، ودانت له أغلب البلدان، وما زالت الإمارة في امتداد واتساع، حتى أصبحت دولة بني آل سعود في درجة لو وفق

أمراؤها الذين تسلموا قيادة زمامها في آخر أيامها إلى ثروة، ومد نظر في السياسة لغدت اليوم من أعظم الدول الإسلامية قوة، وسطوة، ورهبة، ولامتدت أمراؤهم إلى بلاد شاسعة، إلا أنه دهمها ما لم يَدُرِ في خلد أصحابها.

فإنها لما شدَّدت في بعض أمورها، كثر أعداؤها، فاحتالوا على الفتك بها، فأوقع بعض الأمراء ما يُلْقِيْ النُّفُور بين آل سعود، وبين الحكومة العثمانية.

وللحال اتقدت تلك النار الحامية، نار الحروب والمضاعفات والزحفات المتكررة، فأضرَّت بالطرفين، ولابد من ذكر تلك الأسباب التي حملت القوم الواحد، على القوم الآخر في فرصة أخرى، والله ولي التوفيق، وهو نعم الرفيق. انتهى.

[بعض أقوال المنصفين في الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله]

وقال الشيخ ملا عمران صاحب (لينجه) رحمه الله تعالى، في رده على من اعترض على الشيخ رحمه الله بنحو مما اعترض به هؤلاء الجهلة المفترون بعد كلام سبق:

الشَّيْخُ شَاهَدَ بَعْضَ أَهْلِ جَهَالَةٍ   يَدْعُوْنَ أَصْحَابَ القُبُوْرِ الهُمَّدِ
تَاجًا وَشَمْسَانًا وَمَنْ ضَاهَاهُمَا   مِنْ قُبَّةٍ أَوْ تُرْبَةٍ أَوْ مَشْهَدِ
يَرْجُوْنَ مِنْهُمْ قُرْبَةً وَشَفَاعَةً   وَيُؤَمِّلُوْنَ كَذَاكَ أَخْذًا بِاليَدِ
وَرَأَى لِعُبَّادِ القُبُوْرِ تَقَرُّبًا   بِالنَّذْرِ وَالذَّبْحِ الشَّنِيْعِ المُفْسِدِ
مَا أَنْكَرَ القُرَّاءُ وَالأَشْيَاخُ مَا   شَهِدُوْا مِنَ الأَمْرِ الذِيْ لَمْ يُحْمَدِ
بَلْ جَوَّزُوْهُ وَشَارَكُوْا فِيْ أَكْلِهِ   مَنْ كَانَ يَذْبَحُ لِلْقُبُوْرِ وَيَفْتَدِيْ
فَأَتَاهُمُ الشَّيْخُ المُشَارُ إِلَيْهِ بِالنُّـ   ـصْحِ المُبِيْنِ وَبِالكَلَامِ الجَيِّدِ
يَدْعُوهُمُوْ لله أَنْ لَا يَعْبُدُوْا   إِلَّا المُهَيْمنَ ذَا الجَلَالِ السَّرْمَدِيْ
فَتَنَافَرُوْا عَنْهُ وَقَالُوْا: لَيْسَ ذَا   إِلَّا عَجِيْبٌ عِنْدَنَا لَمْ يُعْهَدِ
مَا قَالَهُ آبَاؤُنَا أَيْضًا وَلَا   أَجْدَادُنَا أَهْلُ الحِجَا وَالسُّؤْدَدِ
إِنَّا وَجَدْنَا جُمْلَةَ الآبَاءِ عَلَى   هَذَا فَنَحْنُ بِمَا وَجَدْنَا نَقْتَدِيْ

فَالشَّيْخُ لَمَّا أَنْ رَأَىٰ ذَا الشَّأْنِ مِنْ ... أَهْلِ الزَّمَانِ اشْتَدَّ غَيْرَ مُقَلِّدِ
نَادَاهُمُو يَا قَوْمِ كَيْفَ جَعَلْتُمُوْا ... للهِ أَنْدَادًا بِغَيْرِ تَعَدُّدِ
قَالُوْا لَهُ: بَلْ إِنَّ قَلْبَكَ مُظْلِمٌ ... لَمْ تَعْتَقِدْ فِي صَالِحٍ مُتَعَبِّدِ

إلى أن قال:

لَوْ انْصَفُوْا لَرَأَوْا لَهُ فَضْلًا عَلَى ... إِظْهَارِ مَا قَدْ ضَيَّعُوْهُ مِنَ اليَدِ
وَدَعَوْا لَهُ بِالخَيْرِ بَعْدَ مَمَاتِهِ ... لِيُكَافِئُوْهُ عَلَى وِفَاقِ المُرْشِدِ
لَكِنَّهُمْ قَدْ عَانَدُوْا وَتَكَبَّرُوْا ... وَمَشَوْا عَلَى مِنْهَاجِ قَوْمٍ حُسَّدِ
وَرَمَوْهُ بِالبُهْتَانِ وَالإِفْكِ الَّذِيْ ... هُمْ يَعْمَلُوْنَ بِهِ وَمِنْهُمْ يَبْتَدِيْ
كَمَقَالِهِمْ وَهُوَ لِلْمُتَابِعِ قَاطِعٌ ... بِدُخُوْلِ جَنَّاتٍ وَحُوْرٍ خُرَّدِ
حَاشَا وَكَلَّا لَيْسَ هَذَا شَأْنُهُ ... بَلْ إِنَّهُ يَرْجُوْ بِهَا لِمُوَحِّدِ
قَالُوا لَهُ: أَشْقَى الوَرَى مَعَ كَوْنِهِ ... يَنْهَى عَنِ الأَنْدَادِ لِلْمُتَفَرِّدِ
وَهُمُوْ يَرَوْنَ الشَّمْسَ ظَاهِرَةً لَهُمْ ... لَكِنَّ أَعْمَى القَلْبِ لَيْسَ بِمُهْتَدِ
قَالُوْا لَهُ: يَا كَافِرًا يَا فَاجِرًا ... مَا ضَرَّهُ قَوْلُ العُدَاةِ الحُسَّدِ
قَالَتْ قُرَيْشٌ قَبْلَهُمْ لِلْمُصْطَفَى ... ذَا سَاحِرٌ ذَا كَاهِنٌ ذَا مُعْتَدِ
قَالُوا: يَعُمُّ المُسْلِمِيْنَ جَمِيْعُهُمْ ... بِالكُفْرِ قُلْنَا لَيْسَ ذَا بِمُؤَكَّدِ
بَلْ كُلُّ مَنْ جَعَلَ العَدِيْلَ لِرَبِّهِ ... وَنَهَى فَصَدَّ فَذَاكَ كَالمُتَهَوِّدِ
قَالُوْا لَهُ غَشَّاشُ أُمَّةِ أَحْمَدَ ... وَهُوَ النَّصِيْحُ بِكُلِّ وَجْهٍ يَبْتَدِيْ
هَلْ قَالَ إِلَّا وَحِّدُوْا رَبَّ السَّمَا ... وَذَرُوْا عِبَادَةَ مَا سِوَى المُتَفَرِّدِ
وَتَمَسَّكُوْا بِالسُّنَّةِ البَيْضَا وَلَا ... تَتَنَطَّعُوْا بِزِيَادَةٍ وَتَرَدُّدِ
هَذَا الَّذِيْ جَعَلُوْهُ غِشًّا وَهُوَ قَدْ ... بُعِثَتْ بِهِ الرُّسُلُ الكِرَامُ لِمَنْ هُدِي

مِـنْ عَهْـدِ آدَمَ ثُـمَّ نُـوْحٍ هَكَـذَا ... تَتْـرَى إِلَـى عَهْـدِ النَّبِـيِّ مُحَمَّـدِ
وَكَـذَلِكَ الخُلَفَـاءُ بَعْـدَ نَبِـيِّهِمْ ... وَالتَّـابِعُوْنَ وَكُـلُّ حَبْـرٍ مُهْتَـدِ
مِنْهَـاجُهُمْ هَـذَا عَلَيْـهِ تَمَسَّكُوْا ... مَـنْ كَـانَ مُسْتَنًّا بِهِـمْ فَلْيَقْتَـدِ
عَجَبًـا لِمَـنْ يَتْلُـوْ الكِتَـابَ وَيَـدَّعِيْ ... عِلْمَ الحَدِيْثِ مُسَلْسَلًا فِيْ المُسْنَدِ
وَيَقُـوْلُ لِلتَّوْحِيْـدِ غُـشًّا إِنَّ ذَا ... خَطَـرٌ عَلَـى مَـنْ قَـالَ فَلْيَشْهَدِ
وَيُجَـدِّدِ الإِسْلَامَ وَالإِيْمَانَ مُعْتَرِفًـا ... بِـأَنَّ الـشَّيْخَ[1] خَيْـرُ مُجَـدِّدِ
مَـا ذَنْبُـهُ فِـيْ النَّـاسِ إِلَّا أَنَّـهُ ... هَـدَمَ القِبَـابَ وَتِلْـكَ سُنَّةُ أَحْمَـدِ
مَـا صَـحَّ عَهْـدُ ثَقِيْـفٍ لَمَّا عَاهَـدُوْا ... إِلَّا بِهَـدْمِ الـلَّاتِ لَـوْ لَـمْ يُعْبَـدِ
مَـا الـلَّاتُ إِلَّا كَـانَ عَبْـدًا صَـالِحًا ... لَـتَّ الـسَّوِيْقَ لِطَـائِفٍ مُتَعَبِّـدِ
لَـمَّا تُـوُفِّيَ عَظَّمُـوْا لِـضَرِيْحِهِ ... كَـصَنِيْعِ عُبَّـادِ القُبُـوْرِ النُّكَّـدِ
إِذْ كَـانَ حَيًّـا قَـادِرًا قَـامُوْا بِإِطْـ ... ـعَامٍ لَـهُ وَبِكِـسْوَةٍ وَتَفَقُّـدِ
وَإِذَا تَـوَارَى عَنْهُمُـو فِـيْ لَحْـدِهِ ... جَعَلُـوْهُ نِـدًّا لِلإِلَـهِ الـسَّيِّدِ

إلى أن قال:

عَجَبًـا لَهُـمْ لَـوْ كَـانَ فِـيْهِمْ مُنْـصِفٌ ... لَـرَأَى المُحِـبُّ مُحَمَّـدًا لِمُحَمَّـدِ
مِـنْ حَيْـثُ أَنَّ الاتِّبَـاعَ مُوَافِـقٌ ... لِلْحُـبِّ فِـيْ نَـصِّ الكِتَـابِ الأَمْجَـدِ
قَـالُوْا: صَـبَأْتُمْ نَحْـوَهُ قُلْنَـا لَهُـمْ ... الحَـقُّ شَـمْسٌ لِلْبَـصِيْرِ المُهْتَـدِيْ
مَـا بَيْنَنَـا نَـسَبٌ نَمِيْـلُ بِـهِ وَلَا ... حَـسَبٌ يُقَرِّبُنَـا لَـهُ بِتَـوَدُّدِ
لَكِنَّهَـا شَـمْسُ الظَّهِيْـرَةِ قَـدْ بَـدَتْ ... لِـذَوِيْ البَـصَائِرِ فَاهْتَـدَى مَـنْ يَهْتَـدِيْ
فَـإِنْ اعْتَـرَاكُمْ فِـيْ الَّـذِيْ قَـدْ قَالَـهُ ... شَـكٌّ وَرَيْـبٌ وَاخْـتِلَافٌ يَبْتَـدِيْ

(١) في الأصل: فالشيخ.

فَزِنُــوْا بِمِيْــزَانِ الــشَّرِيْعَةِ قَوْلَــهُ ... تَجِــدُوْهُ حَقًّــا ظَــاهِرًا لِلْمُقْتَــدِيْ
وَلَــئِنْ وَجَــدْتُمْ جَافِيًــا أَوْ فَاسِــقًا ... أَوْ جَــاهِلًا فِــيْ العِلْــمِ كَــالمُتَرَدِّدِ
قَــدْ زَلَّ يَوْمًــا أَوْ هَفَــا لَا تَنْــسِبُوْا ... هَفَوَاتِــهِ لِجَنَــابِ ذَاكَ المُرْشِــدِ
فَالأَهْــلُ وَالأَصْــحَابُ مَــاذَا ضَــرَّهُمْ ... مَــنْ بَعْدَهُمْ تَكْــدِيْرُ صَافِيْ المَــوْرِدِ
مِــنْ بَعْــدِ ذَاكَ الاجْتِمَاعِ عَلَــى الهُــدَى ... ظَهَــرُوْا ذَوُوْ فِــرَقٍ وَأَهْــلُ تَبَــدُّدِ
مَــاذَا يَــضُرُّ الــسُّحْبَ نَــبْحُ الكَلْــبِ ... أَمْ مَاذَا يَضُرُّ الــصَّحْبَ سَــبُّ المُلْحِــدِ
ثُــمَّ الــصَّلَاةُ عَلَــى النَّبِــيِّ مُحَمَّــدٍ ... أَزْكَــى الــوَرَى أَصْــلًا وَأَطْيَــبِ مُحْتَــدِ
وَالأَهْــلِ وَالأَصْــحَابِ جَمْعًــا كُلَّمَــا ... قَــدْ ذَبَّ عَــنْ ذَا الــدِّيْنِ كُــلُّ مُوَحِّــدِ

...انتهى

محمد أحمد الحفظي الشافعي من علماء عسير له كتاب درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين توفي سنة ١٢٣٧هـ

وقال الشيخ محمد بن أحمد الحفظي صاحب «رجال[١] من قرى عسير»:

الحَمْــدُ حَقًّــا مُــسْتَحِقًّا أَبَــدًا ... للهِ رَبِّ العَــالَمِيْنَ سَــرْمَدًا

إلى أن قال:

مُــصَلِّيًا عَلَــى الرَّسُــوْلِ الــشَّارِعِ ... وَآلِــهِ وَصَــحْبِهِ وَالتَّــابِعِيْ
فِــيْ البِــدْءِ وَالخَــتْمِ وَأَمَّــا بَعْــدُ ... فَهَــذِهِ مَنْظُوْمَــةٌ تُعَــدُّ
حَرَّكَنِــيْ لِنَظْمِهَــا الخَيْــرُ الــذِّيْ ... قَــدْ جَاءَنَــا فِــيْ آخِــرِ العَصْرِ القَــذِيْ
لَــمَّا دَعَــا الــدَّاعِي مِــنَ المَشَارِقِ ... بِــأَمْرِ رَبِّ العَــالَمِيْنَ الخَــالِقِ
وَبَعَثَــتْ اللهُ لَنَــا مُجَــدِّدًا ... مِــنْ أَرْضِ نَجْــدٍ عَــالِمًا مُجْتَهِــدًا
شَــيْخَ الهُــدَى مُحَمَّــدَ المُحَمَّــدِيْ ... الحَنْبَلِــيَّ الأَثَــرِيَّ الأَحْمَــدِيْ
فَقَــامَ وَالــشِّرْكُ الــصَّرِيْحُ قَــدْ سَــرَى ... بَــيْنَ الــوَرَى وَقَــدْ طَغَــى وَاعْتَكَــرَا

(١) في الأصل: روجال. رجال بضم الميم وفتح الجيم

لَا يَعْرِفُونَ الدِّيْنَ وَالتَّهلِيْلَا وَطَرْقُ الإِسْلَامِ وَالسَّبِيْلَا
إِلَّا أَسَامِيْهَا وَبَاقِيْ الرَّسْمِ وَالأَرْضُ لَا تَخْلُوْ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ
وَكُلُّ حِزْبٍ فَلَهُمْ وَلِيْجَهْ يَدْعُوْنَهُ فِيْ الضِّيْقِ لِلْتَفْرِيْجَةْ
وَمِلَّةُ الإِسْلَامِ وَالأَحْكَامُ فِيْ غُرْبَةٍ وَأَهْلُهَا أَيْتَامُ
دَعَا إِلَى اللهِ وَبِالتَّهْلِيْلَةِ يَصْرَخُ بَيْنَ أَظْهُرِ القَبِيْلَةِ
مُسْتَضْعَفًا وَمَالَهُ مِنْ نَاصِرِ وَلَا لَهُ مُسَاعِدٌ مُوَازِرِ
فِيْ ذِلَّةٍ وَقِلَّةٍ وَفِيْ يَدِهْ مَهَفَّةٌ تُغْنِيْهِ عَنْ مُهَنَّدِهْ
كَأَنَّهَا رِيْحُ الصَّبَا فِيْ الرُّعْبِ وَالحَقُّ يَعْلُوْ بِجُنُوْدِ الرَّبِّ
قَدْ أَذْكَرَتْنِيْ دِرَّةً لِعُمَرْ وَضَرْبِ مُوْسَى بِالعَصَا لِلْحَجَرْ
وَلَمْ يَزَلْ يَدْعُو إِلَى دِيْنِ النَّبِيِّ لَيْسَ إِلَى نَفْسٍ دَعَا أَوْ مَذْهَبِ
يُعَلِّمُ النَّاسَ مَعَانِيْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرَ فَرْدٍ يُعْبَدُ
مُحَمَّدٌ نَبِيُّهُ وَعَبْدُهُ رَسُوْلُهُ إِلَيْكُمُوْ وَقَصْدُهُ
أَنْ تَعْبُدُوْهُ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُوْا شَيْئًا بِهِ وَالابْتِدَاعَ فَاتْرُكُوْا
وَمَنْ دَعَا دُوْنَ الإِلَهِ أَحَدًا أَشْرَكَ بِاللهِ وَلَوْ مُحَمَّدًا
أَنْ قُلْتُمُو نَعْبُدُهُمُوْ لِلْقُرْبَةِ أَوْ لِلْشَّفَاعَاتِ فَتِلْكَ الكَذْبَةُ
وَرَبُّنَا يَقُوْلُ فِيْ كِتَابِهِ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ بِلَا تَشَابُهِ
هَذِيْ مَعَانِيْ دَعْوَةُ الشَّيْخِ لِمَنْ عَاصَرَهْ فَاسْتَكْبَرُوْا عَنْ السُّنَنْ
فَانْقَسَمَ النَّاسُ فَمِنْهُمْ شَارِدٌ مُخَاصِمٌ مُحَارِبٌ مُعَانِدٌ
مَا بَيْنَ خَفَّاشٍ وَبَيْنَ جُعَلِ شَاهَتْ وُجُوْهُ أَهْلِ هَذَا المَثَلِ
وَبَعْدَ مَا اسْتُجِيْبَ للهِ فَمَنْ جَادَلَ فِيْ اللهِ تَرَدَّى وَافْتَتَنْ

قلت: ومن القسم الذين شردوا عن الدين، وخاصموا وحاربوا وعاندوا، وبذلوا الجد والاجتهاد، في التكذيب والزور والفساد، مربد بن أحمد وعبدالرحمن النجدي[١]، وهما اللذان أكثرا من البُهْتِ والهذيان، واغتر بقولهما وبهتانهما أهل البغي والعدوان، ومن داخله الغل والحقد والحسد، وطغى على قلبه من ذلك ما أوجب له الكمد والنكد، فنعوذ بالله من رين الذنوب، وانتكاس القلوب.

ثم قال:

وَمَنْ أَجَابَ دَاعِيْ اللهِ مَلَكْ ... وَمَنْ تَوَلَّى مُعْرِضًا فَقَدْ هَلَكْ
وَالسَّابِقُوْنَ الأَوَّلُوْنَ السَّادَةْ ... آلُ سُعُوْدِ الكُبَرَاءِ القَادَةْ
هُمُ الغُيُوْثُ وَاللُّيُوْثُ وَالشَّنَفْ ... وَنُصْرَةُ الإِسْلَامِ وَالشُّمُّ وَالأُنُفْ
فَأَقْبَلُوْا وَالنَّاسُ عَنْهُ أَدْبَرُوْا ... وَعَرَفُوْا مِنْ حَقِّهِ مَا أَنْكَرُوْا
حَفُّوْا بِهِ كَأُسُوْدِ العَرَائِنِ ... وَكَمْ وَكَمْ للهِ مِنْ ضَنَائِنِ
وَابْنُ سُعُوْدٍ كَأَبِيْ أَيُّوْبِ ... مُحَمَّدِ الرِّبْيَلِ وَاليَعْسُوْبِ
قَالَ: اذْهَبُوْا فَأَنْتُمُوْ سُيُوْمُ ... وَجَنْدَرِيْ قَبْلَهُ حَيْزُوْمُ
وَقَامَ فَارُوْقُ الزَّمَانِ المُؤْتَمَنْ ... عبدُالعَزِيْزِ مَنْ وَمَنْ وَمَنْ
فَسَارَ فِيْ النَّاسِ كَسِيْرَةِ الأَشَجْ ... وَدَوَّخَ البَرَّ وَخَاضَ لِلثَّبَجْ
يَسُوْسُ بِالآثَارِ وَالقُرْآنِ ... عَلَى طَرِيْقِ العَدْلِ وَالإِحْسَانِ
يَدْعُوْ إِلَى اللهِ بِحِزْبٍ غَالِبِ ... مُجَاهِدًا بِالأَرْبَعِ المَرَاتِبِ
وَنَفْسُهُ للهِ وَالنَّفِيْسِ ... وَالصِّدْقُ لِلْقُلُوْبِ مُغْنَاطِيْسِ
وَبَعْدَهُ قَامَ الإِمَامُ البَارِعُ ... بِأَمْرِ رَبِّ العَالِمِيْنَ الوَازِعِ
وَهُوَ الهِزَبْرُ الضَّيْغَمُ العَدْلُ الوَلِيْ ... سُعُوْدُ مُخُّ الرَّأْسِ قَلْبُ الهَيْكَلِ

---

(١) تقدما.

كَـــمْ زَعَّ بِـــالقُرْآنِ وَالـــسُّلْطَانِ مِــنْ فَــارِسٍ وَالــرُّوْمِ وَالزِّنْجَــانِ
وَفِـــيْ العِـــرَاقَيْنِ لَـــهُ رُعُـــوْدُ وَمِـــصْرَ مِـــنْ صَـــوْلَتِهِ مَرْعُـــوْدُ
وَالـــيَمَنُ المَيْمُـــوْنُ كَالحِجَـــازِ دَوَّخَهَـــا بِـــالقَهْرِ وَالمَغَـــازِيْ
وَالحَـــرَمَيْنِ وَهِـــيْ المُطَهَّـــرَةْ قَـــدْ أَصْـــبَحَتْ بِعَدْلِـــهِ مُعَطَّـــرَةْ
بِـــالرِّفْقِ يَـــدْعُوْهُمْ وَبِـــالتَّعَطُّفِ وَمَـــنْ أَبَـــى يَطِـــرْهُ بِالمُـــشْرَفِيْ
لَـــمْ يَكُـــنْ فِـــيْ نَزْعِـــهِ مِـــنْ ضَـــعْفِ وَشَـــاهِدُ الوَاقِـــعِ فِيْـــهِ يَكْفِـــيْ
لَـــمْ أَرَ مِـــنْ عَبْقَـــرِيٍّ يَفْـــرِيْ فَرْيَـــهُ مِـــنْ أُمَـــرَاءِ العَـــصْرِ
هَكَـــذَا مَـــنْ يَبْتَـــدِيْ بِنَفْـــسِهِ مُجَاهِـــدًا فِـــيْ يَوْمِـــهِ وأَمْـــسِهِ
فَإِنَّـــــهُ يُطَـــــاعُ لَا مَحَالَـــــةْ فِـــيْ خَـــارِجٍ بَيْعًـــا بِـــلَا إِقَالَـــةْ

إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

[المقصود مما سبق]

والمقصود بذكر هذا ما ذكره هذا المعترض على الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ حيث ذكر أن الشيخ محمدًا نقل ذلك مستدلًّا به على كفر من لديه من المسلمين وغير من لديه، وإباحة الدماء والأموال، وهنا جهل لا يخفى على الجهال، فضلًا عن العلماء والعقال. انتهى

وقد عرفت مما أسلفناه من كلام العلماء من كل قطر، ما كان عليه أهل نجد وغيرهم، من الكفر بالله، وعبادة الأولياء، والصالحين، والأشجار، والأحجار، والغيران، وغير ذلك، مما قد أوضحناه وبيناه، فمن زعم أن ما كان عليه أهل نجد وغيرهم مما ذكر ليس بكفر، ولا شرك، وأنهم مع هذه الأفعال مسلمون، وأن من دعاهم إلى التوحيد وعبادة الله وترك ما كانوا عليه من الشرك وجاهدهم على ذلك، أنه جاهل، وأنه كَفَّرَ ونهب أموال وسفك دماء بغير حق، فما عرف الإسلام الذي يعصم الدم والمال، ولا عرف الكفر المبيح لذلك، فكان هو الجاهل المركب الذي لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[نقل عن شيخ الإسلام في مسألة قتال مانعي الزكاة]

ونذكر هاهنا أيضًا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في «منهاج السنة»[١] على قول الرافضي: (الخلاف السادس: في قتال مانعي الزكاة قاتلهم أبوبكر، واجتهد عمر في أيام خلافته، فرد السبايا والأموال إليهم، وأطلق المحبوسين).

فهذا من الكذب الذي لا يخفى على من عرف أحوال المسلمين؛ فإن مانعي الزكاة اتفق أبوبكر وعمر على قتالهم بعد أن راجعه عمر في ذلك، كما في «الصحيحين»[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن عمر قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، كيف تقاتل الناس، وقد قال النبي ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا: أن لا اله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله»**.

فقال أبوبكر: ألم يقل: «إلا بحقها وحسابهم على الله»، فإن الزكاة من حقها، والله لو منعوني عناقًا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

وفي «الصحيحين»[٣] تصديق فهم أبي بكر، عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله، وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها»**.

فعمر وافق أبا بكر على قتال أهل الردة مانعي الزكاة، وكذلك سائر الصحابة، وأقر أولئك بالزكاة بعد امتناعهم منها، ولم تسبَ منهم ذرية، ولا حبس منهم أحد، ولا كان بالمدينة حبس، لا على عهد رسول الله ﷺ، ولا على عهد أبي بكر رضي الله عنه، فكيف يموتوهم في حبسه.

وأول حبس في الإسلام اتخذ بمكة: اشترى عمر من صفوان بن أمية داره، وجعلها حبسًا بمكة، ولكن من الناس من يقول: سبى أبوبكر نساءهم، وذراريهم، وعمر أعاد

(١) «منهاج السنة» وانظر منه: (٤/ ٤٩٤ وما بعدها).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البخاري(٢٥)، ومسلم (٢٢).

ذلك عليهم، وهذا إذا وقع ليس فيه بيان اختلافهما؛ فإنه قد يكون عمر موافقًا على جواز سبيهم، لكن ردَّ إليهم سبيهم، كما رد النبي ﷺ على هوازن سبيهم، بعد أن قسم بين المسلمين[1]، فمن طابت نفسه بالرد وإلا عوضه من عنده؛ لما أتى أهلهم مسلمين فطلبوا رد ذلك إليهم.

وأهل الردة قد اتفق أبوبكر وعمر وسائر الصحابة على أنهم لا يمكنون منْ ركوب الخيل، ولا حمل السلاح، بل يتركون يتبعون أذناب البقر، حتى يرى الله وخليفة رسوله والمؤمنين حسن إسلامهم، فلما تبين لعمر حسن إسلامهم رد ذلك إليهم لأنه جائز. انتهى.

فتبيَّن بما ذكره شيخ الإسلام: أن الصحابة أجمعوا على قتالهم، وأنهم سموهم كلهم أهل الردة، وأنه لم يكن بين عمر وبين أبي بكر خلاف بعد رجوع عمر إلى موافقة أبي بكر مع سائر الصحابة، وأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ لم يخالف ما في «الصحيحين» كما زعم هذا المعترض الجاهل - والله أعلم.

فتبين بما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، كذب من ادعى أن الصحابة اختلفوا في أهل الردة، وأنهم جعلوهم ثلاثة أصناف، وصرح أنهم سموهم كلهم أهل الردة، وأنهم سبوا نساءهم وذراريهم، وأنه لم يكن بين أبي بكر وعمر خلاف، وأن رد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السبي والأموال إليهم أنه كما رد النبي ﷺ سبي هوازن إليهم بعد أن صح إسلامهم، ولكن هذا المعترض جاهل بمدارك الأحكام، وما عليه أئمة الإسلام - والله المستعان.

[بيان بطلان قول الشارح بأن دعاء الأولياء والهتف بهم عند الشدائد والطواف بالقبور وتقبيل جدرانها ونحو ذلك من شرك العمل]

(ص١٧٠) قال المعترض في أبياته: ولذلك قلنا:

وَهَذَا لَعَمْرِيْ غَيْرَ مَا أَنْتَ فِيْهِ مِنْ ... تَجَارِيْكَ فِي قَتْلٍ لِمَنْ كَانَ فِي نَجْدِ
فَإِنَّهُمْ قَدْ بَايَعُوْكَ عَلَى الهُدَى ... وَلَمْ يَجْعَلُوا للهِ فِي الدِّيْنِ مِنْ نِدِّ
وَقَدْ هَجَرُوا مَا كَانَ مِنْ بِدْعٍ وَمِنْ ... عِبَادَةِ مَنْ حَلَّ المَقَابِرَ فِي اللَّحْدِ

(١) أخرجه البخاري كما سبق.

فَمَا لَكَ فِيْ سَفْكِ الدِّمَا قَطُّ حُجَّةٍ ... خَفِ اللهَ وَاحْذَرْ مَا تُسِرُّ وَمَا تُبْدِيْ
وَعَامِلْ عِبَادَ اللهِ بِاللُّطْفِ وَادْعُهُمْ ... إِلَى فِعْلِ مَا يَهْدِيْ إِلَى جَنَّةِ الخُلْدِ
وَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَا سَلَبْتَ فَإِنَّهُ ... حَرَامٌ وَلَا تَغْتَرَّ بِالعِزِّ وَالجِدِّ
وَلَا بِأُنَاسٍ حَسَّنُوا لَكَ مَا تَرَى ... فَمَا هَمُّهُمْ إِلَّا الإِثَاثُ مَعَ النَّقْدِ
يُرِيْدُوْنَ نَهْبَ المُسْلِمِيْنَ وَأَخْذَ مَا ... بِأَيْدِيْهِمْ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا حَدِّ
فَرَاقِبْ إِلَهَ العَرْشِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرَى ... صَرِيْعًا[1] فَلَا شَيْءٌ يُفِيْدُ وَلَا يُجْدِيْ
نَعَمْ وَاعْلَمُوْا أَنِّي أَرَى كُلَّ بِدْعَةٍ ... ضَلَالًا عَلَى مَا قُلْتُ فِي ذَلِكَ العِقْدِ
وَلَا تَحْسَبُوا أَنِّيْ رَجَعْتُ عَنِ الذِّيْ ... تَضَمَّنَهُ نَظْمِيْ القَدِيْمُ إِلَى نَجْدِ
بَلَى كُلُّ مَا فِيْهِ هُوَ الحَقُّ إِنَّمَا ... تَجَارِيْكَ فِيْ سَفْكِ الدِّمَا لَيْسَ مِنْ قَصْدِيْ
وَتَكْفِيْرِ أَهْلِ الأَرْضِ لَسْتُ أَقُوْلُهُ ... كَمَا قُلْتَهُ لَا عَنْ دَلِيْلٍ بِهِ تَهْدِيْ
وَهَا أَنَا أَبْرَأُ مِنْ فِعَالِكَ فِيْ الوَرَى ... فَمَا أَنْتَ فِيْ هَذَا مُصِيْبٌ وَلَا مَهْدِيْ
وَدُوْنَكَهَا مِنِّيْ نَصِيْحَةَ مُشْفِقٍ ... عَلَيْكَ عَسَى تَهْدِيْ لِهَذَا وَتَسْتَهْدِيْ
وَتُغْلِقُ أَبْوَابَ الغُلُوِ جَمِيْعِهِ ... وَتَأْتِيْ الأُمُوْرَ الصَّالِحَاتِ عَلَى قَصْدِ
وَهَذَا نِظَامِيْ جَاءَ وَاللهِ حُجَّةً ... عَلَيْكَ فَقَابِلْ بِالقَبُوْلِ الذِّيْ أُبْدِيْ[2]

(والجواب) أن يقال:

أَقُوْلُ لَعَمْرِيْ مَا أَصَبْتَ وَلَمْ تَكُنْ ... عَلَى مَنْهَجٍ يُنْجِيْكَ عَنْ زَوْرِكَ المُرْدِيْ
فَقَدْ كَانَ شَيْخُ المُسْلِمِيْنَ مُحَمَّدٌ ... عَلَى المَنْهَجِ الأَسْنَى وَكَانَ عَلَى الرُّشْدِ
فَسَارَ عَلَى مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدَ ... وَمَنْهَجِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ذَوِيْ المَجْدِ

---

(١) في الأصل: صديقًا.
(٢) في «الديوان» بلفظ: أُهْدِيْ.

وَمَا قَاتَلَ الشَّيْخُ الإِمَامُ مُحَمَّدٌ سِوَى أُمَّةٍ عَادُوْا عَنِ الحَقِّ وَالقَصْدِ
يُنَادُوْنَ زَيْدًا وَالحُسَيْنَ وَخَالِدًا وَمَنْ كَانَ فِي الأَجْدَاثِ مِنْ سَاكِنِ اللَّحْدِ
وَقَدْ جَعَلُوْا للهِ جَلَّ جَلَالُهُ نَدِيْدًا تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ النِّدِّ
وَقَاتَلَهُمْ لَـمَّا أَبَوْا وَتَمَرَّدُوْا وَقَدْ شَرَدُوْا عَنْ دَعْوَةِ الحَقِّ لِلْضِدِّ
فَعَمَّنْ أَخَذْتَ الزُّوْرَ مِمَّا نَظَمْتَهُ وَسَطَّرْتَهُ فِيْ الرَّقِ جَهْرًا عَلَى عَمْدِ
أَعَنْ مَرْبَدٍ مَنْ فَرَّ عَنْ دِيْنِ أَحْمَدَ وَقَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ فِيْ رُبَى نَجْدِ
وَقَدْ هَاضَهُ بَلْ غَاضَهُ وَامِضُهُ تَلَؤْلؤُ نُوْرِ الحَقِّ مِنْ كَوْكَبِ الرُّشْدِ
وَقَدْ أَلِفَ المَأْفُوْنُ مَا كَانَ قَوْمُهُ عَلَيْهِ مِنَ الإِشْرَاكِ وَالجَعْلِ لِلْنِّدِّ
وَلَمَّا اسْتَجَابُوْا وَاسْتَقَامُوْا عَلَى الهُدَى تَضَايَقَ لَـمَّا لَمْ يَجِدْ مِنْ لَهُ يُجْدِيْ
فَفَرَّ وَأَبْدَى تُرَّهَاتٍ وَضِلَّةً يَصُدُّ بِهَا أَهْلَ الغِوَايَةِ وَاللَّدِّ
عَنْ الدِّيْنِ وَالتَّقْوَى ذَوِيْ الإِفْكِ وَالرَّدَى وَهَيْهَاتَ قَدْ بَانَ الرَّشَادُ لِذِيْ النَّقْدِ
فَقَوْلُكَ عَمَّنْ فَرَّ عَنْ دِيْنِ أَحْمَدَ بِتَزْوِيْرِهِ إِفكًا وَبُهْتًا عَلَى عَمْدِ
فَإِنَّهُمُو قَدْ بَايَعُوْكَ عَلَى الهُدَى وَلَمْ يَجْعَلُوْا للهِ فِيْ الدِّيْنِ مِنْ نِدِّ
تَهَوُّرُ أَفَّاكٍ وَتَزْوِيْرُ مُبْطِلٍ تُجَارِيْ بِهِ الأَهْوَاءَ الحَسَدَ المُرْدِيْ
فَمَا بَايَعُوْا بَعْدَ الضَّلَالِ عَلَى الهُدَىْ وَقَاتَلَهُمْ حَاشَا وَكَلَّا فَمَا تُبْدِيْ
مِنَ الزُّوْرِ وَالبُهْتَانِ لَيْسَ بِثَابِتٍ وَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فَدَعْ عَنْكَ مَا يُرْدِيْ
وَلَا هَجَرُوْا مَا كَانَ مِنْ بِدَعٍ وَمَنْ عِبَادَةِ مَنْ حَلَّ المَقَابِرَ فِيْ اللَّحْدِ
فَلَوْ آمَنُوْا بِاللهِ مِنْ بَعْدِ غَيِّهِمْ وَتَابُوْا عَنِ الإِشْرَاكِ بِالصَّمَدِ الفَرْدِ
لَمَا سُفِكَتْ تِلْكَ الدِّمَاءُ وَقُتِّلُوْا بِلَا حُجَةٍ هَذَا مِنَ الكَذِبِ المُرْدِيْ
وَلَكِنَّهُمْ فِيْ غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ لَا يَهْتَدُوْنَ لمَنْ يَهْدِيْ

نَعَمْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ تَزَنْدُقًا ... وَحَادَ أَخِيرًا عَنْ مُوَافَقَةِ الرُّشْدِ
إِلَى الكُفْرِ وَالإِشْرَاكِ بِاللهِ جَهْرَةً ... فَقَاتَلَهُمْ عَمْدًا وَقَصْدًا لِذَا القَصْدِ
فَخَافَ مِنَ المَوْلَى عُقُوبَةَ تَرْكِهِمْ ... عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى يَفِيئُوا لِمَا يُبْدِي
وَعَامَلَ أَهْلَ الحَقِّ بِاللُّطْفِ وَالَّذِيْ ... يَحِيْدُ عَنِ الإِسْلَامِ بِالصَّارِمِ الهِنْدِيْ
وَقَدْ قَامَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ بُرْهَةً ... مِنَ الدَّهْرِ لَا يَأْلُوْا اجْتِهَادًا بِمَا يُجْدِيْ
وَعَامَلَهُمْ بِاللُّطْفِ وَالرِّفْقِ دَاعِيًا ... إِلَى فِعْلِ مَا يَهْدِيْ إِلَى جَنَّةِ الخُلْدِ
فَلَمَّا أَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوْا وَتَمَرَّدُوْا ... عَنِ الدِّيْنِ وَاسْتَعْدُوْا عُدَاةً ذَوِيْ جَحْدِ
أَحَلَّ بِهِمْ مَا قَدْ أَحَلَّ نَبِيُّهُ ... بِمَنْ كَفَرُوْا بِاللهِ مِنْ كُلِّ ذِيْ طَرْدِ
إِلَى أَنْ أَنَابُوْا وَاسْتَجَابُوْا وَأَذْعَنُوْا ... لِمَنْ قَامَ يَدْعُوْهُمْ إِلَى مَنْهَجِ الرُّشْدِ
فَنَالُوْا بِهِ عِزًّا وَمَجْدًا وَرِفْعَةً ... وَدَانَ لَهُمْ بِالدِّيْنِ مَنْ صَدَّ عَنْ جَهْدِ
وَقَوْلُكَ: فَارْدُدْ مَا نَهَبْتَ، تَحَكُّمٌ ... ثَكِلَتْكَ هَلْ تَدْرِيْ غَوَائِلَ مَا نُبْدِيْ
أَيُرْجَعُ أَمْوَالًا أُبِيْحَتْ بِكُفْرِهِمْ ... إِلَيْهِمْ وَهَلْ هَذِيْ مَقَالَةُ ذِيْ نَقْدِ
أَهَذَا حَرَامٌ وَيْلُ أُمِّكَ أَوْ أَتَى ... بِذَلِكَ وَحْيٌ مُسْتَبِيْنٌ لِذِيْ رُشْدِ
فَلَوْ أَنَّ مَا تَحْكِي مِنَ الزُّوْرِ كَائِنٌ ... لَكَانَ حَرَامًا لَا يُبَاحُ وَلَا يُجْدِيْ
وَمَا عَزَّ شَمْسُ الدِّيْنِ فِيْ نُصْرَةِ الهُدَى ... تُعَزِّزُهُ بِالجَاهِ وَالعِزِّ وَالجِدِّ
وَلَا بِأُنَاسٍ حَسَّنُوْا البَغْيَ بِالهَوَى ... وَهَمُّهُمُ أَخْذُ الأَثَاثِ مَعَ النَّقْدِ
كَمَا قُلْتَهُ فِيْمَا تَهَوَّرْتَ قَائِلًا ... بِمَا لم يَقُلْ أَهْلُ الدِّرَايَةِ مِنْ نَجْدِ
وَمَا قُلْتُمُو بِالمَيْنِ[1] مِنْ هَذَيَانِكُمْ ... كَقَوْلِكَ تَمْوِيْهًا عَلَى الأَعْيُنِ الرُّمْدِ
يُرِيْدُوْنَ نَهْبَ المُسْلِمِيْنَ وَأَخْذَ مَا ... بِأَيْدِيْهِمُوْ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا حَدِّ

---

(١) أي: الكذب.

ثَكِلَتْـكَ هَـلْ هَـذِيْ مَقَالَـةُ عَـالِمٍ تَقِـيٍّ نَقِـيٍّ عَـارِفٍ أَوْ أَخِـيْ رُشْـدِ
أَيُرْجَـعُ أَمْـوَالًا إِلَـى كُـلِّ مَـنْ دَعَـا سِوَى اللهِ مَعْبُوْدًا مِنَ الخَلْقِ لَا يُجْدِيْ
يُنَـادُوْنَ زَيْـدًا[1] طَـالِبِيْنَ بِرَغْبَـةٍ وَمَنْ كَانَ فِيْ الأَجْدَاثِ مِنْ سَاكِنِ اللَّحْدِ
وَتَاجًـا وَشَمْـسَانًا ومَـنْ كَـانَ يَـدَّعِيْ وِلَايَتَـهُ الجُهَّـالُ مِـنْ غَيْـرِ مَـا عَـدٍّ
وَيَـدْعُوْنَ أَشْـجَارًا كَثِيْـرًا عَدِيْـدَةً لَعَمْـرِيْ وَأَحْجَـارًا تُـرَادُ لِـذَا القَـصْدِ
وَغَـارًا وَقَـدْ آوَتْ إِلَيْـهِ بِـزَعْمِهِمْ هُنَالِـكَ بِنْـتٌ لِلْأَمِيْـرِ عَلَـى جَهْـدِ
وَقَـدْ رَامَ مِنْهَـا فَاسِـقٌ أَنْ يُرِيْـدَهَا بِـسُوْءٍ فَعَـادَ الغَـارُ مُنْغَلِـقَ الـسَّدِ
فَكَـانَ لَهَـا المَـوْلَى مُجِيْـرًا وَعَاصِـمًا فَيَدْعُوْنَـهُ مِـنْ أَجْـلِ ذَاكَ ذَوُوْا اللَّـدِّ
وَفِحَـلُ نَخْـلٍ يَخْـتَلِفْنَ نِـسَاؤُهُمْ إِلَيْـهِ بِإِهْـدَاءِ القَـرَابِيْنَ عَـنْ عَمْـدِ
إِذَا لَـمْ تَلِـدْ وَلَـمْ تُـزَوَّجْ لِيُعْطِيَهَـا بَنِـيْنَ وَزَوْجًـا عَـاجِلًا غَيْـرَ ذِيْ صَـدٍّ
وَكُـلُّ قُـرَى نَجْـدٍ بِهِـنَّ مَعَابِـدٌ كَثِيْـرٌ بِـلَا حَـدٍّ يُحَـدُّ وَلَا عَـدٍّ
فَـإِنْ كَـانَ هَـذَا لَـيْسَ عِنْـدَكَ مُخْرِجًـا مِنَ الدِّيْنِ مَنْ يَأْتِيْ بِهِ مِنْ ذَوِيْ الجَحْدِ
لِأَنَّهُمُـو قَـدْ آمَنُـوْا بِمُحَمَّـدٍ عَلَيْـهِ صَـلَاةُ اللهِ مَـا حَنَّ مِـنْ رَعْـدِ
وَلَا اعْتَقَـدُوْا فِـيْمَنْ دَعَـوْهُ بِأَنَّـهُ إِلَهٌ مَعَ الـرَّحْمَنِ ذِيْ العَـرْشِ وَالمَجْـدِ
وَلَكِـنَّهُمْ قَـوْمٌ أَتَـوْا بِجَهَالَـةٍ وَغَـرَّهُمُ الـشَّيْطَانُ ذُوْ الغَـدْرِ وَالطَّـرْدِ
فَـزَيَّنَ لِلْجُهَّـالِ أَنَّ ذَوِيْ التُّقَـى مِنْ الـصُّلَحَاءِ وَالأَوْلِيَـاءِ ذَوِيْ الرُّشْـدِ
لَهُـمْ شُـفَعَاءٌ يَنْفَعُـوْنَ وَأَنَّهُـمْ يَـضُرُّوْنَ هَـذَا قَوْلُـهُ عَـنْ ذَوِيْ اللَّـدِّ
فَمِنْ أَجْـلِ هَـذَا كَـانَ هَـذَا اعْتِقَـادُهُمْ كَمَا اعْتَقَـدَ الكُفَّـارُ مِـنْ قَبْـلُ فِـيْ النِّـدِّ

(١) يعني: ابن الخطاب، المتقدم ذكره.

وَلَكِنْ أُولَى[1] القَوْمُ لَيْسُوا كَمَنْ مَضَى ... فَقَدْ أَثْبَتُوا التَّوْحِيْدَ لِلْوَاحِدِ الفَرْدِ
فَمَا الأَوْلِيَاءُ وَالصَّالِحُوْنَ لَدَيْهِمُ ... بِآلِهَةٍ حَاشَا فَلَيْسُوْا ذَوِي جَحْدِ
فَهَذَا مَقَالُ الفَدْمِ[2] لَا دَرَّ دَرُّهُ ... كَمَا هُوَ مَعْلُوْمٌ مِنَ الشَّرْحِ مُسْتَبِدّ
وَكَانَ لَعَمْرِيْ سَامِجًا مُتَنَاقِضًا ... فَتَبًّا لِمَنْ يُبْدِيْ مِنَ الغَيِّ مَا يُرْدِيْ
فَلَسْتَ عَلَى نَهْجٍ مِنَ الدِّيْنِ وَاضِحًا ... وَلَسْتَ بِذِيْ عِلْمٍ وَلَسْتَ بِذِيْ رُشْدِ
وَإِنْ كَانَ هَذَا غَايَةُ الكُفْرِ وَالرَّدَى ... وَأَدْيَانُ عُبَّادِ القُبُوْرِ ذَوِيْ الجَحْدِ
فَمَا بَالُ هَذَا الطَّعْنِ وَيْحَكَ جَهْرَةً ... عَلَى مَنْ مَحَا تِلْكَ المَعَابِدَ مِنْ نَجْدِ
وَتَرْمِيْهِ بِالبُهْتَانِ وَالزُّوْرِ زَاعِمًا ... بِأَنَّكَ ذُوْ نُصْحٍ وَتَهْدِيْ وَتَسْتَهْدِيْ
فَهَلَّا نَصَحْتَ اليَوْمَ نَفْسَكَ مُزْرِيًا ... عَلَيْهَا وَمُسْتَعْدٍ عَلَيْهَا بِمَا تُبْدِيْ
لِتَنْجُو فِي يَوْمٍ عَظِيْمٍ عَصَبْصَبَ ... مِنَ الإِفْكِ وَالبُهْتَانِ فِي العَالَمِ المُهْدِيْ
فَإِنَّكَ قَدْ أَوْغَلْتَ فِيْ الشَّرِّ قَائِلًا ... بِمَا لَيْسَ مَعْلُوْمًا لَدَى كُلِّ مَنْ يَهْدِيْ
وَكُلُّ الَّذِيْ قَدْ قُلْتَ فِيْ الشَّيْخِ فِرْيَةً ... بِلَا مِرْيَةٍ وَالحَقُّ كَالشَّمْسِ مُسْتَبْدِ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ قَالَهُ بَعْدَ هَذْرِهِ ... وتَلْفِيْقِهِ زورًا من القولِ لا يُجْدِي
(وَلَا تَحْسَبُوْا أَنِّيْ رَجَعْتُ عَنِ الَّذِيْ ... تَضَمَّنَهُ نَظْمِيَ القَدِيْمُ إِلَى نَجْدِ)
(بَلَى كُلُّ مَا فِيْهِ هُوَ الحَقُّ إِنَّمَا تَجَارِيْكَ ... مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ لَيْسَ مِنْ قَصْدِيْ)
أَقُوْلُ نَعَمْ كُلُّ الَّذِيْ قَالَ أَوَّلَا ... هُوَ الحقُّ وَالتَّحْقِيْقُ مِنْ غَيْرِ مَا رَدِّ
وَكُلُّ الَّذِيْ قَدْ قَالَ فِيْ النَّظْمِ أَوَّلَا ... يَعُوْدُ عَلَى القَوْلِ المُزَوَّرِ بِالهَدِّ
لِمَنْ كَانَ ذَا قَلْبٍ خَلِيٍّ مِنَ الهَوَى ... فَقَدْ عَاشَ عَصْرًا بَعْدَمَا قَالَ فِيْ العَقْدِ

---

(١) في الأصل: (أولا).

(٢) الفدم: هو العيي عن الحجة والكلام. «العين» (ص ٧٣).

وَلَـمْ يُبْـدِ رَدًّا أَوْ رُجُوْعًـا عَـنِ الَّـذِيْ تَقَـدَّمَ أَوْ طَعْنًـا بِإِرْضَـاءِ ذِيْ الحِقْـدِ
إِلَـى أَنْ تَقَـضَّى ذَلِـكَ العَـصْرُ كُلُّـهُ وَلَمْ يَشْتَهِرْ مَا قِيْلَ مِـنْ كُـلِّ مَا يُبْـدِيْ
وَتَـصْدِيْقُ ذَا أَنَّ الَّـذِيْ قَـالَ لَـمْ يَكُـنْ وَلَا صَارَ هَذَا القَتْلُ وَالنَّهْبُ فِـيْ نَجْـدِ
لِمَنْ بَايَعُوْا طَوْعًا عَلَى الدِّيْنِ وَالهُـدَىْ وَلَـمْ يَجْعَلُـوْا للهِ فِـيْ الـدِّيْنِ مِنْ نِـدِّ
وَقَدْ هَجَرُوْا مَـا كَـانَ مِـنْ بِـدَعٍ وَمِـنْ عِبَـادَةِ مَـنْ حَـلَّ المَقَـابِرَ فِـيْ اللَّحْـدِ
إِذَا تَـمَّ هَـذَا وَاسْـتَبَانَ لِمُنْـصِفٍ خَلِي مِنَ الأَغْرَاضِ لَيْسَ بِـذِيْ حِقْـدِ
فَـصَحَّ يَقِيْنًـا أَنَّ هَـذَا تَقَـوُّلٌ عَلَـى الحَبْرِ بَحْرِ العِلْـمِ ذِيْ الفَـضْلِ وَالنَّقْـدِ
وَلَا حَـسَدٌ قَـدْ غَـامَرَ الغَـيُّ قَلْبَـهُ وَصَـارَ بِـهِ غِـلٌّ عَلَـى كُـلِّ ذِيْ رُشْـدِ
وَأَبْـصِرْ فِـيْ مَنْظُوْمِـهِ مُتَـأَمِّلًا مَقَاصِـدَ مَـا قَـدْ رَامَـهُ بِالَّـذِيْ يُبْـدِ
وَمَـا قَالَـهُ فِـيْ الـشَّرْحِ مِـنْ هَذَيَانِـهِ وَتَلْفِيْقِـهِ مَـا لَا يُفِيْـدُ وَلَا يُجْـدِيْ
تَـيَقَّنَ أَنَّ الـشَّيْخَ كَـانَ عَلَـى الهُـدَى وَكَـانَ عَلَـى نَهْـجٍ قَـوِيْمٍ مِـنَ الرُّشْـدِ
فَمَا جَـاءَ هَـذَا الوَغْـدُ[1] فِيْمَا هَـذَى بِـهِ بِحَـقٍّ وَتَحْقِيْـقٍ لَـدَى كُـلِّ ذِيْ نَقْـدِ
وَلَكِـنْ بِتَزْوِيْـرٍ وَتَـأْلِيْفِ جَاهِـلٍ وَلَـوْ كَـانَ ذَا عِلْـمٍ لَأَنْـصَفَ فِـيْ الـرَّدِّ
وَجَـاءَ بِبُرْهَـانٍ وَأَقْـوَمِ حُجَّـةٍ تَـدُلُّ عَلَـى مَـا قَالَـهُ فِـيْ الَّـذِيْ يُبْـدِيْ
وَإِنْ كَـانَ هَـذَا الـنَّظْمُ وَالـشَّرْحُ ثَابِتًـا عَنِ السَّيِّدِ المَـشْهُوْرِ بِـالعِلْمِ وَالرُّشْـدِ
وَأَعْنِـيْ بِـهِ البَـدْرَ المُنِيْـرَ مُحَمَّـدًا وَوَافَقَ أَهْـلَ الزَّيْـغِ وَالطَّـرْدِ وَالجَحْـدِ
وَصَـدَّقَ أَهْـلَ الغَـيِّ فِـيْ هَـذَيَانِهِمْ بِـمَا قَالَـهُ نَظْـمًا وَنَثْـرًا مِـنَ الـرَّدِّ
وَكَـانَ لَـهُ فِـيْ ذَاكَ نَـوْعٌ مِـنَ الهَـوَى وَدَاخَلَـهُ شَـيْءٌ مِـنَ الحَـسَدِ المُـرْدِيْ
فَلَـيْسَ بِمَعْـصُوْمٍ وَلَا شَـكَّ أَنَّـهُ بِـذَلِكَ قَـدْ أَخْطَـى وَجَـاءَ بِـمَا يُـرْدِيْ

(١) الوغد: هو الضعيف من الرجال، الخفيف العقل. «العين» (ص ١٠٥٨).

وَعُوقِبَ بِالهَذْرِ الَّذِيْ قَالَ حَيْثُ لَمْ ... يَكُنْ بِصَوَابٍ مُسْتَقِيْمٍ وَلَا يُجْدِيْ
وَنَاقَضَ مَا قَدْ قَالَهُ فِيْ اعْتِقَادِهِ ... وَمَا قَالَهُ فِيْمَا تَقَدَّمَ فِيْ العَقْدِ
وَقَدْ شَاعَ عَنْ[1] هَذَا النَّظْمِ عَنْهُ وَشَرْحَهُ ... وَسَاغَ لَدَىْ قَوْمٍ كَثِيْرٍ ذَوِيْ حِقْدِ
فَلَا غَرَّ ومِنْ هَذَا وَلَا بَدَعَ بَلْ لَهُ ... بِذَلِكَ أَمْثَالٌ كَثِيْرٌ بِلَا عَدِّ
وَمَاذَا عَسَى لَوْ قَالَ مَا قَالَ جَهْرَةً ... فَقَدْ كَانَ قَدْ أَخْطَى وَحَادَ عَنِ الرُّشْدِ
وَأَنْكَرَ أَهْلُ العِلْمِ مِنْ كُلِّ جَهْبَذٍ ... عَلَيْهِ أُمُوْرًا خَالَهَا الحَقُّ عَنْ قَصْدِ
فَقَدْ رَدَّ صِدِّيْقٌ[2] عَلَيْهِ وَقَدْ رَأَىْ ... مَقَالَتَهُ الشَّنْعَاءَ فَأَحْسَنَ فِيْ الرَّدِّ
وَأَنْصَفَ لَـمَّا قَالَ بِالحَقِّ وَالهُدَىْ ... وَجَاءَ بِبُرْهَانٍ يَلُوْحُ لِذِيْ النَّقْدِ
وَرَدَّ الأَبَاطِيْلَ التِيْ قَدْ أَتَى بِهَا ... وَأَلَّفَهَا فِيْ شَرْحِ مَنْظُوْمِهِ المُرْدِيْ
وَقَدْ خَالَفَتْ مَا قَالَهُ كُلُّ عَالِمٍ ... مُحِقٍّ وَيَدْرِيْ الحَقَّ لَيْسَ بِذِيْ لَدِّيْ
وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ ذَوِيْ الغَيِّ وَالرَّدَىْ ... كَمَا قَالَهُ هَذَا المُبَهْرِجُ عَنْ قَصْدِ
وَقَدْ زَعَمُوْا أَنَّ الإِمَامَ مُحَمَّدًا ... يُكَفِّرُ أَهْلَ الأَرْضِ طُرًّا عَلَى عَمْدِ
وَيَقْتُلُهُمْ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ تَجَبُّرًا ... وَيَأْخُذُ أَمْوَالَ العِبَادِ بِلَا حَدِّ
وَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ كَانَ بِاللهِ كَافِرًا ... إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْ خُرَافَاتِ ذِيْ اللَّدِّ
وَقَدْ أَجْلَبُوْا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَوِجْهَةٍ ... وَصَالُوْا بِأَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ كُلِّ ذِيْ حِقْدِ
فَبَادُوْا وَمَا فَادُوْا وَمَا أَدْرَكُوْا المُنَى ... وَأَبُوْا وَقَدْ خَابُوْا وَحَادُوْا عَنِ الرُّشْدِ
وَأَظْهَرَهُ المَوْلَى عَلَى كُلِّ مَنْ بَغَى ... عَلَيْهِ وَعَادَاهُ بِلَا مُوْجِبٍ يُجْدِيْ
وَأَظْهَرَ دِيْنَ اللهِ بَعْدَ انْطِمَاسِهِ ... وَأَعْلَى لَهُ الأَعْلَامَ سَامِيَةَ المَجْدِ

---

(١) كذا في الأصل، وهي زائدة.

(٢) يعني: صديق حسن خان، وهو تابع في رده للإمام الشوكاني في كتابه «الدر النضيد» (صـ ١١٠) وما بعدها.

وَسَاعَدَهُ فِيْ نُصْرَةِ الدِّيْنِ وَالهُدَى أَئِمَّةُ عَدْلٍ مُهْتَدُوْنَ ذَوُوا رُشْدِ
وَقَدْ نَالَ مَجْدًا أَهْلُ نَجْدٍ وَرِفْعَةً بِآلِ سُعُوْدٍ وَاسْتَطَالُوْا عَلَى الضِّدِّ
بِإِظْهَارِ دِيْنِ اللهِ قَسْرًا وَدَعْوَةٍ إِلَى اللهِ بِالتَّقْوَىْ وَبِالصَّارِمِ الهِنْدِيْ
وَقَامَ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ بَعْدِ مَنْ مَضَى بَنُوْهُمْ وَقَدْ سَارُوْا عَلَى مَنْهَجِ الحَمْدِ
وَقَدْ جَاهَدُوْا أَعْدَاءَ دِيْنِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ جَرَّهُمْ قَوْمٌ طُغَاةٌ إِلَى نَجْدِ
لِكَيْ يَطْمِسُوْا أَعْلَامَ سُنَّةِ أَحْمَدَ وَيَعْلُوْا بِهَا أَهْلَ الرَّدَىْ مِنْ ذَوِيْ الجَحْدِ
وَقَدْ جَهَدُوْا فِيْ مَحْوِ أَعْلَامِهِ العُلَى وَإِطْفَاءِ أَنْوَارٍ لَهُ غَايَةُ الجَهْدِ
فَمَا نَالَ مَنْ عَادَاهُمُوْ مِنْ ذَوِيْ الرَّدَىْ مُنَاهُمْ فَبَاءُوْا بِالخَسَارَةِ وَالطَّرْدِ
وَنَالَ ذُوْ الإِسْلَامِ عِزًّا وَرِفْعَةً وَمَجْدًا بِنَصْرِ الدِّيْنِ وَالكَسْرِ لِلضِّدِّ
فَلَا زَالَ تَأْيِيْدُ الإِلَهِ يَمُدُّهُمْ بِنَصْرٍ وَإِسْعَافٍ عَلَى كُلِّ ذِيْ حِقْدِ
وَأَزْكَىْ صَلَاةً يَبْهَرُ المَسْكُ عَرْفَهَا عَلَى السَّيِّدِ المَعْصُوْمِ أَفْضَلِ مَنْ يَهْدِيْ
وَأَصْحَابِهِ وَالآلِ مَعَ كُلِّ تَابِعٍ وَتَابِعِهِمْ وَالتَّابِعِيْنَ عَلَى الرُّشْدِ

(فصل)

إذا تحققت ما قدمت لك من النظم والنثر في الرد على هذا المزور الذي وضع هذه الأكاذيب من النظم والشرح على السيد الإمام، محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ، وتبين لك ما في كله من الخطإ، والكذب، والزور، والبهتان، والظلم، والعدوان، وأن هذا الكلام لا يليق بجناب السيد محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإنه كلام جاهل متناقض، والسيد أجلُّ قدرًا من أن يتكلم بمثل هذا الكلام البارد السامج، فعلم هذا المزور دليل النظم الأول، بأبيات ذكر فيها أحكام الكفر وتقسيمه، فذكر في القسم الذي لا يخرج عن الملة قوله:

قلت: ومن هذا كفر من يدعو الأولياء، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف

بقبورهم، ويقبل جداراتها، وينذر لها شيئًا من ماله؛ فإنه كفر عمل لا اعتقاد فإنه مؤمن بالله وبرسوله ﷺ، وباليوم الآخر، لكن زين لهم الشيطان أن هؤلاء عِبَادُ الله الصَّالِحِيْنَ ينفعون، ويَشْفَعُونَ، ويضرون، فاعتقدوا ذلك جهلًا، كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام، لكن هؤلاء يثبتون التوحيد لله، لا يجعلون الأولياء آلهة، كما قاله الكفار إنكارًا على رسول الله ﷺ، لما دعاهم إلى كلمة التوحيد: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥] فهؤلاء جعلوا لله شركاء حقيقة، وقالوا في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك»[١].

فأثبتوا للأصنام شركة مع رب الأنام، وإن كانت عبادتهم الضالة قد أفادت أنه لا شريك له تعالى؛ لأنه إذا كان يملكه وما ملك، فليس شريكًا له تعالى، بل مملوك.

فعباد الأصنام جعلوا لله أندادًا، واتخذوا من دونه شركاء، وتارة يقولون: الشفعاء يقربونهم إلى الله زلفى.

بخلاف جهلة المسلمين الذين يعتقدون في أوليائهم النفع والضر؛ فإنهم مقرون بالوحدانية، وإفراده بالإلهيَّة، وصدَّقوا رسله، فالذي أتوه من تعظيم الأولياء كفر عملي لا اعتقادي، فالواجب هو وعظهم، وتعريفهم جهلهم، وزجرهم ولو بالتعزير؛ كما أمرنا بحد الزاني والشارب والسارق من أهل الكفر العملي كما قدمنا في الأبيات الأصلية حيث قلنا:

وَكَمْ هَتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ....

وكما قلنا:

وَكَمْ عَقَرُوْا فِي سُوْحِهَا مِنْ عَقِيْرَةٍ ....

وكما قلنا:

كَمْ طَائِفٍ حَوْلَ القُبُوْرِ مُقَبِّلٌ ....

إلى آخرها...

---

(١) سبق تخريجه.

فهذه كلها قبائح محرمة من أعمال الجاهلية، فهو من الكفر العملي، فقد ثبت أن هذه الأمة تفعل أمورًا من أمور الجاهلية، فهو من الكفر العملي كحديث: «**أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**». أخرجه مسلم في «صحيحه»(١) من حديث أبي مالك الأشعري.

فهذه من الكفر العملي، لا يخرج بها الأمة عن الملة، بل هم مع إتيانهم بهذه الخصلة الجاهلية أَضَافَهُمْ إلى نَفْسِهِ، فقال: «**من أمتي**».

(**فإن قلت**): الجاهلية تقول في أصنامها: (إنهم يقربونا إلى الله زلفى) كما تقوله القبوريون. ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ كما يقوله القبوريون(٢) أيضًا.

(**قلت**): لا سواء؛ فإن القبوريين مثبتون التوحيد لله تعالى بالإلهية، قائلون: (إنه لا إله إلا هو). ولو ضربت عنقه على أن يقول: (إن الولي إله مع الله لما قالها). بل عنده اعتقاد جهل أن الولي لمـَّا أطاع الله من إطاعته، كان له عنده تعالى جاه به يقبل شفاعته، ويرجو نفعه، لا أنه إله مع الله بخلاف الوثني، فإنه امتنع عن قول: لا إله إلا الله حتى ضربت عنقه، زاعمًا أن وثنه إله مع الله، ويسميه ربًّا وإلهًا، كما قال يوسف: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف:٣٩].

فسماهم أربابًا؛ لأنهم كانوا يسمونهم بذلك، كما قال الخليل: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ في الثلاث الآيات، مستفهمًا لهم، مبكتًا، متكلمًا على خطئهم، حيث يسمون الكواكب أربابًا وقال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥] وقال قوم إبراهيم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٥٩]، ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء: ٦٢] فقال إبراهيم: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

ومنها تعلم: أن الكفار غير مقرين بتوحيد الإلهية، ولا الربوبية، كما توهمه من توهم، من قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) مسلم برقم (٩٣٤).

(٢) في الأصل: القبور.

﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ﴾ [يونس: ٣١] فهذا إقرار بتوحيد الخالقية، والرازقية، ونحوهما، لا أنه أقر بتوحيد الإلهية؛ لأنهم يجعلون أوثانهم آلهةً وأربابًا كما عرفت، فهذا الكفر الجاهلي كفر اعتقاد، ومن لازمه كفر العمل، بخلاف من اعتقد في الأولياء النفع والضر مع توحيد الله، والإيمان به، وبرسله، واليوم الاخر، فإنه كفر عمل، فهذا تحقيق بالغ، وإيضاح لما هو الحق من غير إفراطٍ، ولا تفريطٍ... إلى آخر كلامه.

(**الجواب أن يقال**): سبحان من طبع على قلوب هؤلاء الجهلة، حتى قلبوا الحقائق، وارتكبوا الأحموقة من الشقاشق، فضلوا وأضلوا عباد الله، وهذا الرجل الذي بلغ هذه الأكاذيب قد جاء بها شوهاء شمطاء، لم تمتشط، ولم تنتقب، وظن من سفاهة رأيه، وقلة علمه، وتحقيقه، ومعرفته بدين الإسلام، الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه أن هذا هو التحقيق البالغ، وإيضاح الحق من غير إفراط ولا تفريط، وهو كلام باطل متناقض، مخالف للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمتها، ومخالف لكلام السيد الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله، مناقض له كما سنذكره إن شاء الله قريبًا.

ولولا أن هذا النَّظم وشرحه انتشر واشتهر أنه من كلام الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، وصَدَّقَ به من كان في قلبه زَيْغ، وعنده عداوة لأهل الإسلام الحنفاء؛ لما رَفَعْنَا به رأسًا، لكن تعين علينا نصر الحق وبيانه، والسعي في إبطال ما مَوَّهَ به هذا المبهرج على خفافيش البصائر، وليعلم كلُّ من نظر فيه، براءة السيد الأمير محمد بن إسماعيل، من هذا الكلام الباطل، المتناقض، السامج، البارد، بذكر ما يناقضه، ويرده، ويبطله مما هو الحق والصواب الموافق لصريح السنة والكتاب، من كلام السيد في «تطهير الاعتقاد» قال رحمه الله تعالى[1]:

(١) «تطهير الاعتقاد» (ص ٥٨- ٦٧) بتعليق العباد، وفيه سقط عنده، تراه في تحقيقي الذي عملته على كتاب «تطهير الاعتقاد» على عدة نسخ خطية يسر الله نشره. طبع تحقيقي

(فصل)

إذا تقرر عندك أن المشركين لا ينفعهم الإقرار بالله تعالى، مع إشراكهم في العبادة، ولا يغني عنهم من الله شيئًا، وأن عبادتهم هي اعتقادهم أنهم ينفعون ويضرون، وأنهم يقربون من الله زلفى، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فينحرون لهم النحائر، وطافوا بهم، ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم، ويسجدون لهم، ومع هذا كله هم مقرون لله بالربوبية، وأنه الخالق ولكنهم لما أشركوا في عبادته جعلهم مشركين، ولم يعتد بإقرارهم هذا؛ لأنه نافاه فعلهم، فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية، فمن شأن من أقر لله بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة، فإذا لم يفعل ذلك، فالإقرار الأول باطل، فقد عرفوا وهم في طبقات النار وقالوا: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء:٩٧، ٩٨] مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه، ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين، لكن علموا إن صاروا في النار في قعر جهنم، أن خلط الإقرار ندر من ندرات الشرك، وعدم توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الأصنام وبين رب الأنام؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف:١٠٦] أي: ما يقر أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السماوات والأرض، إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان، بل سمى الله تعالى الرياء في الطاعات شركًا، مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها إلا الله تعالى، وإنما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس، فالمرائي عبد الله تعالى لا غيره، لكنه خلط العبادة بطلب المنزلة في قلوب العباد فلم تقبل له عبادة وسماها شركًا كما أخرجه مسلم[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**» بل سمى تعالى التسمية بعبد الحارث شركًا؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠] فإنه أخرج أحمد بن حنبل والترمذي من حديث سمرة أنه قال ﷺ: «**لما حملت حواء وكان لا**

(١) مسلم (٢٩٨٥).

يعيش لها ولد طاف بها إبليس، وقال لا يعيش لك ولد حتى تسميه عبد الحارث،[١] فسمته فعاش، وكان ذلك وحيٌ من الشيطان وأمره، فأنزل الله الآيات، وسماه شركًا وكان إبليس يسمى بالحارث»، والقصة في «الدر المنثور» وغيره.

(فصل)

قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو حيٍّ أو ميِّتٍ أنه ينفع أو يضر وأنه يقرب إلى الله، أو يشفع عنده في الحاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع والتوسل إلى الرب تعالى إلَّا ما ورد من حديث فيه مقال، في حق نبينا ﷺ بخصوصه[٢]، أو نحوٍ من ذلك؛ فإنه قد أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الأوثان، فضلًا عن أن ينذر بمالِهِ، أو ولده لميت، أو حيٍّ يطلب بذلك ما لا يُطْلَبُ إلا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريضه، أو قدوم غائبه، ونيله لأيِّ مطلبٍ من المطالب؛ فإن هذا هو الشِّركُ بعينه، الذي كان عليه عبادُ الأصنام، والنذر بالمال على الميت، ونحوه، والنَّحر على قبره، والتوسل به، وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كان يفعله الجاهلية، والجاهلية إنما يسمون ما يعبدونه وثنًا وصنمًا، وهؤلاء يسمونه وليًّا وقبرًا ومشهدًا، والأسماء لا أثر لها، ولا تغير المعاني ضرورة لغوية وعقلية وشرعية، فمن شرب الخمر وأسماها ماء، ما شرب إلا خمرًا.

---

(١) الحديث منكر: أخرجه أحمد (٥/ ١١)، والترمذي (٣٠٧٧) وغيرهما كثير من طريق عمر بن إبراهيم، عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ، وعمر يضعف في الحديث وحديثه عن قتادة خاصة مضطرب، قاله ابن معين في رواية، وابن عدي في «الكامل» وهو مفاد كلام ابن حبان في «المجروحين»، وفي سماع الحسن من سمرة خلاف كثير، والحديث نص جمهور أهل العلم على ضعفه من المتقدمين والمعاصرين منهم: ابن حزم والذهبي وشيخنا العلامة الوادعي والعلامة الألباني، وانظر تفصيل القول في هذا الحديث في تحقيقي لـ«تطهير الاعتقاد».

(٢) يشير إلى ما أخرجه أحمد (٤/ ١٣٨)، والترمذي (٣٥٧٨)، وغيرهما من حديث عثمان بن حنيف، وانظر لبيان هذا الحديث «التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام و«التوسل أنواعه وأحكامه» للألباني (٦٩- ٩٣) والشفاعة لشيخنا / (١٨٧- ١٩١).

وقد ثبت في الأحاديث: «أنه يأتي أقوام يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها»[(١)]. وصدق رسول الله ﷺ؛ قد أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذًا وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين إبليس لعنه الله؛ فإنه قال لأبي البشر آدم عليه السلام: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه:١٢٠] فسمى الشجرة التي نهى الله آدم عن قربانها: ﴿شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ مُحَرورًا له، وقد لبس عليه بالاسم الذي اخترعه لها، كما سمى إخوانه المقدون له (الحشيشة): بلقمة الرَّاحَةِ، وكما يسمي الظَّلَمَةُ ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلمًا وعدوانًا: (أدبًا) فيقولون: أدب القتل، أدب السرقة، أدب التهمة - بتحريف اسم الظلم إلى الأدب - كما يحرفونه في بعض المقبوضات إلى اسم النفاعة، وفي بعضها إلى اسم السياسة، وفي بعضها أدب المكاييل والموازين، وكل ذلك إثم عند الله ظلم وعدوان. كما يعرفُهُ من شمَّ رائحة الكتاب والسنة.

وكل ذلك مأخوذ عن إبليس حين سمى الشجرة المنهيّ عنها شجرة الخلد، فكذلك تسمية القبر مشهدًا، أو من يعتقدون فيه وليًّا، لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بها طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويلتمسون التماسهم لأركان البيت، ويخاطبون البيت بالكلمات الكفرية، من قولهم على الله ثم عليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها، وكل قوم لهم رجل ينادونه:

فأهل العراق والهند: عبدالقادر[(٢)].

وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه: يا زيلعي[(٣)]، يا ابن العجيل[(٤)].

---

(١) من ذلك ما رواه أحمد (٤/ ٢٣٧)، وغيره عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أناسًا من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها**». وهو صحيح الإسناد.

(٢) سبق الترجمة له.

(٣) هو أحمد بن عمر الزيلعي الصوفي المتوفى سنة (٧٠٤هـ)، وقيل (٧٠٧هـ)، انظر «العقود اللؤلؤية» (١/ ٣٠١)، و«الأعلام» للزركلي (١/ ١٨٦).

(٤) هو أحمد بن موسى بن عجيل اليمني المتوفى سنة (٦٩٠هـ) وقيل غير ذلك، انظر «هجر العلم» (١/ ٢٢٢١-٢٢٢٥).

وأهل الطائف ومكة: يا بن عباس[١].

وأهل مصر: يا رفاعي[٢].

والسادة البكرية أهل الجبال: يا أبا طير[٣].

وأهل اليمن: يا بن علوان[٤].

وفي كل قرية أموات يهتفون بهم، وينادونهم ويرجونهم؛ لجلب الخير ودفع الضر، وهو بعينه فعل المشركين في الأصنام، كما قلنا في الأبيات النجدية:

أَعَادُوْا بِهَا مَعْنَى سُوَاعَ وَمِثْلَهُ ... يَغُوْثَ وَوَدًّا بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وِدِّ

وَقَدْ هَتَفُوْا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ... كَمَا يَهْتِفُ المُضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الفَرْدِ

وَكَمْ نَحَرُوْا فِيْ سُوْحِهَا مِنْ بَحِيْرَةٍ[٥] ... أُهِلَّتْ لِغَيْرِ اللهِ جَهْرًا عَلَى عَمْدِ

وَكَمْ طَائِفٍ عِنْدَ القُبُوْرِ مُقَبِّلًا[٦] ... وَمُسْتَلِمٍ[٧] الأَرْكَانَ مِنْهُنَّ بِاليَدِّ[٨]

(فإن قال): إنما نحرت وذكرت اسم الله عليه فقل: إن كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تعظمه، وتعتقد فيه، هل أردت بذلك تعظيمه؟! فإن قال: نعم. فقل: هذا النحر لغير الله، وإن لم ترد تعظيمه! فهل أردت توسيخ باب المشهد؟! وتنجيس الداخلين إليه؟! فإنك يقينًا تعلم ما أردت ذلك أصلًا، ولا أردت الأول، ولا خرجت من بيتك إلا لقصده.

ثم كذلك دعاؤهم له، فهذا الذي عليه هؤلاء شركٌ بلا ريب، وقد يعتقدون في

---

(١) يعني: عبد الله بن عباس الصحابي الجليل، انظر عنه «السير» (٣/ ٣٣١) و«الإصابة» وقد تقدم.

(٢) هو أحمد بن أبي الحسن بن علي بن أحمد الرفاعيَ المتوفى سنة (٥٧٨هـ) انظر «السير» (٢١/ ٧٧).

(٣) هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم اليمني قتل سنة (٥٦٥هـ) انظر «هجر العلم» (٢/ ٧٤١- ٧٤٤).

(٤) هو أحمد بن علوان صوفي يمني من أهل تعز توفي سنة (٦٦٥هـ) انظر «هجر العلم» (٢/ ٧٥٠- ٧٥٨). و«السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١/ ٤٥٨)

(٥) كذا في(الأصل)، وفي الأصول الخطية: نحيرة.

(٦) مقبلًا: حال، وكما في نسخة الشيخ العباد.

(٧) في نسخة الشيخ العباد: ويستلم.

(٨) كذا في (الأصل)، والصواب: بالأيدي. كما في الأصول الخطية.

بعض فسقة الأحياء، ويناودنهم في شدتهم والرخاء، وهو عاكف على الفضائح، ولا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور، ولا يحضر جمعة ولا جماعة، ولا يعود مريضًا ولا يشيع جنازةً، ويضم إلى ذلك دعوى الغيب، ويجلب إليه إبليس جماعة قد عشعش إبليس في قلوبهم، وباض وفرَّخ، يصدقون بهتانه، ويعظمون شأنه، ويجعلون هذا ندًّا لرب العالمين مثيلًا.

فيا للعقول أين ذهبت؛ إذ جهلت الشرائع: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ ﴾.

(فإن قلت): أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور، والفسقة، والأولياء، مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام.

(قلت): نعم، قد حصل فيهم ما حصل في أولئك وساووهم في ذلك، بل زادوا في الاعتقاد، والانقياد، والاستعباد فلا فرق بينهم.

(فإن قلت): هؤلاء القبوريون يقولون: نحن لا نشرك بالله عزَّ وجلَّ ولا نجعل له ندًّا، والالتجاء إلى الأولياء، والاعتقاد فيهم ليس بشرك.

قلت: نعم، ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ ولكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك؛ فإن تعظيمهم الأولياء، ونحرهم النحائر لهم شرك، والله تعالى يقول: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [1] أي: لا لغيرهن كما يفيده تقديم الظروف، ويقول: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾.

وقد عرفت مما قدمناه قريبًا أنه يسمي الرياء شركًا، فكيف ما ذكرناه؟! فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعله المشركون، وصاروا به مشركين، ولا ينفعه قوله: أنا لا أشرك بالله؛ لأن فعله أكذب قوله.

إن قلت: هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلون!!

قلت: صرَّح الفقهاءُ (في كتب الفقه) في باب: (الردة)، أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر، وإن لم يقصد معناها[2]، وهذا دال على أنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام، ولا

(١) في (الأصل): (فانحر).

(٢) قال الشيخ العباد في تعليقه على «تطهير الاعتقاد» (ص ٦٥): هذا ليس على إطلاقه؛ فقد يحصل مثل ذلك =

مَاهِيَّة التوحيد،؛ فصاروا حينئذٍ كفارًا كفرًا أصليًّا[1]؛ فإن الله تعالى قد فرض على عباده إفراده بالعبادة: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢٦]، وإخلاصها : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

ومن نادى الله ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، وخوفًا وطمعًا، ثم نادى معه غيره فقد أشرك معه في العبادة، وقد سماه الله عباده في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ بعد قوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فإن قلت: فإذا كانوا مشركين وجب جهادهم، والسلوك فيهم ما سلكه رسول الله ﷺ في المشركين.

قلت: إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم فقالوا: يجب أولًا دعاؤهم إلى التوحيد، وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر لا يغني عنهم من الله شيئًا، وأنهم أمثالهم، وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك لا يتم الإيمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه، وإفراد التوحيد اعتقادًا وعملًا لله وحده، وهذا واجب على العلماء، أي: بيان أن ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور، والنحائر، والطواف بالقبور، شركٌ محرمٌ، وأنه عين ما يفعله المشركون لأصنامهم، فإذا أبانته العلماء للأمة والملوك، وجب على الأمة والملوك بعث دعاة إلى إخلاص التوحيد، فإن رجع وأقرَّ حُقِنَ عليه دمه ومالُهُ وذراريه، ومن أصرَّ فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله ﷺ من المشركين؛ [فإنهم قبل التعريف بأنهم على جهالة وضلالة، وخصلة من خصال الكفر، كافرون كفرًا أصغر لا يبيح دمًا ولا مالًا، ولا سَبْي حريم ولا أطفالٍ؛ لأنهم آتون بخصلة كفرية، وهذا هو

= عن إكراه، أو سبق لسان، أو بدون قصد للفرح الشديد، مثلًا كالذي وجد ناقته بعد أن يئس منها، وقال: اللهُمَّ أنت عبدي وأنا ربك. رواه مسلم. (٢٧٤٧).

(١) هذا على الإطلاق غير صحيح؛ بل هم كفار كفر ردة لا كفر أصلي، وقد نقد هذا القول العلامة عبد اللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في كتابه النافع «مصباح الظلام» (صـ٥٢- ٥٣)، وبين الصواب فيه.

فائدة: قال الإمام الذهبي في «السير» (١٠/ ٢٠٢): ومن كفر ببدعة - وإن جلت - ليس هو مثل الكافر الأصلي، ولا اليهودي والمجوسي، أبى الله أن يجعل من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر، وصام، وصلى، وحج، وزكّى، وإن ارتكب العظائم، وضل وابتدع، كمن عاند الرسول ﷺ، وعبد الوثن، ونبذ الشرائع، وكفر، ولكن نبرأ إلى الله من البدع وأهلها. اهـ.

الذي سمَّاه السَّلفُ كُفرًا دون كفرٍ.

وقد حققناه في رسالة مستقلة سميناها «تحقيق الفروق بين أنواع الكفر والظلم والفسوق» وهي نافعة جدًّا يندفع بها تعارض آيات وأحاديث.

فهؤلاء القبوريون ممن اتصفوا بالكفر الأصغر وهو معصية عظيمة، فإذا عرفوا بأن ما هم عليه من الضلال ومن عقائد الكفار الضلال، وأن التوبة واجبة عليهمْ عن هذا الاعتقاد، وعن فروعه من عبادة القبور والأولياء، واتخاذهم لله سبحانه أندادًا، فإن تابوا فباب التوبة مفتوح، وإن أصروا تعين جهادهم وحل منهم ما أحل الله لرسوله ﷺ من المشركين][(١)].

انتهى ما أردتُّ إيراده من كلام السيد الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني - رحمه الله تعالى - من كتابه «تطهير الاعتقاد»، لتعلم أن هذا النِّظام والشَّرح الذي نسبه المزور المبهرج إلى الصنعاني موضوع مكذوب عليه، لا يمتري في ذلك من له أدنى إلمام بالعلوم، ومعرفة بالمنطوق والمفهوم،؛ فإنه كلام جاهل متناقض، لم يتحقق بالحقائق الدينيَّة، والعلوم الشرعيَّة، ولم يكن له معرفة بما عليه سلف الأمة وأئمتها، ومن تأمل كلامه الذي نسبه إلى الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتأمل كلام الأمير محمد بن إسماعيل في «تطهير الاعتقاد»، الذي ذكرنا منه طرفًا، عَلِمَ أن بينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، وتحقق أنه قد كَذَبَ عليه وافترى.

وإذا أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قوله في الشرح: (فعبَّاد الأصنام جعلوا لله أندادًا، واتخذوا من دونه شركاء، وتارة يقولون: شفعاء يقربونهم إلى الله زلفى، بخلاف جهلة المسلمين الذين يعتقدون في أوليائهم النَّفع والضُّرَّ؛ فإنهم مقرُّون لله بالوحدانية، وإفراده بالإلهية، وصدقوا رسوله، فالذي أتوه من تعظيم الأولياء كفرٌ عمليٌّ لا اعتقادي.

فالواجب وعظهم وتعريفهم جهلهم، وزجرهم، ولو بالتعزير، كما أمرنا بحدِّ

(١) ما بين المعكوفين وجد في عدة نسخ خطية، ولم يوجد في نسخ أخرى من: «تطهير الاعتقاد»، وفيه نوع تضاد مع كلامه السابق، بينته في تحقيقي على «تطهير الاعتقاد». وانظر الدر النضيد (ص١١٠- وما بعدها). طبعة دار ابن خزيمة.

الزاني والشارب والسارق من أهل الكفر العملي، كما صرَّحْنا به في الأبيات الأصلية، حيث قلنا:

وكــم هتفــوا عنــد الــشدائد باســمها ....

وكمـا قلنا:

وكــم عقــروا في ســوحها مــن عقيــرة ....

وكمـا قلنا:

وكم طائف...) إلى آخره.

فهذه كلها قبائح محرمة من أعمال الجاهلية وهي من الكفر العملي.

وقد ثبت أن هذه الأمة تفعل أمورًا من أمور الجاهليـة، فهـي مـن الكفـر العمـلي كحديث: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن...**»[1] الحديث.

إلى قوله: (فإن قلت: الجاهلية تقول في أصـنامهم: إنهـم يقربـونهم إلى الله زلفـى، كما يقوله القبوريون، يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، كما يقوله القبوريون أيضًا.

قلــت: لا سواء؛ فإن القبوريين يثبتون التوحيد لله تعالى بالإلهية، قائلين: أنه لا إلـه إلا هو. ولو ضربت عنقه، على أن يقول: أن الوليَّ إلـهٌ مـع الله، لمـا قالهـا، بـل عنـده اعتقادُ جهلٍ: أن الولي لمـا أطاع الله من أطاعـه كـان لـه عنـد الله تعـالى جـاه بـه يقبـل شفاعته ويرجو نفعه، لا أنه إله مع الله، بخلاف الوثني، فإنه ممتنع عن قول: لا إلـه إلا الله، حتى ضربت عنقه، زاعمًا أن وثنه إله مع الله، ويسميه ربًّا إلهًا إلى آخر كلامه...).

ثم تأمل ما ذكره الأمير في «تطهير الاعتقاد» بعد ذكره تغيير الأسماء المحرمة بغير أسمائها، قال: وكل ذلك مأخوذ عن إبليس حين سمى الشجرة المنهـي عنهـا شـجرة الخلْد، فكذلك تسمية القبر مشهدًا و من يعتقدون فيه وليًّا لا يخرجه عن اسم الـصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بها طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونه استلامهم لأركان البيت، ويخاطبون الميـت بالكلمـات الكفرية، من قولهم على الله ثم عليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها، وكل

(١) سبق تخريجه.

قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق والهند عبدالقادر، وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه، يا زيلعي[١]، يا بن العجيل، وأهل الطائف ومكة يا بن عباس، وأهل مصر يا رفاعي، والسادة البكرية أهل الجبال يا أبا طير، وأهل اليمن يا بن علوان، وفي كل قرية أموات يهتفون بهم، وينادونهم ويرجونهم؛ لجلب الخير ودفع الضر، وهو بعينه فعل المشركين في الأصنام كما قلنا في الأبيات النجدية:

أَعَادُوْا بِهَا مَعْنَى سُوَاعَ وَمِثْلَهُ ... يَغُوْثَ وَوَدًّا بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ ودِّ

وَقَدْ هَتَفُوْا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ... كَمَا يَهْتِفُ المُضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الفَرْدِ

وَكَمْ نَحَرُوْا فِيْ سُوْحِهَا مِنْ بَحِيْرَةٍ ... أُهِلَّتْ لِغَيْرِ اللهِ جَهْرًا عَلَى عَمْدِ

(فإن قال): إنما نحرت وذكرت اسم الله عليه فقل: إن كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تعظمه، وتعتقد فيه، هل أردت بذلك تعظيمه؟! فإن قال: نعم. فقل: هذا النحر لغير الله، وإن لم ترد تعظيمه! فهل أردت توسيخ باب المشهد؟! وتنجيس الداخلين إليه؟! فإنك يقينًا تعلم ما أردت ذلك أصلًا، ولا أردت الأول، ولا خرجت من بيتك إلا لقصده.

ثم كذلك دعاؤهم له، فهذا الذي عليه هؤلاء شركٌ بلا ريب، وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء، وينادونهم في شدتهم والرخاء، وهو عاكف على الفضائح، ولا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور، ولا يحضر جمعة ولا جماعة، ولا يعود مريضًا ولا يشيع جنازةً، ويضم إلى ذلك دعوى الغيب، ويجلب إليه إبليس جماعة قد عشعش إبليس في قلوبهم، وباض وفرَّخ، يصدقون بهتانه، ويعظمون شأنه، ويجعلون هذا ندًّا لرب العالمين مثيلًا.

فيا للعقول أين ذهبت؛ إذ جهلت الشرائع: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾.

(فإن قلت): هؤلاء القبوريون يقولون: نحن لا نشرك بالله عزَّ وجلَّ ولا نجعل له ندًّا، والالتجاء إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس بشرك.

(١) سبق تخريجه. ص ١٦٨

(قلت): نعم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، ولكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك، فإن تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك، والله تعالى يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ أي: لا لغيره؛ كما يفيده تقديم الظروف، ويقول: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾. إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

فإذا جمعت بين هذين الكلامين تبين لك مناقضة أحدهما للآخر، وأن كلام هذا المزور كلام جاهل ما عرف الكفر العملي من الكفر الاعتقادي، والمقصود براءة الإمام المحقق الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني من نسبة هذا الكلام الباطل المتناقض إليه، وإلا فقد كان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن كلام هذا المزور كلام باطل، متضمن لإباحة الشرك بالله، وتجويزه، وأنه بمنزلة الطعن في الأنساب، والفخر بالأحساب، والنياحة على الميت، وغير ذلك مما لا يحكيه ويعتقده من يؤمن بالله واليوم الآخر.

(فصل)

إذا تحققت ما قدمت لك فاعلم أنه راج هذا الكلام الباطل على بعض العلماء[1]، وظن أنه من كلام الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني فاستبشعه غاية الاستبشاع، واستنكره غاية الاستنكار، وأظن أنه ما وقف على كلامه في «تطهير الاعتقاد» ولو رآه وعلم به لتيقن أنه موضوع مكذوب على الصنعاني، وحيث جهل الحال قال في كتابه الذي سماه «الدين الخالص»[2]، في النصيب الثاني[3]، بعد ذكر كلام السيد محمد بن إسماعيل: ومن جملة الشبه التي عرضت لبعض أهل العلم ما جزم السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله تعالى في شرحه للأبيات التي يقول في أولها:

---

(١) يعني: صديق حسن خان -كما سيأتي- وهو مجرد ناقل لكلام الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «الدين الخالص» (٤/ ٨٧- ٩٤) وهو تابع للإمام الشوكاني في كتاب «الدر النضيد» (ص ١٠٢-ص ١١٦)، نقله صديق حسن الحرف بالحرف، ولم يعزه وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(٣) قسم صديق حسن خان كتابه «الدين الخالص» إلى نصيبين، الأول: في بيان إثبات التوحيد ونفي الشرك وهو معنى لا إله إلا الله وهذا النصيب في مجلدين. والنصيب الثاني: في بيان الاعتصام بالسنة، واجتناب البدعة، وهو معنى: أشهد أن محمدًا رسول الله في مجلدين.

رَجَعْتُ عَنِ القَوْلِ الَّذِيْ قُلْتُ فِيْ النَّجْدِيْ

فإنه قال: إن كفر هؤلاء المعتقدين للأموات هو من الكفر العملي، فذكره إلى آخره، ثم قال صديق رَحِمَهُ اللهُ[١]: أقول هذا الكلام في التحقيق ليس بتحقيق بالغ، بل كلام متناقض متدافع، وبيانه أنه لا شك أن الكفر ينقسم إلى كفر اعتقاد، وكفر عمل، لكن دعوى أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من كفر العمل في غاية الفساد؛ فإنه قد ذكر في هذا البحث أن كفر من اعتقد في الأولياء كفر عملي، وهذا عجيب، كيف يقول كفر من اعتقد في الأولياء، ويسمي ذلك اعتقادًا، ثم يقول: إنه من الكفر العملي! هل هذا إلا التناقض البحت، والتدافع الخالص؟! انظر كيف ذكر في أول البحث: أن كفر من يدعو الأولياء، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم، ويقبل جداراتها، وينذر لها بشيء من ماله هو كفر عملي، فليت شعري ما هو الحامل له على الدعاء!! والاستغاثة! وتقبيل الجدارات[٢]! ونذر النذورات؟! هل هو مجرد اللعب والعبث من دون اعتقاد؟! فهذا لا يفعله إلا مجنون؟! أم الباعث عليه الاعتقاد في الميت؟! فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقاد، الذي لولاه لم يصدر فعل من تلك الأفعال؟!

ثم انظر كيف اعترف بعد أن حكم على هذا بالكفر بأنه كفر عملي، لا كفر اعتقاد، بقوله: لكن زين له الشيطان: أن هؤلاء عباد الله الصالحين، ينفعون، ويشفعون، فاعتقد ذلك جهلًا كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام، فتأمل كيف حكم: بأن هذا كفر اعتقاد، ككفر أهل الجاهلية، وأثبت الاعتقاد، واعتذر عنهم بأنه اعتقاد جهل، وليت شعري أي فائدة لكونه اعتقاد جهل؛ فإن طوائف الكفر بأسرها، وأهل الشرك قاطبة، إنما حملهم على الكفر، ودفع الحقِّ، والبقاء على الباطل، الاعتقاد جهلًا، وهل يقول قائل: إن اعتقادهم اعتقاد علم؟! حتى يكون اعتقاد الجهل عذرًا لإخوانهم المعتقدين في الأموات؟!

ثم تمم الاعتذار بقوله: (لكن هؤلاء مثبتون للتوحيد...) إلى آخر ما ذكره.

---

(١) الكلام ليس لصديق بل هو للشوكاني، ولكن لم يعزه إليه، فيعذر المؤلف حيث أضافه إلى صديق حسن على ظاهره.

(٢) كذا في الأصل، وفي الأصل المخطوط من «الدر النضيد»: الجدران. انظره في هذا الموضع بتحقيقي.

ولا يخفاك أن هذا عذر باطل؛ فإن إثباتهم التوحيد إن كان بألسنتهم فقط، فهم مشركون في ذلك، هم واليهود والنصارى والمشركون والمنافقون، وإن كان بأفعالهم فقد اعتقدوا في الأموات، ما اعتقده أهل الأصنام في أصنامهم، ثم كرر هذا المعنى في كلامه، وجعله السبب في رفع السيف عنهم، وهو باطل فما ترتب عليه مثله باطل، فلا نطوِّل برده.

بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم، وهو أن الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده، وإنما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد، من الأمور كما حكاه الله عنهم،، بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء:٦٧]. وبقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنعام:٤٠] وبقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر:٨] وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢].

بخلاف المعتقدين في الأموات فإنهم إذا دهمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات، ونذروا لهم النذور، وقل من يستغيث بالله ﷻ في تلك الحال، وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم.

ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطرابًا شديدًا، فسمع من أهل السفينة من الملاحين، وغالب الراكبين معهم ينادون الأموات، ويستغيثون بهم! ولم يسمعهم يذكرون الله قط!! قال: ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله.

وقد سمعنا عن جماعة من أهل البادية المتصلة بصنعاء: أن كثيرًا منهم إذا حدث له ولد جعل قِسْطًا من ماله لبعض الأموات المعتقدين، ويقول: إنه قد اشترى ولده من ذلك الميت الفلاني بكذا، فإذا عاش حتى يبلغ سن الاستقلال، دفع ذلك الجعل لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الأموال!

وبالجملة فالسيد المذكور رَحِمَهُ اللهُ قد جرد النظم إلى ما ينافي ذلك من أفعال

المتكلم بكلمة التوحيد، ويخالفه في بحثه السابق إلى الإقرار بالتوحيد الظاهر، واعتبر مجرد التكلم بكلمة التوحيد فقط من دون النظر إلى من اعتقاده الذي صدرت عنه تلك الأفعال المتعلقة بالأموات، وهذا الاعتبار لا ينبغي التعويل عليه، ولا الاشتغال به، فالله سبحانه إنما ينظر إلى القلوب، وما صدر من الأفعال عن اعتقاد، لا إلى مجرد الألفاظ، وإلا لما كان فرق بين المؤمن والمنافق.

وأما ما نقله السيد المذكور رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن القيم في أول كلامه من تقسيم الكفر إلى عملي، واعتقادي فهو كلام صحيح، وعليه جمهور المحققين، ولكن لا يقول ابن القيم ولا غيره أن الاعتقاد في الأموات على الصفة التي ذكرها هو من الكفر العملي. وسننقل هنا كلام ابن القيم في أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من الشرك الأكبر، كما نقله عنه السيد رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه السابق، ثم نتبع ذلك بالنقل عن بعض أهل العلم؛ فإن السائل - كثر الله فوائده - قد طلب ذلك في سؤاله، ثم ذكر ما ذكره ابن القيم في «شرح المنازل»(١) في باب التوبة.

والمقصود أن هذا الكلام الذي نقله صديق(٢)، عن الصنعاني إن كان ثابتًا عنه فهو باطل، وقد أجاب عنه بما هو كافٍ شافٍ، وإن لم يكن ثابتًا عنه، بل كان موضوعًا مكذوبًا عليه، فهو المتبادر إلى الذهن؛ لأن هذا الكلام لا يليق بجلالة الصَّنْعَاني، وعلوِّ قَدْرِهِ ومَعْرِفَتِهِ وعِلْمِهِ بالحقائق، كما هو معلوم، مذكور في «تطهير الاعتقاد» وفي غيره من كتبه، ولا يليق هذا الكلام إلا بعقول هؤلاء الوضاعين، القاصرين، الناقصين، المتهوكين، الحيارى المفتونين، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - لما سئل عن قتال التتار(٣): كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم وغيرهم، فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٩).

(٢) الكلام للشوكاني لا لصديق، وإنما صديق - غفر الله له - ينتحل كلام الشوكاني، ولا يعزوه إليه في كثير من كتبه - والله المستعان.

(٣) كما في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٠٢-٥٠٤).

بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبوبكر الصديق والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة، على ذلك اتفق الفقهاء بعد سابقة مناظرة عمر لأبي بكر رضي الله عنه[١]، فاتفق الصحابة رضي الله عنهم على القتال على حقوق الإسلام عملًا بالكتاب والسنة.

وكذلك ثبت عن النبي ﷺ من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج، وأخبر أنهم شرُّ الخلق والخليقة[٢]، مع قوله: «**تَحْقِرُوْنَ صَلَاتَكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ**»[٣].

فعلم أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال، فالقتال واجب، حتى يكون الدِّين كلُّه لله، وحتى لا تكون فتنة، فمتى كان الدِّين لغير الله، فالقتال واجبٌ، فأيما طائفة ممتنعة عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء والأموال، والخمر، والزنا، والميسر، أو عن نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهادِ الكفار، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، وغير ذلك من واجبات الدِّين، ومحرماته التي لا عذر لأحد في جحودها وتركها، التي يكفر الجاحد لوجوبها؛ فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها، وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء، وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة، إذا أصرت على ترك بعض السُّنَنِ، كركعتي الفجر والأذانِ والإقامة عند من لا يقول بوجوبها[٤]، ونحو ذلك من الشعائر: هل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا؟ فأما

---

(١) تقدم ذكرها.

(٢) يشير إلى حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند مسلم (١٠٦٥) وغيره أن النبي ﷺ ذكر بعض صفات الخوارج ثم قال: «هم شر الخلق عند الله...».

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٧) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وانظر الأحاديث في ذم الخوارج في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» لشيخنا الوادعي رحمه الله. (ص ٤٨٩- وما بعدها).

(٤) هم الشافعية، والحنفيه، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم ونقله السرخسي عن جمهور العلماء، وهو رواية عن أحمد، ورواية عن مالك نقلها العبدري، وابن عبدالبر؛ والصواب: أن الأذان والإقامة فرض كفاية، وهو المشهور من مذهب أحمد، واختاره ابن تيمية، وابن عثيمين وغيرهما. انظر تفصيل ذلك في: «المغني» (٢/ ٧٢، ٧٣)، و«شرح المهذب» (٣/ ٨٠، ٨١)، و«نيل الاوطار» (٣/ ١٩١)، و« غاية المرام» (٣/ ٨٢)، و«شرح الممتع» (٢/ ٣٨).

الواجبات، والمحرمات المذكورة ونحوها؛ فلا خلاف في القتال عليها، وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين على الإمام، أو الخارجين عن طاعته، كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أو خارجون عليه؛ لإزالة ولايته.

وأما المذكورون فهم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة، وبمنزلة الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ ولهذا افترقت سيرة عليٍّ في قتاله لأهل البصرة، وأهل الشام، وفي قتاله لأهل النهروان، فكانت سيرته مع أهل البصرة والشاميين سيرة الأخ مع أخيه، ومع الخوارج بخلاف ذلك. انتهى المقصود.

فتأمل رحمك الله قوله رحمه الله: تعلم أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه، ليس بمسقط للقتال... إلى آخره.

ثم تأمل كلام هذا المعترض في قوله: قد عرفت مما حققناه معنى البيتين وتيقنت أن الإجماع من الصحابة لم يقع إلا على كفر مسيلمة والعنسي، وعلى قتالهم، وأما مانعو الزكاة فلم يكفرهم أحد من الصحابة، ولا أجمعوا على سبي ولا نهب، بل رد عمر رضي الله عنه ذلك، والشيخ محمد نقل ذلك مستدلًّا بها على كفر من لديه من المسلمين وغير من لديه، وإباحة الدماء والأموال، وهذا جهل لا يخفى على الجهال فضلًا عن العلماء والعقال. انتهى كلامه.

فإذا تأملت كلام شيخ الإسلام وجدته مناقضًا لما قاله هذا المعترض، خصوصًا قوله رحمه الله: «وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة، بل هم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة»، ومثل هذا كثير في كلام العلماء، والمقصود التنبيه على ذلك، ويكفي العاقل المنصف ما ذكره العلماء من كل مذهب في باب حكم المرتد، فإنهم ذكروا فيه أشياء كثيرة يكفر بها الإنسان، ولو أتى بجميع الدِّين، وهو صريحٌ في كفر عُبَّاد القبور، ووجوب قتالهم إن لم ينتهوا، حتى يكون الدِّين كله لله وحده، فإذا كان من التزم شرائع الدِّين كلها، إلا تحريم الميسر، والربا، والزنا، يكون كافرًا، يجب قتاله، فكيف بمن أشرك بالله، ودعي إلى إخلاص الدِّين لله، فأبى عن ذلك واستكبر وكان من الكافرين.

وهذا الرجل يزعم من جهله أن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وكلام الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، جهل لا يخفى على الجهال، فضلًا عن العلماء، وهل في بني آدم أجهل من رجل يقول: إن من الكفر العملي الذي لا يخرج عن الملة كفر من يدعو الأولياء، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم، ويقبل جداراتها، وينذر لها بشيء من ماله، فإنه كفر عملي لا اعتقادي؛ فإنه مؤمن بالله ورسوله ﷺ، واليوم الآخر، لكن زيَّن له الشيطان أن هؤلاء عِبَادَ الله الصالحين ينفعون ويَشْفَعُون ويضرُّون فاعتقد ذلك جهلًا كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام، لكن هؤلاء مثبتون التَّوحيد لله، لا يجعلون الأولياء آلهة كما قاله الكفار... إلى آخر كلامه فالله المستعان.

وأعجب من هذا الجهل دعواه أن المشركين عباد الأوثان، يثبتون التوحيد لله وهم لم يوحدوا الله بالدعاء، بل يهتفون بمعبوداتهم عند الشدائد، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الدعاء هو العبادة**»(١)، وفي لفظ: «**الدعاء مخ العبادة**»(٢)، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

وهذا زعم أن الصالحين ينفعون ويشفعون، وقد نفى الله ذلك عنهم، وصرَّح أنَّهم معتقدون في الصالحين ذلك، كما اعتقده أهل الجاهلية، وقد زعم أن كفرهم هذا كفر عمل لا كفر اعتقاد، فليت شعري! هل يقول هذا من يعقل ما يقول؟! وهل فوق هذا الجهل جهل يُنْتَهَى إليه؟! أما علم هذا المتمعلم الجاهل أن اليهود يقولون: لا إله إلا الله، وأن بني حنيفة يقولون: لا إله إلا الله. وأن المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار يقولون: لا إله إلا الله. وكذلك بنو عبيد القداح ملوك مصر، يشهدون: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون الجمعة والجماعة، وينصبون القضاء، ومع هذا كله لما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم، وأن بلادهم بلاد حرب.

إذا كان هؤلاء المشركون يقولون: لا إله إلا الله، ويعتقدون أن الله هو الإله، وأن

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٧)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٤٠٤٩)، وغيرهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند»، والشيخ الألباني.

(٢) ضعيف بهذا اللفظ: أخرجه الترمذي (٣٤٣١)، من حديث أنس، وفي سنده ابن لهيعة وضعفه شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ.

الأولياء ليسوا بآلهة، ومع ذلك يعتقدون أن الأولياء ينفعون، ويضرُّون، ويَشْفَعُون، يريدون بذلك التَّقرب إلى الله، والزُّلفى لديه، فيطلبون منهم الشفاعة عند الله، ويلجئون إليهم، ويهتفون بهم في الشدائد لكشف الكربات، وإغاثة اللهفات، ومعافاة أُوْلي العاهات، فما وجه تكفير العلماء لهم حينئذٍ، وهم يثبتون التوحيد، وهم بهذه الأفعال مؤمنون بالله ورسوله، وباليوم الآخر.

﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: ١٦]؛ فإن الإله هو الذي تألهه القلوب محبَّةً، وإِجْلالًا، وتعظيمًا، وخَوفًا، ورَجاءً، وتَوكُّلًا، واستغاثةً، ورهبةً، ورغبةً، ودُعاءً، وغير ذلك مما هو مختصٌّ بالله، لا يشركه فيه أحد من خلقه، فمن أشرك مع الله أحدًا بنوع من أنواع هذه العبادات، فهو مُشْرِكٌ، وإن تلفظ بالشهادتين، وصلَّى وزكَّى، وصام وحجَّ، ولو لم يُسَمِّ من يقصده بهذه ربًّا، وإلهًا؛ فإن الحقائق لا تتغير بتغير الأسماء، كما يقول عبَّاد القبور في هذه الأزمان: إنا لسنا نعبدهم بهذه الأفعال، بل نعتقد أن الله هو النَّافع الضَّار، وأنه المحيي، المميت، المدبر لجميع الأمور، وأن الإعدام والإيجاد بيده، وأن التأثير لله وحده، وإنما هو توسل، وتشفع، وتعظيم للأولياء، والصالحين، فنطلب من الله بجاههم، وشفاعتهم؛ لأنهم أحباب الله المقربون.

وهذا هو شرك الجاهلية الأولى، من عباد الملائكة، والأنبياء، والصالحين، كما ذكر ذلك العلماء في مصنفاتهم، وما ردوا به على هؤلاء الملاحدة، الذين شَرَعُوا لهؤلاء الجهلة من الدِّين ما لم يأذن به الله، وأوهموهم أنهم إذا اعتقدوا: أن الله هو الفاعل لهذه الأشياء، وأنهم إذا لم يعتقدوا أن من يدعونه من دون الله، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد، والملمات أربابًا ولا آلهة، إن هذا ليس بشرك يخرجهم من الملة، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

فإن تبين لك أن الإله هو الذي تألهه القلوب، محبَّة، وإنابةً، وإجلالًا، وإكرامًا، وتعظيمًا، وذلًّا، وخضوعًا، وخوفًا، ورجاءً، وتوكُّلًا، وغيره من أنواع العبادة: كالدعاء، والاستغاثة، والاستعانة، والاستعاذة، والذَّبح، والنَّذر، وأن الرب هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى مصالحه، وأنه هو النافع، الضار، المدبر لجميع الأمور، وبيده الإيجاد، والإعدام، إلى غير ذلك من أنواع الربوبية، فلا إله إلا هو، ولا

ربَّ إلا هو، فكما أن ربوبية ما سواه أبطلُ الباطلِ، فكذلك إلهية ما سواه، وقد جمع سبحانه بين هذين الأصلين في مواضع من كتابه، كقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله عن نَبيِّهِ شعيب: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود:٨٨]، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقوله: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل:٨- ٩]، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ [الرعد: ٣٠]، وقوله عن الحنفاء أتباع إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا﴾ [الممتحنة:٤].

ولهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأصلين الجامعين لمعنى التوحيد للدين، لا سعادة للعبد بدونهما ألبتَّة، فإذا تأله القلب بغير الله، فدعاه، واستغاث به في كشف كربة، أو شدة نزلت به، وهتف باسمه في طلبها، فقد أشرك ذلك الغير مع الله، وتألهه بطلب ما لا يقدر عليه إلا الله، من إزالة شدة، أو كشف مُلِمَّة، وكذلك إذا ذبح لله، وتقرب إليه بهذا النُّسك ثم ذبح لغيره من الأولياء، والصالحين، وطلب منهم أن يشفعوا له عند الله، فقد أشرك بالله في هذا النسك غيره؛ فإن النسك عبادة لله، فإذا نسك لغيره فقد أشرك مع الله، وكذلك إذا نذر لله، ونذر لغيره كان ذلك إشراكًا به، ولا ينفعه مع هذا الشرك اعتقاده أن هذا المدعو في جلب منفعة أو دفع مضرة، وأن هذا الولي إذا ذبح له، وتقرب إليه بشيء من ماله، إذا لم يسمه إلهًا أن ذلك لا يضره، وأن اعتقاده أن الله هو الإله ينجيه من الشرك، فذلك ظنُّ الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار، فإن الحقائق لا تتغير بتغير أسمائها ولله درُّ القائل؛ حيث يقول في استحلال ما حرم الله بتغير الأسماء:

فَاحْتَـلْ عَلَـى اسْـقَاطِ كُـلِّ فَرِيْـضَةٍ ... وَعَلَـى حَـرَامِ اللهِ بِـالإِحْلَالِ
وَاحْتَلْ عَلَـى المَظْلُـوْمِ يَقْلِـبْ ظَالمًـا ... وَعَلَـى الظَّلُـوْمِ بِـضِدٍّ تِلْـكَ الحَـالِ
وَاقْلِـبْ وَحَـوِّلْ فَالتَّحَيُّـلُ كُلُّـهُ ... فِـيْ القَلْـبِ وَالتَّحْوِيْـلُ ذُوْ أَعْمَـالِ
إِنْ كُنْـتَ تَفْهَـمُ ذَا ظَفِـرْتَ بِكُـلِّ مَـا ... تَبْغِـيْ مِـنْ الأَفْعَـالِ وَالأَقْـوَالِ
وَاحْتَـلْ عَلَـى شُـرْبِ المَـدَامِ وَسَمِّهَا ... غَيْـرَ اسْـمِهَا وَاللَّفْـظُ ذُوْ إِجْمَـالِ

وَاحْتَلْ عَلَى أَكْلِ الرِّبَا وَاهْجُرْ شَنَا عَـةَ لَفْظِهَـا وَاحْتَـلْ عَلَـى الأَنْـذَالِ
وَاحْتَلْ عَلَى وَطْئِ الحِرَا كَمْ وَلَا تَقُلْ هَـذَا زِنَـا وَانْكِـحْ رِخَـى البَـالِ

(فصل)

ولنختم الجواب بما هو أوضح الواضحات وأصرح الدلائل والبينات، على بطلان دعوى من اعتبر الألفاظ دون الحقائق، بما ذكره شيخنا شيخ الإسلام الإمام وعلم الهداة الأعلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن في «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد»[1] الذي ألفه شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

(قوله): باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما كبقعة، أو قبر ونحو ذلك، أي: فهو مشرك قوله: وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩-٢٠] الآيات.

ثم ذكر كلام المفسرين من أهل العلم عليها.

ثم قال رحمه الله تعالى[2]: فمطابقة الآية للترجمة، من جهة أن عُبَّاد هذه الأوثان، إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها؛ بتعظيمها، ودعائها، والاستغاثة بها، والاعتماد عليها، وحصول ما يرجونه ويؤملونه، ببركتها وشفاعتها، وغير ذلك.

فالتبرك بقبور الصالحين كاللات، وبالأشجار، والأحجار: كالعزى، ومناة، من جملة فعل أولئك المشركين مع تلك الأوثان، فمن فعل مثل ذلك، واعتقد في قبر، أو حجر، أو شجرة، فقد ضاهى عُبَّاد هذه الأوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك، على أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك! فالله المستعان.

ثم قال رحمه الله تعالى قوله[3]: عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاءُ عهدٍ بكفرٍ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها

(١) «فتح المجيد» (ص ١٤٣) بتحقيق الأرناؤوط.
(٢) «فتح المجيد» (ص ١٤٦).
(٣) «فتح المجيد» (ص ١٤٧).

أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بالسِّدْرَةِ، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟! قال: «اللهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف:١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رواه الترمذي وصححه[١].

أبو واقد الليثي اسمه الحارث بن عوف، وفي الباب: عن أبي سعيد، وأبي هريرة[٢]، قاله الترمذي، وقد رواه أحمد، وأبو يعلى، وابن أبي شيبة، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني بنحوه[٣].

قال رَحِمَهُ اللهُ: (قوله): وللمشركين سدرة يعكفون عندها: العكوف هو الإقامة على الشيء في المكان، ومنه قول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء:٥٢].

وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركًا بها وتعظيمًا لها، وفي حديث عمر: وكان يناط بها السِّلاح، فسميت ذات أنواط، وكانت تعبد من دون الله.

(قوله): وينوطون بها أسلحتهم: أي: يعلقونها عليها للبركة.

(قلت): ففي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك، وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها.

(قوله): اجعل لنا ذات أنواط: قال أبو السعادات[٤]: سألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك، وأنواط: جمع نوط، وهي مصدر، سمي به المنوط؛ ظنُّوا أن هذا الأمر محبوبٌ عند الله، وقصدوا التَّقرُّب به، وإلَّا فهم أجلُّ قدرًا من أن يقصدوا مخالفة النبي ﷺ.

---

(١) حسنٌ: أخرجه الترمذي (٢١٨١) وغيره كما سيأتي.

(٢) حديث أبي هريرة في: باب: متابعة الكفار. أخرجه البخاري (٧٣١٩) وحديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٣) أحمد (٥/ ٢١٨)، وأبو يعلى (١٤٤١)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٠١)، والنسائي (١١١٨٥)، وابن جرير (١٠/ ٤١٠)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٣٢٩٢)، (٣٢٩٣)، وانظر مسند أحمد طبعة المؤسسة تحت رقم (٢١٨٩٧).

(٤) يعني: ابن الأثير في «النهاية» مادة: نوط.

(قوله): فقال النبي ﷺ: «اللهُ أكبر» وفي رواية: «سبحان الله!»: والمراد تعظيم الله تعالى، وتنزيهه عن هذا الشرك، بأي نوع كان، مما لا يجوز أن يطلب أو يقصد به غير الله، وكان النبي ﷺ يستعمل التكبير والتسبيح في حال التعجب؛ تعظيمًا لله، وتنزيهًا له، إذا سمع من أحد ما لا يليق بالله، مما فيه هضمٌ للربوبية، والإلهية.

(قوله): «إنها السنن» بضم السين، أي: الطرق.

(قوله): «قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]: فشبه مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل؛ بجامع أن كُلًّا طلب أن يجعل له ما يأله إليه، ويعبده من دون الله، وإن اختلف اللفظان، فالمعنى واحد، فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة، ففيه الخوف من الشرك، وأن الإنسان قد يستحسن شيئًا يظنه يقربه إلى الله، وهو أبعد ما يبعده من رحمته، ويقربه من سخطه.

ولا يعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمان، من كثير من العلماء والعباد، مع أرباب القبور، من الغلو فيها، وصرف جل العبادة لها، ويحسبون أنهم على شيء، وهو الذنب الذي لا يغفره الله.

قال الحافظ أبومحمد عبدالرحمن بن إسماعيل الشافعي، المعروف (بأبي شامة)(١) في «كتاب البدع والحوادث»(٢): ومن هذا القسم أيضًا ما قد عمَّ الابتلاء به، من تزيين الشيطان للعامة، بتخليق الحيطان والعُمُدِ، وإسراجِ مواضعَ مَخْصُوصَةٍ في كلِّ بلد؛ يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شهر بالصَّلاح والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه، مع تضييعهم لفرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يَعْظُمَ وَقْعُ تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من عيون، وشجر، وحائط، وحجر.

وفي مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة، كـ(عوينة الحمى)، خارج باب (توما)، و(العمود المخلق)، داخل باب الصغير، و(الشجرة الملعونة) خارج باب

(١) المتوفى سنة (٦٦٥هـ) انظر «شذرات الذهب» (٥/ ٣١٨).

(٢) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص ٢٣).

النصر، في نفس قارعة الطريق، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث. انتهى.

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[١] نحو ما ذكره (أبو شامة)، ثم قال: فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر، وهذه الشجرة، وهذه العين، تقبل النذر، أي: تقبل العبادة من دون الله؛ فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له، وسيأتي ما يتعلق بهذا الباب، عند قوله: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[٢].

وفي هذه الجملة من الفوائد: أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار، من التبرك بها، والعكوف عندها، والذبح لها، هو الشرك، ولا يغتر بالعوام والطغام، ولا يستبعد كون الشرك بالله تعالى يقع في هذه الأمة، فإذا كان بعض الصحابة ظنُّوا أن ذلك حسنًا، وطلبوه من النبي ﷺ، حتى بيَّن لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨].

فكيف لا يخفى على من هو دونهم[٣] في العلم والفضل بأضعاف مضاعفة، مع غلبة الجهل، وبُعْدِ العهدِ بآثارِ النُّبوة؟! بل خَفِيَ عليهم عَظَائِمُ الشِّرك في الإلهية والربوبية، فأكثروا فعله، واتخذوه قربة.

وفيها: أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني، لا بالأسماء، ولهذا جعل النبي ﷺ طلبتهم كطلبة بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات أنواط، فالمشرك مشركٌ، وإن سَمَّى شركه ما سمَّاه، كمن يُسمي دعاء الأموات، والذبح لهم، والنذور، ونحو ذلك، تعظيمًا ومحبةً، فإن ذلك هو الشِّرك، وإن سمَّاه ما سمَّاه، وقِسْ على ذلك. انتهى ما ذكره شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح المجيد».

فتأمل رحمك الله (قوله): فشبه مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل، بجامع أنَّ كُلًّا طلب أن يجعل له ما يَأْلَـهُهُ ويَعْبُدُهُ من دون الله، وإن اختلف اللَّفظان، فالمعنى واحدٌ،

---

(١) في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٣٠).

(٢) «فتح المجيد» (ص ٢٦٩).

(٣) في الأصل: دنهم.

فإن تغيير الاسم لا يغير الحقيقة.

(وقوله بعد ذلك): وفيها أنَّ الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبي ﷺ طلبتهم كطلبة بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات أنواط، فالمشرك مشرك، وإن سمى شركه ما سمَّاه، كمن سمَّى دُعَاء الأموات، والذبح لهم، والنذر، ونحو ذلك تعظيمًا ومحبةً، فإن ذلك هو الشرك وإن سمَّاه ما سمَّاه.

ثم تأمل ما ذكره المعترض (ص٢٨٥) بقوله: (فإن قلت): الجاهلية يقولون في أصنامها: إنهم يقربونهم إلى الله زُلفى كما يقول القبوريون، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]. كما يقول القبوريون أيضًا.

(قلت): لا سواء، فإن القبوريين يثبتون التوحيد لله تعالى بإلـهيَّتِهِ، قائلين: إنه لا إله إلا هو، ولو ضربت عنقه، على أن يقول: إن الولي إلهٌ مع الله لما قالها، بل عنده اعتقاد وهو أن الولي لما أطاع الله من أطاعه[1] كان له عنده جاه به يقبل شفاعته، ويرجو نفعه، لا أنه إله مع الله، بخلاف الوثني، فإنه امتنع عن قول: لا إله إلا الله حتى ضربت عنقه زاعمًا أن وثنه إله مع الله، ويسميه ربًّا وإلهًا... إلى آخر كلامه.

فاعتبر هذا المعترض الجاهل المركب الأسماء دون الحقائق، فتعلق بتسمية أهل الجاهلية من عُبَّاد الأصنام والأوثان، أصنامهم وأوثانهم التي يعبدونها مع الله آلـهة وأربابًا، ولم يعتبر معاني هذه الأسماء وحقائقها؛ فإن الإله هو الذي تألـهُهُ القلوب محبةً، وإجلالًا، وتعظيمًا، وخوفًا، ورجاءً، ودعاءً، واستغاثةً، واستعانةً، وذبحًا، ونذرًا، وتوكلًا، وإنابةً، وخشيةً، ورهبةً، ورغبةً، فإذا تَأَلَّهَ العبد غير الله، بنوعٍ من هذه الأنواع، فدعاه مع الله، أو استغاث به، أو استعان به، أو خافه، أو رجاه مع الله، أو طلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، أو ذبح له، أو نذر له، أو توكل عليه، أو صرف له من هذه العبادة شيئًا، فقد تألـهه وعبده من دون الله، وإن لم يُسَمِّ ذلك المعبود المألوهَ إلـهًا وربًّا، وسواءً اعتقد التأثير منه أو لم يعتقد، فإن الحقائق لا تتغير بتغير الأسماء، كما أنه ﷺ، لم يلتفت إلى قول من قال: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَما لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»، بل شبَّه طلبتهم هذه

---

(١) كذا في الأصل، والظاهر أن كلمة (من أطاعه) زائدة لا معنى لها ولا حاجة إليها.

بقول بني إسرائيل لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف:١٣٨]. فالاعتبار بالحقائق والمعاني، لا بالأسماء.

وهذا الكلام الذي ذكره هذا المعترض، هو قول الكفار من أهل الجاهلية، سواءً بسواءٍ، ومن جَهْلِهِ وعدم علمه واطلاعه وتحقيقه، قوله في آخر كلامه: (ص ٢٩)

ومن هنا نعلم: أنَّ الكفار غير مقرين بتوحيد الإلَـهِيَّة ولا الرُّبوبية، كما توهَّمَهُ من تَوهَّمه من قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف:٨٧] وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف:٩].

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ [يونس:٣١] فهذا إقرار بتوحيد الخالقيَّة والرازقيَّة، ونحوهما... إلى آخره.

فَزَعَمَ هذا الجاهل أن الكفار غير مقرين بتوحيد الربوبية، وإنما أقروا بتوحيد الخالقيَّة والرازقيَّة ونحوهما، وهذا عنده ليس بتوحيد الربوبية، فهل بعد هذا الجهل جهل يُنْتَهَى إليه؟! وهل سمعت أيها الموحد بأسمج من هذا الكلام؟! وقد تقدم من كلام السَّيد الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني في «تطهير الاعتقاد" ما يُبْطِلُ كلام هذا المزوِّر المفتري ويناقضُهُ.

وبذلك تعلَمُ وتتحقق قَطْعًا: أنَّ هذا النَّظم وشرحه موضوع، مكذوب عليه - والله أعلم.

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على أشرف المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وأصحابه وجميع التابعين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

* * *

الفهرس

الموضوع الصفحة

* * *

كتاب

تبرئة الشيخين الإمامين

من تزوير أهل الكذب والمين

الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي (١٢٠٦)

والإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢)

تأليف

سليمان بن سحمان النجدي

دار الإمام أحمد

دار الإمام أحمد